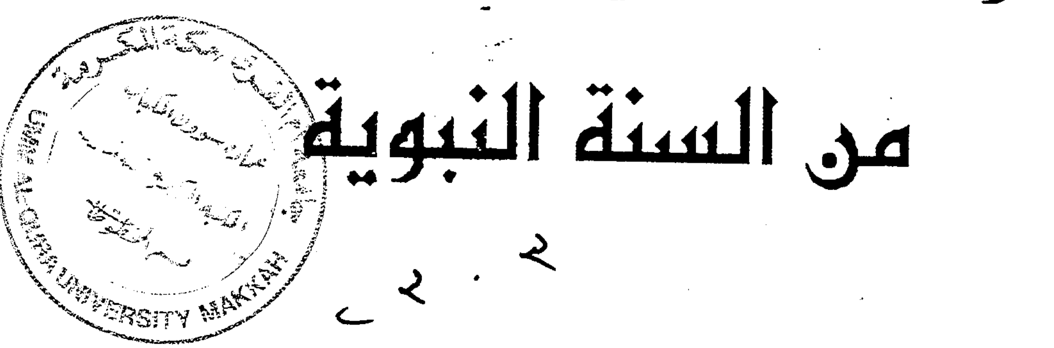
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

تم إجراء التصويبات حسب
توجيهات لجنتا لمناقشة
د /أحمد محمد نور سيف
د /أحمد ناصرمحمد الحمد
د / الشريف منصوربن عون العبد لي
د /سيد عبد العزيز السيلي

موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

الأمين الصادق الأمين



إشراف

الدكتور
أحمد محمد نور سيف

الدكتور
أحمد ناصر محمد الحمد

١٤١٤ هـ

الجزء الثاني

ولقد أثاروا كثيراً من الشبه لكى يصلوا من خلالها إلى القدح فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم والطعن فيه والذى دفعهم إلى ذلك كما أسلفت عدم تصديقهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكارهم الوحى ، هذا هو السبب الأساسى والعلة الحقيقية ، ولكنهم يتعلقون بأمور واهية ليوهموا الناس بأنهم يستندون إلى منهج علمى أوصلهم إلى حقيقة أن مايتمسك به المسلمون من حديث لايمت إلى الصحة بصلة ، وهذه نتيجة مسبقة فى أذهانهم ليست وليدة منهج علمى كما يدعون.

ولذلك جاءت أقوالهم ملتوية مخالفة للحقيقة والصواب بل ومخالفة للمنهج العلمى الذى يحتكم إليه العقلاء . كما يتبين لنا من خلال الردود .

وماسبق من براهين تثبت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم كاف فى الرد على شبههم فى الجملة ، ولكننا مع ذلك نورد من الحجج والبراهين مايقتلع تلك الترهات من جذورها حتى لايغتر بذلك من قلت معرفته بهؤلاء المستشرقين ، ووثق بهم وبعلمهم ، وقل فقهه بدين الإسلام ، وإن كان ذلك لايخفى على كل ذى لب عرف حقيقة الإسلام وخلصت نيته من الشكوك والأوهام .

وقبل أن أعرض تلك الشبه وأجيب عليها بردود تفصيلية لابد من وقفة نبين من خلالها سلامة السنة النبوية الصحيحة من كل طعن وقدح ، وأنها وصلت إلينا نقية صافية من غير تحريف ولاتبديل . وقد هيأ الله لها من الأسباب ماأدى إلى حفظها وصيانتها بعيدة عن عبث العابثين ولعب اللاعبين .

كيف لايتم لها الحفظ والبقاء وهى المصدر التشريعى الثانى للأمة الإسلامية ، وبضياعها يضيع على المسلمين دينهم وتفسد عبادتهم ، وهذا محال فى شأن دين كتب الله له البقاء وجعله الدين الخاتم الذى لادين بعده ؟

وسوف نستعرض بشىء من الإيجاز ماقام به صحابة النبى صلى الله عليه وسلم والتابعون وعلماء الأمة من جهود قل نظيرها وعدم مثيلها فى خدمة سنة النبى صلى الله عليه وسلم وحفظها وصيانتها ، وماوضعوه من منهج ندر وجوده بين مناهج أهل الأرض ، تمكنوا من خلاله أن يحموا حصن السنة من أن تصل إليه معاول الهدم والتخريب ، بل ظل شامخاً يقاوم صنوف الباطل وأمواج الضلال عبر القرون الماضية .

(١) جهود الصحابة فى حفظ السنة :

لقد تكفل الله عز وجل بحفظ دينه فقال : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}(١). والدين هو ماجاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ،وهما المصدران اللذان تركنا عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال : "إنى قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض"(٢). وقد حفظ الله كتابه من التبديل والتغيير والتحريف كما قال سبحانه : {إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد}(٣).

وهيأ رجالاً لحفظ سنة نبيه من بعده ووهبهم من التقى والصلاح والإخلاص والذكاء وقوة الذاكرةمايؤهلهم لحمل أمانة حفظ السنة النبوية ، وفوق ذلك شرفهم بصحبة نبيه . وتلك منزلة تتهاوى عندها جميع المنازل . فقد علموا مكانة السنة من الدين ولذلك حرصوا عليها حرصهم على القرآن فحفظوها وفهموها ونقلوها إلى سواهم . فحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورغبتهم الأكيدة فى التزام دينه، واستقرار الإيمان فى قلوبهم وصدق

---

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ٩٣/١ ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير وسكت عنه .
انظر : فيض القدير ٢٤٠/٣-٢٤١ .
وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح الجامع ٣٩/٣ .
وله شاهد من حديث مالك فى الموطأ بلاغاً ولفظه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تركت فيكم أمرين لن تضلوا مامسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه". كتاب القدر (٤٦) ، باب النهى عن القول بالقدر (١) برقم (٣) ، ٨٩٩/٢
وأورد ابن عبد البر حديث مالك من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده . جامع بيان العلم ٣٠/١ .
وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٦١/٤ ، مشكاة المصابيح ٦٦/١ برقم ١٨٦ .

(٣) سورة فصلت : آية ٤١-٤٢

نواياهم ، كل ذلك خولهم لحماية السنة والدفاع عنها وصيانتها والذود عن حماها (١) .

وقد اختطوا منهجاً رصيناً فى تحمل الحديث وإبلاغه كان له الأثر البالغ فى نقاء الأحاديث من كل شائبة ودخيلة ، ومن كل زيادة ونقصان .

من ذلك :

(أ) التثبت والاحتياط فى نقل الأحاديث وروايتها :

لقد احتاط الصحابة رضى الله عنهم احتياطا بالغ الدقة ، وتثبتوا تثبتاً كاملاً فى نقلهم الحديث وروايتهم له ، مسترشدين فى ذلك بقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) (٢) ، وبحديث النبى صلى الله عليه وسلم : " نضر الله امرءاً سمع مقالتى فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع " (٣) .

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨ ، السنة قبل التدوين ص ٩٢، أصول الحديث ص ٧٠ ، دفاع عن السنة ص ١٧،١٨ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ١٥٩ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٣) سبق تخريجه . انظر ص : ١٢ .

فأخذوا الحديث بحيطة شديدة وحذر تام ، فلم يأخذوا إلا ماطمأنت إليه قلوبهم ، ولم يرووا إلا ماثبت عندهم (١) .

وأول من احتاط فى قبول الأخبار أبو بكر رضى الله عنه كما سبق فى قصة ميراث الجدة (٢) .

حتى قال عنه الذهبى : " كان أول من احتاط فى قبول الأخبار" (٣) .

وقال : " وإليه المنتهى فى التحرى فى القول وفى القبول " (٤) .

وقد تثبت عمر رضى الله عنه كما تثبت أبو بكر ، وقد سبق ماذكرناه عنه فى قصته مع أبى موسى فى الاستئذان (٥) .

ومثل ذلك فعل عثمان رضى الله عنه فى التثبت والتحرى (٦) ، قال بسر بن سعيد (٧) :

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٦٩ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص ٦٢، السنة قبل التدوين ص ١٠٥ ، أصول الحديث ص ٨٨ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٧١، السنة قبل التدوين ص ١١٢-١١٣، أصول الحديث ص ٨٩ ، منهج النقد عند المحدثين ص ١١. وانظر ص : ٩٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢ .

(٤) المرجع السابق ١/٥ .

(٥) انظر : السنة ومكانها فى التشريع ص ٧٠ ، السنة قبل التدوين ص ١١٣-١١٦، أصول الحديث ص ٨٩ - ٩٠ . وانظر ص : ٩٧ .

(٦) انظر : السنة قبل التدوين ص ١١٦ ، أصول الحديث ص ٩٠ .

(٧) بسر بن سعيد :
هو بسر بن سعيد المدنى العابد ، مولى ابن الحضرمى ، ثقة جليل . روى عن زيد وأبى هريرة وسعد . وعنه أبنا الأشج ، وزيد بن أسلم . مات سنة مائة .
أنظر : الجرح والتعديل ٢/٤٢٣ ، الكاشف ١/١٥٣ ، تقريب التهذيب ١/٩٧.

"أتى عثمان المقاعد[١]، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضأ ، ياهؤلاء أكذاك؟ قالوا : نعم ، لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده"[٢].

ونهج الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه نهج سلفه فى التثبت حتى بلغ به الأمر أنه كان يستحلف من حدثه ، قال : "كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ينفعنى الله بما شاء منه وإذا حدثنى عنه غيره استحلفته فإذا حلف لى صدقته ، وإن أبا بكر حدثنى ـ وصدق أبو بكر ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مامن رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له"[٣].

---

(١) المقاعد : جمع مقعد : عند باب الأقبر بالمدينة ، وقيل : مساقف حولها، وقيل هى دكاكين عند دار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقال الداودى هى الدرج . معجم البلدان ١٦٤/٥ .

(٢) هذا الحديث أصله فى الصحيحين .
انظر : صحيح البخارى ، كتاب الوضوء (٤) ، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، (٢٤) ٤٨/١ ، باب المضمضة فى الوضوء (٢٨) ، ٤٩/١ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب السواك الرطب واليابس للصائم (٢٧) ، ٢٣٥/٢ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب قول الله تعالى : {ياأيها الناس إن وعد الله حق ..} الآية (٨) ، ١٧٤/٧ . صحيح مسلم ، كتاب الطهارة (٢) ، باب صفة الوضوء وكماله (٣) برقم ٢٢٦ ، ٢٠٤/١-٢٠٥ .
إلا أنه بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦٧/١ ، وقال أحمد محمد شاكر "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٣٧١/١ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص١١٦ ، أصول الحديث ص٩٠ .
والحديث :
أخرجه أبو داود فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب الصلاة ، باب فى الاستغفار برقم ١٥٢١ ، ٨٦/٢ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح سنن أبى داود ٢٨٣/١ .
وأخرجه الترمذى فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب تفسير القرآن (٤٨) ، تفسير سورة آل عمران (٣) برقم ٣٠٠٦ ، ٢١٢/٥-٢١٣ . =

ولقد سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهج الخلفاء الراشدين فى التثبت ولم يقبلوا من الحديث إلا مااطمأنت إليه نفوسهم وهم الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشوه فعرفوا عنه ماجهله غيرهم ، وفهموا منه ماخفى عن سواهم .

روى مسلم بسنده عن مجاهد أنه قال : "جاء بشير العدوى (١) إلى ابن عباس . فجعل يحدث ويقول : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لايأذن لحديثه ولاينظر إليه . فقال ياابن عباس مالى لاأراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتسمع . فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ،

= وأخرجه ابن ماجه ، واللفظ له . كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء فى الصلاة كفارة (١٩٣) برقم ١٣٩٥ ، ٤٤٦/١ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "حسن" . صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٤/١ .

وأخرجه أحمد فى مسنده بلفظه إلا أحرف يسيرة ٢/١ ، وبلفظ مقارب ١٠،٩/١ .

قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٧٨،١٧٤،١٥٣/١ .

وانظر : مشكاة المصابيح برقم ١٣٢٤ ، ٤١٦/١ .

(١) بشير العدوى :

هو بُشير ـ مصغرا ـ ابن كعب بن أبى الحميرى العدوى ، أبوأيوب البصرى . ثقة مخضرم . روى عن أبى ذرٍ والكبار ، وعنه ثابت وقتادة .

انظر : الجرح والتعديل ٣٩٥/٢ ، الكاشف ١٦٠/١ ، تقريب التهذيب ١٠٤/١ .

وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول[١]، لم نأخذ من الناس إلا مانعرف"[٢].

(ب) **تناوبهم فى ملازمة مجلسه :**

لقد بلغ حرصهم رضى الله عنهم فى تتبع أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم شأواً بعيداً حتى أنهم ماكانوا يقبلون فوات شىء من سماع مايتزل من الوحى وحضور مجالسه ولذلك كانوا يتناوبون لسماع مايتزل منه.

روى البخارى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد[٣]- وهى من عوالى المدينة[٤]- وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك..." الحديث[٥].

---

(١) الصعب والذلول :
قال النووى : "أصل الصعب والذلول فى الإبل . فالصعب العسر المرغوب عنه ، والذلول السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه . فالمعنى سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم" . شرح النووى على مسلم ٨٠/١ .

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١٣/١ .

(٣) بنى أمية بن زيد :
أى ناحية بنى أمية بن زيد . سميت البقعة باسم من نزلها . فتح البارى ١٨٥/١ .
وبنو أمية بن زيد أو يزيد بطن من الأوس من العرب القحطانية .
انظر : معجم قبائل العرب ٤٦/١ ، معجم قبائل الحجاز ٢٠/١ .

(٤) العوالى : جمع العالى .ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة ، وقيل ثمانية . مراصد الاطلاع ٩٧٠/٢ .
وهى الآن حى معروف من أحياء المدينة المنورة.

(٥) صحيح البخارى ،كتاب العلم (٣) ، باب التناوب فى العلم (٢٧) ، ٣١/١ . وبلفظ مقارب فى كتاب المظالم (٤٦) ، باب الغرفة والعلية المشرفة (٢٥) ، ٣/١٠٣-١٠٦ ، وفى كتاب النكاح (٦٧) ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٨٣) ، ١٤٧/٦-١٥٠ .

(ج) تحملهم المشاق فى تلقيه والرحلة فى طلبه :

لقد كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يتحمل فى طلب حديث النبى صلى الله عليه وسلم الجهد والعناء والمشقة ويبذل النفس فيه لكى يظفر بحديث واحد يحفظه ويعمل به .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثير ، قال : واعجباً لك ياابن عباس . أترى الناس يفتقرون إليك ، وفى الناس من أصحاب رسول الله من فيهم؟ قال : فترك ذاك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث ، فإنه كان يبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائى على بابه ، تسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيقول : ياابن عم رسول الله ماجاء بك؟ ألا أرسلت إلى فآتيك؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث"(١).

وقد بلغ من حرصهم على الحديث أن أحدهم يجهد نفسه فى طلب حديث واحد، فيرحل فى طلبه ، يقطع الفيافى والقفار ويقضى الأيام والشهور حتى يصل إلى مبتغاه ويحصل على مطلبه .

ولقد رحل جابر بن عبد الله رضى الله عنه إلى الشام شهراً كاملاً للقاء عبد الله بن أنيس رضى الله عنه من أجل حديث واحد(٢).

= ونحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة التحريم (٦٦) ، باب {تبتغى مرضات أزواجك} الآية (٢) ، ٦٩/٦-٧٠ ، وفى كتاب اللباس (٧٧) ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يتجوزمن اللباس والبسط (٣١) ، ٤٦/٧-٤٧ ، وفى كتاب أخبار الآحاد (٩٥) ، باب ماجاء فى إجازة خبر الواحد (١) ، ١٣٤/٨ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الطلاق (١٨) ، باب فى الإيلاء واعتزال النساء (٥) ، برقم ١٤٧٩ ، ١١١١/٢-١١١٣ .

(١) الجامع لأخلاق الراوى ٩١/١ ، وانظر : جامع بيان العلم ١١٢/١ ، تذكرة الحفاظ ٤١/١ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ٢٧/١ "فى الترجمة"،الأدب المفرد ص٣٣٧ ، جامع بيان العلم ١١١/١-١١٢ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٣/٢ .

ومن ذلك ماحدث به عطاء بن أبى رباح[(١)] قال :

"خرج أبو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر ، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيره وغير عقبة ، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى - وهو أمير مصر - فأخبره فعجل عليه ، فخرج إليه فعانقه ، ثم قال له : ماجاء بك ياأبا أيوب؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغير عقبة ، فابعث من يدلنى على منزله ، قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة ، فأخبر عقبة ، فعجل فخرج إليه فعانقه ، فقال : ماجاء بك ياأبا أيوب؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغيرك فى ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من ستر مؤمناً فى الدنيا على عورة ستره الله عز وجل يوم القيامة"[(٢)].

---

(١) عطاء بن أبى رباح :
هو عطاء بن أسلم أبو رباح ، القرشى ، مولاهم المكى ، ثقة فقيه فاضل . كثير الإرسال . روى عن عائشة وأبى هريرة . وعنه الأوزاعى ، وابن جريج والليث . مات سنة ١١٤هـ على المشهور .
انظر : الجرح والتعديل ٣٣٠/٦ ، الكاشف ٢٦٥/٢ ، تقريب التهذيب ٢٢/٥ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بلفظه ١٥٩/٤ ، وبنحو منه ١٥٣/٤ .
وأصل الحديث فى الصحيحين دون ذكر القصة .
انظر : صحيح البخارى ، من حديث ابن عمر وفيه : "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" كتاب المظالم (٤٦) ، باب لايظلم المسلم المسلم (٣) ، ٩٨/٣ .
صحيح مسلم . عن ابن عمر ، كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم الظلم (١٥) برقم ٢٥٨٠ ، ١٩٩٦/٤ .
ومن حديث أبى هريرة ولفظه : "لايستر عبد عبداً فى الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة" . باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه فى الدنيا (٢١) برقم ٢٥٩٠ ، ٢٠٠٢/٤
ومن حديثه رضى الله عنه وفيه : "ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة" كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (١١) برقم ٢٦٩٩ ، ٢٠٧٤/٤ .

فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعا إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر "(١).

فما رحل أبو أيوب هذه الرحلة الطويلة من المدينة إلى مصر إلا من أجل حديث واحد أراد أن يتثبت فيه .

(د) **تعظيم الحديث وتوقيره :**

كان الصحابة رضوان الله عليهم يقدمون حديث النبى صلى الله عليه وسلم على كل قول بعد القرآن مهما كانت منزلة القائل ومكانته ، ولاتأخذهم فى ذلك لومة لائم ، وإذا بلغ أحدهم حديث لايدعه إلى رأى بشر قط .

روى مسلم بسنده إلى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لاتمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها" .

قال : قال بلال بن عبد الله(٢): "والله لنمنعهن . قال : فأقبل عليه

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٧-٨ . وانظر : جامع بيان العلم ١١٢/١ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٣/٢-٢٨٤ .
وعريش مصر : مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام ، على ساحل بحر الروم ، فى وسط الرمل ، خربت بأيدى الفرنج ، ولم يبق منها إلا آثار .
مراصد الاطلاع ٩٣٥/٢ .

(٣) بلال بن عبد الله :
هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشى العدوى . ثقة . روى عن أبيه ، وعنه كعب بن علقمة وعبد الله بن هبيرة.
انظر : الجرح والتعديل ٣٩٦/٢ ، الكاشف ١٦٥/١ ، تقريب التهذيب ١١٠/١ .

عبد الله فسبه سباً سيئاً . ماسمعته سبه مثله قط . وقال : أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : "والله لنمنعهن"(١).

وروى ابن عبد البر أن عروة قال لابن عباس رضى الله عنهما : "ألا تتقى الله ترخص فى المتعة؟ فقال ابن عباس : سل أمك ياعرية ، فقال عروة : أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا . فقال ابن عباس : والله ماأراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، نحدثكم عن النبى صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبى بكر وعمر ، وذكر الحديث . قال أبو عمر : "يعنى متعة الحج، وهو فسخ الحج فى عمرة"(٢).

وروى البخارى بسنده إلى الزبير بن عربى(٣) قال : سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر . فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله . قال : قلت : أرأيت إن زحمت؟ أرأيت إن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة (٣٠) برقم ٤٤٢ ، ٣٢٧/١ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه من غير ذكر قصة بلال : كتاب الجمعة (١١) ، باب (١٣) ، ٢١٦/١ ،وفى كتاب النكاح (٦٧) ، باب استئذان المرأة زوجها فى الخروج إلى المسجد وغيره (١١٦) ، ١٦٠/٦ .

(٢) جامع بيان العلم ٢٣٩/٢ .
وقد أخرج نحوه الإمام أحمد فى المسند ٢٥٢/١ .
قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح". المسند بتحقيق أحمد محمد شاكر ٧٤/٤ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٢٤٣/١٥ .

(٣) الزبير بن عربى :
هو الزبير بن عربى ، النمرى ، أبو سلمة البصرى . قال الحافظ ابن حجر : "ليس به بأس" ، وقال الذهبى : ثقة . روى عن ابن عمر ، وعنه معمر وحماد بن زيد . انظر : الجرح والتعديل ٥٨٠/٣ ، الكاشف ٣١٩/١ ، تقريب التهذيب ٢٥٩/١ .

غلبت؟ قال : اجعل أرأيت باليمن . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله"(١).

فتعظيم الصحابة للحديث النبوى واحترامه وإعطائه هذه المكانة السامية الرفيعة تجعلهم من أحرص الناس على حفظه والاهتمام به ،والتثبت فى روايته ، والتمسك به ، وتبليغه لغيرهم .

(هـ) **نهيهم عن بث الأحاديث الواهية والضعيفة :**

خشى الصحابة رضوان الله عليهم من انتشار الأحاديث الواهية والمنكرة فنهوا عن روايتها وحذروا من انتشارها حتى لاتختلط بالصحيح من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمروا برواية الصحيح والتثبت فيه(٢).

روى مسلم بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : "ماأنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٣).

وقد جاء نحو ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : "حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ماينكرون . أتحبون أن يكذب الله ورسوله"(٤).

قال الذهبى رحمه الله :

"فقد زجر الإمام على رضى الله عنه عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا أصل كبير فى الكف عن بث الأشياء الواهية ، والمنكرة من الأحاديث فى الفضائل والعقائد ، والرقاق ، ولاسبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان فى معرفة الرجال"(٥).

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الحج (٢٥) ، باب تقبيل الحجر (٦٠) ، ١٦٢/٢ .
(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص١٥٦ .
(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١١/١ .
(٤) أورده البخارى معلقاً . كتاب العلم (٣) ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم (٤٩) ، ولم يذكر "دعوا ماينكرون" ٤١/١ .
تذكرة الحفاظ ١٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٧/٢ .
(٥) تذكرة الحفاظ ١٣/١ .

(و) الإقلال من الرواية والتحرز فيها احتياطاً :

لقد حمل الورع والتقوى الصحابة الكرام على الاعتدال فى الرواية ، وآثر بعضهم الإقلال منها، لازهداً فى الحديث وإنما مخافة أن يتسرب إلى السنة تحريف أو تغيير ، وممن اشتهر من بين الصحابة بشدة الإنكار على من أكثر من الرواية ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه(١).

قال ابن قتيبة :

"كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر فى الحكم لاشاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبى بكر والزبير وأبى عبيدة والعباس بن عبد المطلب - يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لايكاد يروى شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة"(٢).

وقال الخطيب :

"وفى تشديد عمر أيضاً على الصحابة وفى روايتهم حفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل فى السنن ماليس منها ، لأنه إذا رأى الصحابى المقبول القول المشهور بصحبة النبى صلى الله عليه وسلم قد تشدد عليه فى روايته كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب ولما يلقى الشيطان فى النفس من تحسين الكذب أرهب"(٣).

بل من الصحابة من كان يرتجف ، ويقشعر جلده ، ويمتقع لونه إذا حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم تعظيماً لحديثه ، وخوفاً من وقوع الخطأ منه فى ذلك .

---

(١) انظر : أصول الحديث ص٨٤ .
(٢) تأويل مختلف الحديث ص٤٨-٤٩ .
(٣) شرف أصحاب الحديث ص٩١ .

قال عمرو بن ميمون(١): "ماأخطأنى ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه . قال : فما سمعته يقول بشىء قط : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" فلما كان ذات عشية قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنكس ، قال : فنظرت إليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه، وقد اغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه . قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك"(٢).

هكذا تحرى الصحابة رضوان الله عليهم فى نقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وإبلاغه ، وقد ساروا على هذا المنهج السديد حتى حفظوا للحديث نوره وللسنة بهاءها وأوصلوها إلى التابعين بيضاء نقية كما تلقوها عنه صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية . فحموا حديث النبى صلى الله عليه وسلم من أن تناله يد جاهل أو صاحب هوى أو منافق . وأخذهم بهذا المنهج المتشدد ليس زهداً فى الحديث ولاهجراً له وإنما فعلوا ذلك احتياطاً للدين وحفظاً لسنة النبى صلى الله عليه وسلم(٣).

---

(١) عمرو بن ميمون :
هو عمرو بن ميمون الأودى ، أبو عبد الله وأبو يحي ، مخضرم مشهور ، ثقة عابد ، نزل الكوفة ، روى عن عمر ومعاذ ، وعنه زياد بن علاقة وأبو إسحاق ومحمد بن سوقة . مات سنة ٧٤هـ وقيل بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٢٥٨/٦ ، الكاشف ٣٤٢/٢ ، تقريب التهذيب ٨٠/٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة ، باب التوقى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) برقم(٢٣) ، ١٠/١-١١ .
وأخرجه أحمد بلفظه إلا أحرف يسيرة ٤٥٢/١ .
وأخرج الحاكم فى المستدرك نحوه وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى فى التلخيص ٣١٤/٣ .
وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح ابن ماجه ١٠/١ . وانظر : سير أعلام النبلاء ٤٩٤/١ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص٩٨ .

(٢) جهود التابعين :

لقد سلك علماء التابعين رحمهم الله مسلك الصحابة رضى الله عنهم فى حفظ السنة ، والاحتياط فى تحمل الحديث وروايته ، فاهتموا به اهتماماً بالغاً ، واستوثقوا له استيثاقاً كاملاً ، وحفظوه ، واستوعبوه ، وتثبتوا فيه ، فكانوا يحلفون الراوى كما فعل سلفهم ، ويطلبون الحديث من طريق آخر إذا لم يطمئنوا إليه(١).

وقد كانوا على جانب كبير من التقوى والورع والخوف من الله تعالى، وكيف لايكونون كذلك وهم تلاميذ الصحابة رضى الله عنهم الذين تخرجوا فى مدرستهم ونهلوا من معينها فتأسوا بأخلاقهم ، وتأدبوا بآدابهم ، وسلكوا سبيلهم ونهجوا نهجهم فى المحافظة على السنة والاهتمام بها ، ولم يكونوا أقل اهتماماً منهم رحمهم الله ، فقد تثبتوا واستوثقوا من الرواة ، وجاءت أقوالهم تترى تدل على مدى اهتمامهم واحتياطهم(٢).

روى ابن أبى حاتم أن عقبة بن نافع الفهرى(٣)أوصى ولده فقال : "يابنى لاتقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من ثقة"(٤).

وروى مسلم بسنده إلى محمد بن سيرين(٥)قال : "إن هذا العلم دين

---

(١) انظر : أصول الحديث ص٩٤ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص١١٠ ، أصول الحديث ص٩٢ .

(٣) عقبة بن نافع :

هو عقبة بن نافع القرشى الفهرى ، نائب افريقية لمعاوية ، وليزيد ، وهو الذى أنشأ القيروان ، وكان ذا شجاعة ، وحزم ، وديانة ، لم يصح له صحبة . قتل سنة ٦٣هـ .

انظر : أسد الغابة ٥٩/٤-٦٠ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٢/٣-٥٣٤ ، البداية والنهاية ٢١٧/٨ ، الإصابة ٤٩٢/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ٢٩/٢ .

(٥) محمد بن سيرين :

هو محمد بن سيرين الأنصارى ، أبو بكر بن أبى عمرة ، البصرى ، ثقة ثبت عابد كبير القدر . روى عن أبى هريرة وعمران بن حصين . وعنه ابن عون ، وهشام ابن حسان ، وقرة وجرير . مات سنة ١١٠هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٨٠/٧ ، الكاشف ٥١/٣ ، تقريب التهذيب ١٦٩/٢ .

فانظروا عمن تأخذون دينكم"[١].

وروى بسنده إلى أبى الزناد[٢] قال : "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ، مايؤخذ عنهم الحديث ، يقال ليس من أهله"[٣].

وروى بسنده إلى سليمان بن موسى[٤] قال : قلت لطاوس[٥]: إن فلاناً حدثنى بكذا وكذا . قال : "إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه"[٦].

وروى بسنده إلى مسعر[٧] قال :

---

(١) صحيح مسلم . المقدمة ١٤/١ .

(٢) أبو الزناد :

هو عبد الله بن ذكوان القرشى ، أبو عبد الرحمن المدنى ، معروف بأبى الزناد ، ثقة فقيه . روى عن أنس وسعيد بن المسيب والأعرج . وعنه مالك والليث والسفيانان . مات سنة ١٣٠هـ وقيل بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٤٩/٥ ، الكاشف ٨٤/٢ ، تقريب التهذيب ٤١٣/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٤) سليمان بن موسى :

هو سليمان بن موسى الأموى ، مولاهم ، الدمشقى ، الأشدق ، صدوق فقيه ، فى حديثه بعض لين وخلط قبل موته بقليل . روى عن واثلة وكثير بن مرة ومكحول . وعنه الأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز . مات سنة ١١٩هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٤١/٤ ، الكاشف ٤٠١/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١ .

(٥) طاوس :

هو طاوس بن كيسان اليمانى ، أبو عبد الرحمن ، الحميرى مولاهم ، الفارسى ، يقال اسمه ذكوان ، وطاوس لقب ، ثقة ، فقيه فاضل . روى عن أبى هريرة وابن عباس وعائشة . وعنه الزهرى وسليمان التيمى . مات سنة ١٠٦هـ وقيل بعد ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٥٠٠/٤ ، الكاشف ٤١/٢ ، تقريب التهذيب ٣٧٧/١ .

(٦) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

وملياً : أصله من مليء فأولع الناس بترك الهمزة وتشديد الياء .وهو الثقة الغنى .

انظر : النهاية ٣٥٢/٤ .

(٧) مسعر :

هو مسعر بن كدام بن ظهير ، الهلالى ، أبو سلمة الكوفى ، ثقة ، ثبت ، فاضل . روى عن عطاء وسعيد بن أبى بردة وقيس بن مسلم . وعنه القطان ويحي بن آدم . مات سنة ١٥٣هـ أو ١٥٥هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٦٨/٨ ، الكاشف ١٣٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٤٣/٢ .

سمعت سعد بن إبراهيم[١] يقول :
"لايحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الثقات"[٢].

وقال يزيد بن أبى حبيب[٣]: "إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فإن عرفت فخذه وإلا فدعه"[٤].

فهذه أقوالهم وغيرها الكثير مما يدل على شدة تحريهم ، وقوة ضبطهم وعظيم أمانتهم فى المحافظة على السنة النبوية ، وقد رحلوا كما رحل سلفهم فى تتبع الأحاديث وأخذها من الصحابة الذين تفرقوا فى الأمصار ، ولم تطب نفوسهم بسماعها من على بعد حتى رحلوا إلى مصدرها ومنبعها .

قال أبو العالية[٥]:

"كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم"[٦].

---

(١) سعد بن إبراهيم :
هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولى قضاء المدينة ، وكان ثقة فاضلاً عابداً . روى عن أنس وأبى أمامة بن سهل ، وعنه ابنه إبراهيم وشعبة وابن عيينة . مات سنة ١٢٥هـ وقيل بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٧٩/٤ ، الكاشف ٣٥٠/١ ، تقريب التهذيب ٢٨٦/١ .

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٣) يزيد بن أبى حبيب :
هو يزيد بن أبى حبيب ، المصرى ، أبو رجاء ، واسم أبيه سويد ، ثقة فقيه ، وكان يرسل . روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء وأبى الطفيل ، وعنه الليث وابن لهيعة . مات سنة ١٢٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٦٧/٩ ، الكاشف ٢٧٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٦٣/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ١٩/٢ .

(٥) أبو العالية :
هو رفيع بن مهران ، أبو العالية الرياحى ، ثقة كثير الإرسال ، رأى الصديق ، وروى عن عمر ، وأبى . وعنه عاصم الأحول ، وداود بن أبى هند . مات سنة ٩٠هـ وقيل بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٥١٠/٣ ، الكاشف ٣١٢/١ ، تقريب التهذيب ٢٥٢/١ .

(٦) سنن الدارمى ١٤٠/١ ، وانظر : الكفاية ص٥٦٩ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٢/٢ .

وقال سعيد بن المسيب[١]: "إن كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد"[٢].

وقال : "إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد"[٣].

بهذه الهمة التى لاتعرف للكسل سبيلاً ، والجهد الذى لايضمحل ، والروح العالية التى ملئت إيماناً وحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه ، وبهذا الصبر وصدق العزيمة وحسن التدين ، وشدة الحرص ، حفظ التابعون سنة نبيهم غضة طرية بعيدة عن كل كدرة وتشويه وأوصلوها إلى من بعدهم بيضاء نقية خالية من الدس والتشكيك ، صافية من العبث والتبديل . فرحمهم الله وأعلا مكانهم .

---

(١) سعيد بن المسيب :
هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو ، القرشى المخزومى ، أحد العلماء الأثبات ، الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل ، وقال ابن المدينى لاأعلم فى التابعين أوسع علماً منه . روى عن عمر وعثمان وسعد ، وعنه الزهرى ، وقتادة ، ويحي بن سعيد . مات بعد التسعين .
انظر : الجرح والتعديل ٤/٥٩-٦١ ، الكاشف ١/٣٧٣ ، تقريب التهذيب ١/٣٠٥-٣٠٦ .

(٢) جامع بيان العلم ١/١١٣ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢/٢٨٤ ، تذكرة الحفاظ ١/٥٥-٥٦ .

(٣) المحدث الفاصل ص٢٢٣ .

(٣) جهود العلماء :

لقد قيض الله عز وجل بعد الصحابة والتابعين علماء أجلاء أمناء مخلصين لحفظ السنة النبوية ، وهيأهم لذلك، فضربوا أروع الأمثلة فى الذب عن حياض السنة وحمايتها ، وضحوا بكل غال ونفيس فى خدمتها وصونها، ولم يتركوا سبيلاً يحفظ للحديث نوره إلا سلكوه وبذلوا فى ذلك نفوسهم وأموالهم صيانة لإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تعبث به أيادى الحاقدين أو رعونات الجاهلين أو فلتات الغافلين أو ترهات الكذابين أو تأويل المبطلين .

فتثبتوا وتحروا ، وحفظوا واستوعبوا ، وحققوا ودققوا ، ونقحوا وهذبوا ، وجرحوا وعدلوا ، وصححوا وضعفوا ، ودونوا وألفوا ، وضبطوا وحرروا ، ومحصوا وغربلوا ، ووضعوا القواعد ، واحتاطوا وبلغوا فى الاحتياط غايته فحفظوا لنا سنة نبينا صلى الله عليه وسلم حتى وصلت إلينا(١).

وفى الحقيقة لم يخدم علم على وجه الأرض مثل ماخدم حديث النبى صلى الله عليه وسلم من قبل علماء الحديث ، ولم تبذل جهود قط كتلك التى بذلت فى خدمته وحفظه(٢).

وقد وضعوا منهجاً متيناً رصيناً استطاعوا من خلاله أن يحيطوا السنة بسياج سميك ضمن لها البقاء معافاة سليمة جنباً إلى جنب مع كتاب الله عز وجل . ويتمثل ذلك فى أمور منها :

(أ) التثبت فى الحديث :

كانوا رحمهم الله يستوثقون فى تحمل الحديث وروايته ، فلايقبلوا إلا ماثبت عندهم .

---

(١) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص١٩٣ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص٢١٠ .

قال الأوزاعى : "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة . فما عرفوا منه أخذنا ، وماتركوا تركناه"(١).

وكانوا يحفظون الحديث صحيحه وضعيفه وموضوعه حتى لايلتبس أمره عليهم . قال الثورى : "إنى لأروى الحديث على ثلاثة أوجه : أسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا ، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لاأعبأ بحديثه وأحب معرفته"(٢).

(ب) **بيان أحوال الرواة :**

وقد تتبعوا أحوال الرواة وكشفوا وأبانوا عنهم فوثقوا من حقه التوثيق وضعفوا من كان أولى بالتضعيف ، لايخشون فى ذلك أحدا إلا الله ، ولاتأخذهم فى الحق لومة لائم ، ولو كان من ضعفوا من أقرب الناس إليهم.

قال زيد بن أبى أنيسة(٣): "لاتأخذوا عن أخى "(٤).

---

(١) الجرح والتعديل ٢١/٢ .

(٢) الكفاية ص٥٦٨ . وانظر : الكامل فى الضعفاء ٨٢/١ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٥٠/٢ .

(٣) زيد بن أبى أنيسة :
هو أبو أسامة الجزرى ، أصله من الكوفة ثم سكن الرها ، ثقة له أفراد . روى عن شهر ، وعطاء ، والحكم . وعنه مالك ، وعبيد الله بن عمر . مات سنة ١١٦هـ وقيل ١٢٤هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٥٥٦/٣ ، الكاشف ٣٣٦/١ ، تقريب التهذيب ٢٧٢/١ .

(٤) صحيح مسلم ، المقدمة ٢٧/١ .
وأخوه هو يحي بن أبى أنيسة ، أبو زيد الجزرى ، ضعيف ، مات سنة ١٤٦هـ .
انظر : الكاشف ٢٥٠/٣ ، تهذيب التهذيب ١٨٣/١١-١٨٥ ، تقريب التهذيب ٣٤٣/٢ .

وقال على بن المدينى لمن سأله عن أبيه(١): "سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : "هو الدين ، إنه ضعيف"(٢).

وكانوا يأمرون تلاميذهم بكشف حال الراوى وبيان أمره .

قال يحي بن سعيد(٣): "سألت سفيان الثورى وشعبة ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لايكون ثبتاً فى الحديث فيأتينى الرجل فيسألنى عنه . قالوا أخبر عنه أنه ليس بثبت"(٤).

---

(١) أبوه : هو عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى مولاهم ، أبو جعفر المدنى ، بصرى أصله من المدينة ، ضعيف . يقال تغير بآخرة ، روى عن عبد الله بن دينار وزيد بن أسلم . وعنه ابنه وقتيبة . مات سنة ١٧٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٥/٢٢-٢٣ ، الكاشف ٢/٧٧-٧٨ ، تقريب التهذيب ١/٤٠٦-٤٠٧ .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٦٦ ، ط/مطبعة الترقى عام ١٣٤٩هـ.

(٣) يحي بن سعيد :
هو يحي بن سعيد بن فروخ ، التميمى ، أبو سعيد القطان البصرى ، ثقة متقن حافظ ، إمام قدوة . قال أحمد : "مارأيت مثله" . قال الذهبى : "وكان رأساً فى العلم والعمل" . روى عن هشام بن عروة ، وحميد والأعمش . وعنه أحمد وعلى ويحي . مات سنة ١٩٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٩/١٥٠-١٥١ ، الكاشف ٣/٢٥٦ ، تقريب التهذيب ٢/٣٤٨

(٤) صحيح مسلم ، المقدمة ١/١٧ ، ونحوه فى : الجرح والتعديل ٢/٢٣-٢٤ ، المجروحين ١/٢٠ ، شرف أصحاب الحديث للخطيب ص١٢٤ .

ولذلك فهم رحمه الله الدرس واستوعبه فما كان يأخذ حديثاً إلا من يد نظيفة . قال أبو بكر بن خلاد[(١)]: قلت ليحيى بن سعيد القطان : "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال قال : لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلى من أن يكون خصمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لم حدثت عنى حديثاً ترى أنه كذب؟"[(٢)].

وقد بينوا أحوال الرواة ليصلوا إلى الحكم على الحديث وبالتالى تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع لبناته وأرسى قواعده الصحابة والتابعون وأتباعهم[(٣)].

(ج) الرحلة فى طلبه :

كما رحل الصحابة والتابعون فى طلب الحديث رحل من بعدهم من العلماء فقطعوا البرارى والوديان وهجروا الراحة والدعة وتركوا الأهل والأوطان ، وذاقوامرارة الأسفار ومشاقها طلباً للحديث ورغبة فيه ، لعلمهم بأهمية الرحلة وفوائدها فى نشر السنة، ومعرفة طرق الحديث ، وجمعه وتمحيصه والتثبت فيه[(٤)].

قال أبو حاتم :

"فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدوهم إلى الصراط المستقيم ، الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم فى الديار والأوطان فى طلب السنن فى الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار والدوران

---

(١) أبو بكر بن خلاد :
هو محمد بن خلاد بن كثير الباهلى ، أبو بكر البصرى ، ثقة . روى عن معتمر وطبقته . وعنه مسلم وأبو داود وغيرهما . مات سنة ٢٤٠هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ٢٤٦/٧ ، الكاشف ٤٠/٣ ، تقريب التهذيب ١٥٩/٢ .

(٢) الكفاية ص٩٠ ، ونحوه فى : الكامل فى ضعفاء الرجال ٩٨/١ ، شرح علل الترمذى ٤٦٦/١ ، تحذير الخواص ص١٧٥ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٣٥ ، أصول الحديث ص٤٣٢ .

(٤) انظر فوائد الرحلة فى : السنة قبل التدوين ص١٨١ .

فى جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل فى الحديث الواحد الفراسخ البعيدة ، وفى الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مضل فى السنن شيئاً يضل به ، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب ، والقائمون بنصرة الدين"(١).

قال ابن أبى حاتم :

سمعت أبى يقول : "أول سنة خرجت فى طلب الحديث ، أقمت سبع سنين ، أحصيت مامشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ" . قلت : [القائل الذهبى] "مسافة ذلك نحو أربعة أشهر . سير الجادة".

قال : "ثم تركت العد بعد ذلك ، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة ماشياً ، ثم إلى دمشق ، ثم أنطاكية وطرسوس ثم رجعت إلى حمص ، ثم إلى الرقة ، ثم ركبت إلى العراق ، كل هذا فى سفرى الأول وأنا ابن عشرين سنة"(٢).

هذا مثال ، وغيره الكثير مما يدل على مابذله القوم من جهد جهيد فى أسفارهم ، تتبعاً للأحاديث وجمعها وحفظها وإبلاغها ، وهو أمر يدل على شدة الحرص وبالغ العناية ، قل أن يوجد له مثيل ، وندر أن يعرف له مشابه . إنه تسخير إلهى حفظ الله به دينه ، وأبقى به شرعه . وقد جعلهم سبحانه أوعية لحمل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ووهبهم من الصفات التى مكنتهم من حفظها وصيانتها .

(د) **مقاومة الوضاعين وتمييز الموضوعات :**

لقد أجمع العلماء على حرمة وضع الحديث كما أجمعوا على حرمة رواية الموضوعات فى جميع جوانب الدين . أحكاماً كانت أو قصصاً أو ترغيباً أو ترهيباً ، إلا ببيان حكمها(٣).

---

(١) المجروحين ٢٧/١ .

(٢) الجرح والتعديل ٣٥٩/١-٣٦٠ بتصرف ، سير أعلام النبلاء ٢٥٥/١٣-٢٥٦ .

(٣) انظر : أصول الحديث ص٤٢٨ .

وطاردوا الكذابين والوضاعين وأبانوا عوارهم ، وكشفوا عيوبهم وأقضوا مضاجعهم ، وسلكوا معهم مسالك شتى ، ووقفوا منهم مواقف عدة كان لها الفضل فى تحجيم الوضع ومنع انتشاره،من ذلك :

تحذير الناس منهم ببيان حالهم والقدح فيهم .

قال المكى بن إبراهيم (١): "كان شعبة يجيء إلى عمران بن حدير (٢) فيقول : "قم بنا حتى نغتاب فى الله تبارك وتعالى" (٣).

وقال حماد بن زيد : "جاءنى أبان بن أبى عياش (٤)، فقال : أحب

---

(١) المكى بن إبراهيم :

هو المكى بن إبراهيم بن بشير التميمى البلخى ، أبو السكن ، ثقة ثبت . روى عن يزيد بن أبى عبيد وجعفر بن محمد ، وعنه البخارى ومعمر بن محمد . مات سنة ٢١٥هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٤١/٨ ، الكاشف ١٧٣/٣ ، تقريب التهذيب ٢٧٣/٢ .

(٢) عمران بن حدير :

هو عمران بن الحدير ، أبو عبيدة السدوسى ، البصرى . ثقة . روى عن أبى مجلز وأبى قلابة ، وعنه شعبة ووكيع . مات سنة ١٤٩هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٦/٦-٢٩٧ ، الكاشف ٣٤٨/٢ ، تقريب التهذيب ٨٢/٢ .

(٣) المجروحين ١٩/١ .

(٤) أبان بن أبى عياش :

هو أبان بن أبى عياش ، البصرى ، أبو إسماعيل العبدى . واسم أبيه فيروز . متروك . روى عن أنس وأبى العالية . وعنه فضيل ، ويزيد بن هارون ، وسعيد ابن عامر . مات فى حدود ١٤٠هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٥/٢-٢٩٦ ، الكاشف ٧٥/١ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

أن تكلم شعبة أن يكف عنى ، قال : فكلمته فكف عنه أياماً ، فأتانى فى بعض الليالى فقال : إنك سألتنى أن أكف عن أبان ، وأنه لايحل الكف عنه فإنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

وكانوا يفعلون ذلك حسبة وتديناً لله سبحانه وصيانة للحديث .

قال أبو حاتم :

"والكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الحرام ويحرم الحلال ويتبوأ مقعده من النار . وكيف لايجوز القدح فيمن تبوأ مقعده من النار"(٢).

وقال مسلم :

"إنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث ، وناقلى الأخبار ، وأفتوا بذلك حين سئلوا ، لما فيه من عظيم الخطر ، إذ الأخبار فى أمر الدين إنما تأتى بتحليل ، أو تحريم أو أمر أو نهى أو ترغيب أو ترهيب . فإذا كان الراوى لها ليس بمعدن للصدق والأمانة ، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين مافيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثماً بفعله ذلك غاشاً لعوام المسلمين ، إذ لايؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها ، أو يستعمل بعضها ، ولعلها أو أكثرها أكاذيب ، لاأصل لها ، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة ولامَقْنَع"(٣).

ومن ذلك أيضا تذكيرهم بالله ووعظهم ، وتعنيفهم ، وترك السلام عليهم ، والتشهير بهم ، وكتابة المحاضر والاشهاد عليها ، وتمزيق الكتب فى وجوههم ، والاستعداء(٤) عليهم ووصفهم بالألقاب التى تبين أمرهم ،

---

(١) المجروحين ٢٠/١ ، وانظر : الجرح والتعديل ٢١/٢ .

(٢) المجروحين ١٩/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ٢٨/١ .

ومقنع : أى مرضى . انظر : القاموس المحيط ص٩٧٧ .

(٤) الاستعداء : هو الاستعانة والاستنصار . انظر : القاموس المحيط ص١٦٨٨-١٦٨٩ .

وهجرهم ، وعدم الصلاة عليهم إذا ماتوا،وشهود جنائزهم[١].

قال الشافعي رحمه الله :

"لولا شعبة ماعرف الحديث بالعراق ، كان يجيء إلى الرجل فيقول : لاتحدث وإلا استعديت عليك السلطان"[٢].

وحدث حماد المالكي [٣]- وكان كاذباً - حديثاً فجاءه عمرو الأنماطي [٤]، وقال له : "والله لاتفارقني حتى استعدى عليك ، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن ، وحلف لايحدث به ، فكتبت عليه كتاباً وأشهدت عليه شهوداً"[٥].

قال حمزة الزيات[٦]:

---

(١) انظر : الوضع في الحديث ٣٧٢/٢-٣٧٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢٣١/٢ .

(٣) حماد المالكي :

هو حماد بن مالك . ويقال حماد المالكي ، شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب . ميزان الاعتدال ٦٠٢/١ .

(٤) عمرو الأنماطي : لم أقف على ترجمته .

(٥) المحدث الفاصل ص٣١٧ ، الجامع لأخلاق الراوي ٢٣٠/٢ ، تحذير الخواص ص١٨٧ .

(٦) حمزة الزيات :

هو حمزة بن حبيب الزيات القارىء ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم ، صدوق زاهد ، ربما وهم . روى عن الأعمش ومنصور والحكم بن عتيبة . وعنه وكيع وأبو نعيم . مات سنة ١٥٦هـ أو ١٥٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٠٩/٣-٢١٠ ، تاريخ الثقات ص١٣٣ ، تقريب التهذيب ١٩٩/١ .

"سمع مرة الهمدانى (١) من الحارث (٢) شيئاً ، فقال له : اقعد بالباب ، قال : فدخل مرة وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب" (٣).

وهذه قطرة من فيض من جهاد العلماء للكذابين ومقاومتهم حتى انقمع الكثير منهم وسلم الناس من شرهم وضررهم .

كما أنهم ميزوا الأحاديث الصحيحة من الموضوعة ونقوها ، حتى إنه لايوجد حديث إلا وبين العلماء درجته وأجلوا أمره (٤).

قيل لابن المبارك : هذه الأحاديث الموضوعة؟

فقال : "تعيش لها الجهابذة {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}" (٥)(٦)

وصنفوا فى ذلك الكتب فى أسماء الوضاعين ، والموضوعات حتى أصبح ذلك غير خاف على أحد من علماء الحديث وجهابذته ، بل أصبحت السنة كلها بفضل هذه التآليف من كتب الصحاح والجوامع (٧) ،

---

(١) مرة الهمدانى :
هو مرة بن شراحيل الهمدانى ، أبو إسماعيل الكوفى وهو الذى يقال له مرة الطيب ، ثقة عابد . روى عن أبى بكر وعمر وعلى وابن مسعود . وعنه الشعبى ، وأبو إسحاق الهمدانى . مات سنة ٧٦هـ وقيل بعد ذلك .
انظر : الجرح والتعديل ٣٦٦/٨ ، تقريب التهذيب ٢٣٨/٢ .

(٢) الحارث :
هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى ، الحوتى ، الكوفى ، أبو زهير ، صاحب على ، كذبه الشعبى فى رأيه ، ورمى بالرفض ، وفى حديثه ضعف . روى عن على وابن مسعود ، وعنه عمرو بن مرة والشعبى . مات فى خلافة ابن الزبير سنة ٦٥هـ
انظر : الجرح والتعديل ٧٨/٣-٧٩ ، الكاشف ١٩٥/١ ، تقريب التهذيب ١٤١/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١٩/١ .

(٤) انظر : السنة حجتيها ومكانتها فى الإسلام ص٢٣٣ .

(٥) سورة الحجر : آية ٩

(٦) السنة قبل التدوين ص٢٢٠ ، وانظر : الجرح والتعديل ١٨/٢ .

(٧) الجوامع : جمع "جامع" والجامع فى اصطلاح المحدثين : كل كتاب حديثى يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والرقاق وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام ، ومايتعلق بالتفسير والتاريخ ، والسير والفتن والمناقب والمثالب وغير ذلك . أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص٩٧ .

والمسانيد [١]، والسنن [٢] وغيرهـا واضحة جليـة لالبس فيهـا ولاغمـوض [٣].

كمـا وضعـوا القواعد التى تميز الصحيـح مـن غيره ، ووضعـوا أخرى تدل على وضع الحديث وعدم صحته ، وسوف نورد ذلك بشىء من التفصيل خلال الرد على شبه المستشرقين .

والنتيجة التى نخلص بها من كل ذلك : أن الحديث النبـوى حفظ كما حفـظ القـرآن ، وظل طيلة القـرون الماضية سليماً معافى بسبـب الجهـود التى بذلت فى المحافظة عليه وتنقيته مما علق به من شوائب ، ودون فى الكتب ، وبين الصحيح من غيره ، وأقوى شاهد على ذلك هذه الكتب التى زخرت بها رفـوف المكتبـات العامة والخاصـة فى جميـع علوم الحديث وأنواعـه وفنـونه ورواته ، بحيث لايعجز طالب علم أن يقف على درجة حديث ومدى صحته .

---

(١) المسانيد :
هـى الكتب التى جمعت فيها أحاديث كل صحابى على حدة ، ورتبـت فيها أسماء الصحـابة على حروف الهجـاء ، أو على القبـائل ، أو السابقـة فى الإسلام أو غير ذلك .
انظر : الرسالة المستطرفة ص٤٦ ، أصول الحديث ص٤٠ .

(٢) السنن :
هى الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية ، وتشتمل على الأحاديث المرفـوعة فقط .
انظر : الرسالة المستطرفة ص٢٥ ، أصول التخريج ص١١٥ .

(٣) انظر : الحديث والمحدثون ص٤٨٢ .

(٤) عرض شبه المستشرقين حول صحة الحديث والجواب عنها :

(١) السنة هى جماع العادات والتقاليد الوراثية فى المجتمع العربى الجاهلى فنقلت إلى الإسلام ، فأصابها تعديل جوهرى عند انتقالها ، ثم أنشأ المسلمون من المأثور من المذاهب والأقوال والأفعال والعادات لأقدم جيل من أجيال المسلمين سنة جديدة[(١)].

ويرى كولسون[(٢)] أن السنة فى القرن الهجرى تعنى مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة ، ثم نسبت بعد قليل إلى أسماء معدودة من الشخصيات المشهود لها بالفضل والتقى ، فعمر يذكر باعتباره مؤسس سنة المدينة ، وعبد الله بن مسعود فى الكوفة ، ثم وصل الأمر فى النهاية إلى نسبة تلك الآراء إلى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه[(٣)].

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص٤٢، ٢٥١ ، دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٣٠ .

(٢) كولسون : لم أقف له على ترجمة .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ص٢٦٩-٢٧٠ بتصرف .

على ضوء ماسبق يمكن أن نجيب على هذه الشبهة ، وهي في الحقيقة شبهة متهافتة أنتجتها عقلية غربية غريبة عن الإسلام وليس ذلك فحسب بل تحمل من الحقد والعداء إلى الإسلام وأهله الشيء الكثير ، ولذلك لايستغرب منهم هذا الأمر وغيره .

وهي دعوى بنيت على جرف هار لاتمت إلى الحقيقة بصلة ، وسبق أن بينا أن السنة لها إطلاقات في الشرع (١)، ولكن ليس من بينها هذا الذى يزعمه المستشرقون ، مع العلم بأن السنة إذا أطلقت من غير تقييد فهي لاتعني إلا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ترادف الحديث عند المحدثين (٢).

وهذه الشبهة إنما نجمت في أذهان المستشرقين من زعمهم أن الحديث النبوى جاء نتيجة للوضع ولم يرد من قبل النبي صلى الله عليه وسلم الذى يطعنون في نبوته .

وماذكرناه سلفاً من أدلة تبين حفظ السنة ونقائها يبين بطلان هذا الزعم ويقتلعه من جذوره (٣).

---

(١) انظر ص : ٣ فما بعدها.
(٢) انظر ص : ٤
(٣) انظر ص : ٨ فما بعدها.

(٢) **الحديث النبوى وأثر الوضع فيه :**

ويتمثل ذلك فى الأمور التالية :

(أ) **الحديث نتيجة للتطور الدينى خلال القرون الأولى :**

قال جولد زيهر :

"إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول ، والثانى ، وأنه ليس صحيحاً مايقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج"(١).

ومثال لحديث جاء نتيجة للتطور ، حديث "إنما الأعمال بالنيات"(٢).

قال زيهر : "وقد ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية ، يقول الله : "لاقونى بنياتكم ولاتلاقونى بأعمالكم" وهو حديث متأخر ظهر كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك وعلامة على قيمة أعمالهم الدينية"(٣).

(ب) **الحديث نتيجة للجدل الدينى فى القرون الأولى :**

قال ماكدونالد(٤):

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص١٢٧ ، السنة قبل التدوين ص٢٤٩ .

(٢) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) العقيدة والشريعة ص٥٣ .

(٤) ماكدونالد :

هو دنكان بلاك ماكدونالد ، مستشرق أمريكى من أعضاء المجمع العلمى العربى . كان من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامى ، تعلم العربية والعبرية والسريانية . مات سنة ١٩٤٣م .

من آثاره : "دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢" ، "عقيدة الوحى فى الإسلام" وغير ذلك الكثير .

انظر : المستشرقون ٣/١٠٠١-١٠٠٢ ، الأعلام ٢/٣٣٠ .

قال مصطفى السباعى : "من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة . من كبار محررى دائرة المعارف الإسلامية" . الاستشراق ص٣٦ .

"فمن الواضح أن هنالك أحاديث كثيرة لايمكن أن تكون قد صدرت عنه - محمد - كما إننا لن نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التى صدرت عنه حقاً . وقد بين لنا جولد زيهر أن الأحاديث ليست فى الواقع إلا سجلاً للجدل الدينى فى القرون الأولى ، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية . لكن هذا السجل مضطرب ، كثير الأغلاط التاريخية ، وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى ، حتى أنه أصبح لايصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها . ولهذا ينبغى أن نوجز الكلام فى الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد أو آراء المسلمين فى صدر الإسلام ، ولايقتصر الأمر على هذا ، فإن الأحاديث التى نجد فيها مشابهة لما ورد فى القرآن مشكوك فيها كذلك"(١).

(ج) **القسم الأعظم من الحديث أنشئ بعد قرنين من الزمان :**

قال كارل بروكلمان :

"القسم الأعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام . ومن هنا تعين اصطناعه كمصدر لعقيدة النبى نفسه فى كثير من الاحتياط والحذر"(٢).

وقال كولسون :

"القدر الأعظم من المادة التشريعية المنسوبة إلى النبى منحولة وناتجة عن نسبة الآراء الفقهية إلى فترة سابقة على ظهورها"(٣).

(د) **لم تصح نسبة حديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم :**

قال شاخت(٤):

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٠/٢ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٧١ .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٧٣/١ .

(٤) شاخت : هو جوزيف شاخت . مستشرق ألمانى . ولد عام ١٩٠٢م . عمل محاضراً للدراسات الإسلامية فى عدد من الجامعات . كان من أعضاء المجمع العلمى العربى فى دمشق . وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامى . =

"لاصحة لأى حديث منسوب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن أقدم مابين أيدينا من أحاديث الأحكام لايرجع إلا إلى سنة (١٠٠) هجرية ليس إلا"(١).

(هـ) أن الحديث تكون من لمم من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة :

قال جولد زيهر :

"لم تندمج فى الحديث أمور القانون والعادات والعقائد والأفكار السياسية ، بل قد لف فيه كل مايملكه الإسلام من محصوله الشخصى . وكذلك الأمور الغريبة عنه ، وقد غير هذا الغريب المستعار تغييراً أبعده عن أصله المأخوذ منه ، وضم ذلك كله إلى الإسلام .

فهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين أومأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم الفلسفة اليونانية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، كل ذلك أخذ مكانه فى الإسلام عن طريق "الحديث" حتى لفظ "أبونا" لم يعدم مكانه فى الحديث المعترف به ، وبهذا أصبحت ملكاً خالصاً للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر تلك الأشياء البعيدة عنه .

والمثل الحسن لذلك هو هذا المثل المعروف فى الأدب العالمى للأعمى الذى كان يحمل كسيحاً يسرق فاكهة الأشجار ، وهو مثال للمسئولية المشتركة بين الجسم والروح .

= من آثاره : صنف كتاباً فى نشأة الفقه الإسلامى ، وشارك فى إعداد المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، وله مقالات ودراسات مختلفة .

انظر : المستشرقون ٢/٨٠٣-٨٠٥ .

قال السباعى : "ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين" . الاستشراق ص٣٨ .

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٢٧٣ .

وهـذا مـايظهر فى الإسلام متمثلاً فى الحديث وسنـده المتصـل ... وعن هذا الطريق دخل الإسلام ، وتسـرب إليه كنز كبير مـن القصـص الدينية ، حتى إذا مـانظرنا إلى المواد المعدودة فى الحديث ، ونظـرنا إلى الأدب الدينى اليهودى ، فإننا نستطيع أن نعثر على قسم كبير دخل الأدب الدينى الإسلامى من هذه المصادر اليهودية"(١).

(١) العقيدة والشريعة ص٥١-٥٢ ، وانظر : دراسات فى حضـارة الإسلام ص٢٨٥-٢٨٩

الجواب على ذلك :

(أ) **زعمهم أن الحديث نتيجة للتطور الدينى خلال القرون الأولى :**

لقد انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل على يديه بنيان الإسلام وتم أمره ، ومن أقوى الأدلة على ذلك قوله تعالى فى آخر ماأنزل : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً}(١).

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حاثاً لهم على التمسك بسنته والحفاظ عليها : "إنى تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى"(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم : "نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها"(٣).

فشرع الله اكتمل والرسول صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة ، ودين الله تم ونبى الإسلام بين ظهرانى أصحابه .

وقد تفرق الصحابة فى البلدان والأمصار التى فتحها المسلمون حاملين معهم شعائر الإسلام من فرائض وسنن وأخلاق وآداب فبثوها فى تلك البقاع التى وطئتها أقدامهم ومع ذلك لاتجد فرقاً بين عبادة المسلم فى شمال افريقيا وجنوب الصين ، فلو كان الإسلام نتيجة للتطور ماوجدت هذه الموافقة فى العبادات مع مابينها من المسافات الشاسعة(٤).

ومن أوضح مايدل على نضوج الإسلام فى عصره الأول إن عمر رضى الله عنه ساس مملكتى الفرس والروم بأحسن مما كان يسوسهما ملكاهما وهما هما فى الرقى والحضارة ، فلو كان الإسلام قاصراً فى ذاك الوقت لم يكتمل نضجه كيف استطاع الفاروق إذن أن يقيم الأمن والعدل

---

(١) سورة المائدة : آية ٣

(٢) سبق تخريجه . انظر ص ٤٧٤

(٣) سبق تخريجه . انظر ص ١٢

(٤) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩٥،١٩٦ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٣٢ .

والسعادة فى ربوع تلك البلاد الواسعة ، أمناً لم تذقه شعوبها من قبل ، وعدلاً لم تنعم به إلا فى ظل الإسلام(١).

وهنالك أمر لابد من بيانه وهو : أن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا بقواعد كلية وأصول عامة تناسب كل زمان ومكان ، استفاد منها علماء الإسلام على مر العصور فى استنباط الأحكام للأمور المستجدة فى كل عصر ومصر دون تأثير على القواعد الكبرى والأهداف العليا . وهذه الاستنباطات ليست أحاديث ، ولم يزعم أحد من المسلمين أنها كذلك . والإسلام بقواعده وأصوله صالح لكل زمان ومكان فلاحاجة تستدعى من المسلمين أن يختلقوا من الأحاديث مايكون حلاً لمشاكل حياتهم الجديدة(٢).

وأما حديث "إنما الأعمال بالنيات"(٣)، وادعاء زيهر بأنه ظهر أخيراً كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك ، أى أنه نتيجة لتطور الإسلام.يجاب على ذلك:

---

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩٦ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٥١-٢٥٢ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٣٢-٢٣٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحى (١) ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، ٢/١ ، كتاب الإيمان (٢) ، باب ماجاء إن الأعمال بالنية (٤١) إلا أنه قال : "بالنية" ٢٠/١ ، كتاب العتق (٤٩) ، باب الخطأ والنسيان (٦) ، إلا أنه قال : "بالنية" ١١٩/٣ .
كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٤٥) ، إلا أنه قال "بالنية" ٢٥٢/٤ .
كتاب النكاح (٦٧) ، باب من هاجر أو عمل خير (٥) ، إلا أنه قال : "العمل بالنية" ١١٨/٦ ، كتاب الطلاق (٦٨) ، باب الطلاق فى الاغلال والمكره (١١) . معلقاً . وقال : "بالنية" ١٦٨/٦ ، كتاب الأيمان والنذور (٨٣) ، باب النية فى الأيمان (٢٣) ، وقال : "بالنية" ٢٣١/٧ .
كتاب الحيل (٩٠) ، باب فى ترك الحيل (١) ، وقال : "بالنية" ٥٩/٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة (٣٣) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنية" (٤٥) برقم ١٩٠٧ إلا أنه قال : "بالنية" ١٥١٥/٣-١٥١٦ . =

أولاً : هـذا حديث صحيح أخرجه أصحاب الكتب الستة وكرره البخارى فى مواضع من صحيحه ، وذكر الحافظ ابن حجر على أنه أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ[١].

ثانياً : قال الحافظ ابن حجر :

"وقد تواتر النقل عن الأئمة فى تعظيم قدر هذا الحديث . قال أبو عبد الله:"ليس فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم شىء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث". واتفق عبد الرحمن بن مهدى ، والشافعى ... وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وأبو داود والترمذى والدارقطنى وحمزة

= وأخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الطلاق ، باب فيما عنى به الطلاق والنيات برقم ٢٢٠١ ، ٢٦٢/٢ .

وأخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب فضائل الجهاد (٢٣) ، باب ماجاء فيما يقاتل رياء وللدنيا (١٦) ، برقم ١٦٤٧ . ولفظه : "إنما الأعمال بالنية" ١٥٤/٤ .

وأخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الطهارة ، باب النية فى الوضوء ، إلا أنه قال : "بالنية" ٥١/١ ، وفى كتاب الطلاق ، باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه . وقال : "بالنية" ١٢٩/٦ . وفى كتاب الأيمان والنذور ، باب النية فى اليمين . وقال "بالنية" ١٢/٧-١٣ .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب النية (٢٦) برقم ٤٢٢٧ ، ١٤١٣/٢ .

وأخرجه أحمد فى مسنده ، وقال : "بالنية" ٢٥/١،٤٣ .

(١) انظر : فتح البارى ١١/١ .

الكنانى(١) على أنه ثلث الإسلام . ومنهم من قال ربعه، واختلفوا فى تعيين الباقى . وقال ابن مهدى أيضاً :"يدخل فى ثلاثين باباً من العلم".

وقال الشافعى :"يدخل فى سبعين باباً" ويحتمل أن يريد بهذا العدد المبالغة .

وقال عبد الرحمن بن مهدى أيضاً : "ينبغى أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب"(٢).

ثالثاً : هنالك كثير من نصوص القرآن والسنةالتى جاءت فى معنى هذا الحديث ، من ذلك :

قوله تعالى : {وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}(٣)، والآية تخاطب أهل الكتابين ، وفى ذلك اشتراط النية فى صحة الأعمال للأمم السابقة(٤).

وقوله تعالى : {لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم}(٥). وقوله تعالى : {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون}(٦).

---

(١) حمزة الكنانى :
هو حمزة بن محمد بن على بن العباس ، الإمام الحافظ القدوة ، أبو القاسم الكنانى المصرى . من حفاظ الحديث . وكان ورعاً كثير العبادة ، جمع الحديث وصنف فيه ، وكان متقناً . سمع النسائى وأبا يعلى الموصلى . وحدث عنه الدارقطنى وابن مندة . مات سنة ٣٥٧هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٩٣٢/٣-٩٣٤ ، سير أعلام النبلاء ١٧٩/١٦-١٨١ ، شذرات الذهب ٢٣/٣-٢٤ ، الأعلام ٢٨٠/٢ .

(٢) فتح البارى ١١/١ .

(٣) سورة البينة : آية ٥

(٤) انظر : فتح البارى ١٠/١ .

(٥) سورة الحج : آية ٣٧

(٦) سورة هود : آية ١٥،١٦

ومن الأحاديث : حديث عائشة رضى الله عنها : وفيه "ثم يبعثون على نياتهم"(١)، وفى حديث معن بن يزيد : "لك مانويت يايزيد ولك ماأخذت يامعن"(٢)، وحديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : "من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله"(٣). والأدلة من القرآن والسنة كثيرة جداً فى تأييد معنى هذا الحديث . ولكن زيهر لم يطعن فى هذا الحديث من فراغ ، فقد كان يعلم قدره وعظمته ومكانته فى الإسلام فإذا سهل له أن يقدح فيه فغيره أولى بالقدح . ولكن الأمر على خلاف مايظن ويأمل.

وقوله : "لاقونى بنياتكم ولاتلاقونى بأعمالكم" . خلاف مادل عليه الحديث ، فإن الحديث لم ينف الأعمال ، بل شرط لصحتها النية ، إذ العمل مطلوب شرعاً كما قال سبحانه : {وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون}(٤)، وقرنه بالإيمان فى أكثر من آية ، وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ماذكر فى الأسواق (٤٩) ، ٣/١٩-٢٠ ، وأخرجه تعليقاً عنها رضى الله عنها ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (٦) ، ٢/٢٢٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت (٢) ، برقم ٢٨٨٤ ، ولفظ آخره : "يبعثهم الله على نياتهم" ٤٠/٢٢١٠-٢٢١١ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الزكاة (٢٤) ، باب إذا تصدق على ابنه وهو لايشعر (١٥) ، ٢/١١٦ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً (٤٥) ، ١/٤٠ ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا (١٥) ، ٣/٢٠٦ ، كتاب فرض الخمس (٥٧) ، باب من قاتل للمغنم (١٠) ، ٤/٥١ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ٨/١٨٩ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة (٣٣) ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (٤٢) برقم ١٩٠٤ ، ٣/١٥١٢-١٥١٣ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٧٢

وأعمالكم"(١). ولقد أتى زيهر من العجمة فى قوله هذا إن أعرضنا صفحاً عن سوء القصد ، وإضافته هذا القول إلى الله تعالى ضلال بعيد .

(ب)،(ج)،(د) زعمهم أنه نتيجة للجدل الدينى ، وأن القسم الأعظم منه نشأ بعد قرنين من الزمان ، وأنه لم تصح نسبة حديث للنبى صلى الله عليه وسلم،

هذه المزأعم بما فيها من تباين تصب كلها فى مصب واحد ، وهو أن مابين أيدى المسلمين الآن من ثروة حديثية تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم هى فى الحقيقة منحولة عنه ، موضوعة،إما كلها أو القدر الأعظم منها. هكذا يزعمون .

وفى الحقيقة لايستطيع أحد أن ينكر وقوع الوضع فى الحديث ، لأن إنكاره إنكار أمر محسوس ثابت بالأدلة ، فهنالك من الأحاديث مالايمكن أن تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، بل وجوده كان أول دافع جعل أئمة الحديث يبذلون الجهد فى تنقية الحديث الصحيح وذب الكذب والموضوع عنه بشتى السبل ومختلف الطرق(٢).

والحديث ليس نتيجة للوضع ، وإنما الوضع أمر طارىء على الحديث ، ولذا تحدث العلماء عن نشأته ومبدئه ، ونصوا على ذلك . ومع تباين أقوالهم فى تحديد الفترة الزمنية لنشأته . إذ أن بعضهم حدده بمبدأ فتنة عثمان رضى الله عنه ، وآخرون بمقتله والاختلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما(٣).

اعتماداً على قول ابن سيرين : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلايؤخذ حديثهم"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، من حديث أبى هريرة . كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم ظلم المسلم (١٠) برقم ٢٥٦٤ ، ١٩٨٧/٤ .

(٢) انظر : الباعث الحثيث ص٧٦ ، الوضع فى الحديث ١٧٥/١-١٧٦ .

(٣) انظر : الوضع فى الحديث ١٨١/١ .

(٤) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

وذكر بعضهم لذلك تاريخاً وهو العام الحادى والأربعون من الهجرة(١).

ورجح عمر حسن فلاتة أنه فى الثلث الأخير من القرن الأول(٢).

فمع هذا التباين إلا أن الوضع أمر حادث طارئ لم يكن ثم كان .

وهناك أسباب ودوافع أدت إلى ظهور الوضع فى الحديث . فبعد أن كانت الأمة الإسلامية معافاة سليمة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد الشيخين وطرف من عهد عثمان رضى الله عنه ، بدأت الفتنة تبرز إلى السطح فقتل عثمان رضى الله عنه ، وتقاتل على رضى الله عنه مع أصحاب الجمل(٣)، ثم مع معاوية فى صفين(٤)، واندس بين الصفوف من يكيد للإسلام ويحقد عليه ، فأذكى هؤلاء نار الفتنة وزادوا أوارها ، وانقسمت هنالك الأمة إلى شيع وأحزاب ، يطعن بعضهم بعضاً ، ويسىء بعضهم إلى بعض ، ولجأوا إلى القرآن والسنة ليجد كل فريق فيهمامايؤيد دعواه ويدعم قوله ، ومن المحال أن يجد كل حزب مايصبوا إليه ، فتؤول هنالك القرآن وحملت نصوص السنة مالاتحتمل ، وبقيت مع ذلك ثغرات

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص٤٨٠ .

(٢) انظر : الوضع فى الحديث ٢٠٢/١ .

(٣) أصحاب الجمل :

هم طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ومن تبعهم من المطالبين بدم عثمان رضى الله عنه ، والتقوا مع أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومن معه بالقرب من البصرة . فكان بينهم موقعة الجمل التى أثارها سفهاء الفريقين وقتل فيها خلق كثير . وكان ذلك فى سنة ٣٦هـ ، وسميت المعركة بواقعة الجمل لأن أم المؤمنين عائشة كانت تحمل فى هودج على جمل أثناء القتال .

انظر : العبر ٢٧/١ ، البدايةوالنهاية ٢٣٠/٧-٢٤٧ .

(٤) صفين :

موضع معروف بالقرب من الفرات شرقى بلاد الشام وقعت فيه الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وسميت الواقعة باسم المكان ، وكانت فى صفر سنة ٣٧هـ ، وقتل فيها خلق كثير من الفريقين وانتهت بالاتفاق على تحكيم عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى .

انظر : العبر ٢٧/١-٣١ ، البداية والنهاية ٢٥٣/٧-٢٧٨ .

فهرعوا إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوضع عليه لملء تلك الثغرات ، فظهرت أحاديث فى فضائل الخلفاء الراشدين وأخرى فى رؤساء الفرق ودعم المذاهب[١]، وتكاثر الوضاعون وتعددت أهدافهم ، منهم الزنادقة ، والقصاصون ، وأهل الأهواء ، وأصحاب الأغراض الدنيوية وآخرون يضعون الحديث حسبة ، وغيرهم الكثير[٢].

ولكن الله عز وجل سخر لذلك رجالاً أخلصوا لله ونصبوا أنفسهم حماة لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فبذلوا غاية الجهد ، وغاية الوسع وأفنوا أعمارهم فى نقد الأحاديث وتمييز الصحيح من السقيم ، ووضعوا القواعد فى ذلك ، ونخلوا الأحاديث نخلاً ، وسلكوا لذلك أدق الطرق ، وأقوم السبل ، وبرزت إلى الوجود علوم شتى تحيط بالحديث من كل جوانبه علوم فى رواته وأخرى فى إسناده ومتنه ، وغيرها فى روايته ودرايته ، وجمعوا الصحيح وأفردوه ، والموضوع وبينوه ، وعددوا الوضاعين وموضوعاتهم ، وأودعوا كل ذلك كتباً ، ظلت وسام فخر واعتزاز ، تنعكس من خلالها آثار أولئك القوم رحمهم الله . ولقد وصل إلينا بحمد الله مقدار وفير من الأحاديث الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مختلف

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص٤٨٠ ، أصول الحديث ص٤١٥-٤١٦ ، الوضع فى الحديث ١/١٧٩ .

(٢) انظر : النكت على ابن الصلاح ٢/٨٥١،٨٥٢،٨٥٦ ، تدريب الراوى ١/٢٨١-٢٨٦ الباعث الحثيث ص٧٩-٨١ ، الوضع فى الحديث ١/٢٢٠-٢٨٣ .

جوانب الدين • وليست الكثرة كما يزعمون نتيجة للوضع ، بل الكثرة ثابتة بطرق الإثبات الموثوقة من قبل أئمة الحديث وعلمائه(١).

كما أن الأحاديث الموضوعة بينة واضحة .

قال محمد أسد "ليوبولد فايس" :

"إن الأحاديث الموضوعة (المكذوبة) لم تخف قط على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوربيين عن سذاجة ، بل إننا نرى عكس ذلك الزعم . إن علم الحديث بدأ لما مست الضرورة إلى تمييز الحديث الصحيح من الحديث الموضوع ، وإن صحيحى الإمامين البخارى ومسلم ليسا سوى نتيجة مباشرة لهذا التمييز . فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لايمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث فى مجموعه ، كما أنه لاينتظر من قصص ألف ليلة وليلة أن تبرهن على شىء يتعلق بالإثبات أو بالطعن فى صحة الأخبار التاريخية المروية على عصر تلك القصص"(٢).

وقال : "لم يستطع ناقد ما حتى أيامنا هذه أن يبرهن بطريقة منظمة ذات قواعد على أن مجموعة الأحاديث تعتبر صحيحة ، حسب القواعد التى وضعها أئمة المحدثين هى غير صحيحة . إن رفض الأحاديث الصحيحة ، جملة واحدة أو أقساماً ، ليس حتى اليوم - كما سبق القول - إلا قضية ذوق ، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء"(٣).

ومن الغريب أن يزعم (ماكدونالد) أن الأحاديث المتشابهة للقرآن مشكوك فيها ، وهذا منهج معكوس دل على ضحالة علم صاحبه ، وضعف مقدرته على الاستدلال .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص٧٥ ، الحديث والمحدثون ص٣٠٣ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص٩٦ .

(٣) المرجع السابق ص٩٦-٩٧ .

"إن المطلع على أقوال هؤلاء الناس يراهم يقبلون من الأحاديث أضعفها سنداً وأوهاها رواية ، إذا وافق رأيهم وهواهم ، وإن كان فى كتاب من كتب التاريخ أو السير أو غيرها بدون إسناد ، ويحكمون بالكذب والوضع على أكثر الأحاديث الصحاح ، بما أجمع المسلمون على صحته وثبوته ، ولن تجد لهم قاعدة أو خطة يسيرون عليها فى قبول الأحاديث أو رفضها ، وكما ترى كاتب هذا المقال يزعم أن الأحاديث التى تجد فيها مشابهة لما ورد فى القرآن مشكوك فيها!!

وهذا أقبح ألوان الافتراء ، وأسقط أنواع الاستدلال ، فإن المعقول الواضح أن الحديث الذى يوافق معنى القرآن ، ويؤيده القرآن يكون معناه ثابتاً عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يثبت لفظه ولم يقم إسناده ، ولكن القوم لايرمون إلى التحقيق العلمى ، والبحث العقلى وإنما يرمون إلى التشكيك ثم إلى الشك"(١).

وزعم كولسون أن القدر الأعظم من المادة التشريعية منحولة وناتجة عن نسبة الآراء الفقهية ... الخ .

هذه أيضاً دعوى باطلة ومغلوطة ، بل الآراء الفقهية ماوجدت إلا نتيجة لفهم علماء الفقه المستمد من النصوص ، فلو لم توجد النصوص ماوجدت الآراء الفقهية ، لأنها مادتها وأصلها الذى نشأت عليه .

(هـ) دعواهم أنه تكون من لميم من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة :

لقد سبق أن بينا زيف هذه الشبهة فى معرض الحديث عن الوحى.(٢) وفى الحقيقة أن المستشرقين يوردون الشبهة الواهية التى لاتساوى قيمة المداد الذى كتبت به ثم يعيدون ويكررون فيها ، ويلهجون بها فى كل مقام وكل موضع وينشأ عليها الصغار ويهرم عليها الكبار حتى تصبح فى نظرهم أمراً

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٩١/٢ الهامش .

(٢) انظر ص : ٤٢٦ فما بعدها .

مسلماً غير خاضع للنقاش والجدال ، ومثال ذلك هذه الشبهة الساقطة التى دندن بها زيهر فى أكثر من موضع فى كتابه ، وقد بينا تهافتها بما لايستدعى الإعادة والتكرار .

(٣) الصحابة والوضع :

قال زيهر :

"ولانستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى"(١).

قال : "وقد اعترف أنس بن مالك، الذى صاحب الرسول عن قرب عشر سنوات ، عندما سئل عما يحدث عن النبى هل حدثه به فعلاً فقال : "ليس كل ماحدثنا به سمعناه عن النبى ولكننا لانكذب بعضناً"(٢).

قال : "وإن معاوية قال للمغيرة بن شعبة :

"لاتهمل فى أن تسب علياً وأن تطلب الرحمة لعثمان ، وأن تسب أصحاب على وتضطهد من أحاديثهم وعلى الضد من هذا ، أن تمدح عثمان وأهله وأن تقربهم وتسمع إليهم"(٣).

---

(١) العقيدة والشريعة ص٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص٥٥ .

(٣) السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩١ .

الجواب على ذلك :

إن عدالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر مقطوع به ، غير قابل للجدل والنقاش ، لأن الله تعالى قد عدلهم فى قرآنه وأثنى عليهم ومدحهم فى أكثر من آية . كقوله سبحانه : {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}(١)الآية ، وقوله سبحانه : {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}(٢)، وقوله سبحانه : {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم}(٣). والآيات كثيرة فى ذلك .

كما عدلهم رسوله صلى الله عليه وسلم وبين منزلتهم التى لاتدانيها منزلة ، فقال صلى الله عليه وسلم : "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٤).

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠

(٣) سورة التوبة : آية ٨٩،٨٨

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد (٩) ، وبلفظ مقارب من حديث عمران بن حصين فى الكتاب والباب السابقين ١٥١/٣ .
وبلفظ مقارب من حديث عمران أيضاً ، كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (١) .
ومن حديث عبد الله بن مسعود بلفظه ، فى الكتاب والباب السابقين ١٨٩/٤ .
وبلفظه من حديث ابن مسعود ، وبلفظ مقارب من حديث عمران فى كتاب الرقاق (٨١) ، باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها(٧) ، ١٧٣/٧-١٧٤ .
وبلفظ مقارب من حديث ابن مسعود ، كتاب الأيمان والنذور (٨٣) ، باب إذا قال أشهد بالله أو شهدت بالله (١٠) ، ٢٢٤/٧ ، ومن حديث عمران ، باب إثم من لايفى بالنذر (٢٧) ، ٢٣٣/٧ . =

وقال صلى الله عليه وسلم : "لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد أحدهم ولانصيفه"(١)، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على عدالتهم وفضلهم وشرفهم . قال ابن عبد البر رحمه الله :

"قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول"(٢).

وقال ابن الصلاح رحمه الله :

"ثم أن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم فى الإجماع ، إحسانا للظن بهم ونظراً إلى ماتمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة"(٣).

وقد استحقوا هذا التعديل لما قاموا به من دفاع عن الحق وإعلاء للدين وبذلوا فى ذلك نفوسهم وأموالهم طاعة لله وانقياداً له .

قال الخطيب رحمه الله :

"على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة ، وبذل المهج

= وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظه وبلفظ مقارب من حديث عبد الله بن مسعود برقم ٢٥٣٣ ، وبلفظ مقارب من حديث أبى هريرة برقم ٢٥٣٤ ، وعمران برقم ٢٥٣٥ ، ونحوه من حديث عائشة برقم ٢٥٣٦ ، كتاب فضائل الأصحاب (٤٤) ، باب فضل الصحابة (٥٢) ، ١٩٦٢/٤-١٩٦٥ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى ، كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً (٥) ، ١٩٥/٤ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة برقم ٢٥٤٠ ، وحديث أبى سعيد الخدرى برقم ٢٥٤١ ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم (٥٤) ، ١٩٦٧/٤-١٩٦٨ .

(٢) الاستيعاب ١٩/١ ، ط/مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٧ .

والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة فى الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين . هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(١).

وقد كانوا رضى الله عنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم اختصهم الله برفقة نبيه ، وحملهم أمانة دينه ، لصدقهم وأمانتهم وإخلاصهم وتقواهم وورعهم .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه :

"من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحى لاتؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(٢).

فإذا تبين ذلك فإنه لايتصور أحد فى قلبه ذرة من خير أن يقدم أحد من الصحابة رضى الله عنه على وضع حديث أو يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل هدف رخيص أو غاية حابطة وهم الذين سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : "إن كذباً على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(٣).

---

(١) الكفاية ص٩٦ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٨٣ . وانظر : ص : ٥٠ من البحث .

(٣) حديث "من كذب على متعمداً" حديث متواتر .
ذكره السيوطى فى قطف الأزهار المتناثرة ص٢٣ رقم ١ ، وهو فى الصحيحين فى مواضع .
انظر : صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١-٣٦ ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب مايكره من النياحة على الميت (٣٤) ٨١/٢ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ١٤٥/٤ ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب من سمى بأسماء الأنبياء (١٠٩) ١١٨/٧ .
=

ولايعقل أبداً أن يخوض أحدهم فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطفىء ذلك النور الذى أضاء قلبه وروحه ، فإن حب الله ورسوله قد خالط قلوبهم واستقر فى سويدائها فمحال ثم محال أن يقع منهم ذلك وهم الذابون للكذب عنه، الباذلون دماءهم فى سبيله(١).

قال على رضى الله عنه : "إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه"(٢).

بل ماكانوا يتعاملون بالكذب ولايعرفونه بينهم .

أخرج الحاكم عن البراء قال : "ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن الناس كانوا لايكذبون فيحدث الشاهد الغائب"(٣).

وعن قتادة(٤) أن أنساً حدث بحديث فقال له رجل : أسمعت هذا من

= صحيح مسلم ، المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، ١/٩-١٠ ، كتاب الزهد (٥٣) ، باب التثبت فى الحديث (١٦) ، برقم ٣٠٠٤ ، ٤/٢٢٩٨-٢٢٩٩ .

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٧٦ ، السنة قبل التدوين ص١٩١-١٩٢ ، أصول الحديث ص٤١٦-٤١٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المناقب (٦١) ، باب علامات النبوة فى الإسلام (٢٥) ، ٤/١٧٩ ، وفى كتاب استتابة المرتدين (٨٨) ، باب قتل الخوارج والملحدين (٦) ، ٨/٥١-٥٢ .

(٣) مستدرك الحاكم ١/١٢٧ . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى .

وانظر : المحدث الفاصل ص٢٣٥ ، الجامع لأخلاق الراوى ص٢٣٥ .

(٤) قتادة :

هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى ، أبو الخطاب البصرى ، ثقة ثبت ، يقال : ولد أكمه ، كان مفسراً ، ومن حفاظ الحديث . روى عن عبد الله بن سرجس وأنس . وعنه أيوب وشعبة وأبو عوانة . مات سنة بضع عشرة ومائة .

انظر : الجرح والتعديل ٧/١٣٣-١٣٥ ، الكاشف ٢/٣٩٦ ، تقريب التهذيب ٢/١٢٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم ، أو حدثني من لم يكذب ، والله ماكنا نكذب ولاكنا ندري ماالكذب"(١).

وماكانوا يسكتون عن الباطل أبداً ، وقد عرف من سيرتهم أنهم كانوا من الجرأة في الحق بمكان،وتغليبهم إياه على أقرب الأقربين وأصدق الأصدقاء، ويستحيل عليهم أن يسكتوا عن كذب فيما بينهم وهم الذين لايسكتون عمن يخطىء في اجتهاد(٢).

روى الذهبي أن الحجاج خطب فقال : "إن ابن الزبير بدل كلام الله" فقام ابن عمر فقال : "كذب لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولاأنت". قال : "إنك شيخ قد خرفت اقعد" .

قال : "أما إنك لو عدت عدت"(٣).

ولو وقع الكذب من أحدهم ـ وحاشاهم ـ لانكشف أمره ووصل إلينا خبره ، كما نقلت كثير من الأخبار الجليل منها والدقيق(٤).

وقد يدعى أحد أن المنافقين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولايبعد أحدهم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يصطنع على لسانه من الأحاديث مايشاء ويبثه بين صفوف الصحابة ، ولايستحيل عليه ذلك وهو الذي لم يستقر الإيمان في قلبه .

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص٢٥ ، ط/إدارة الطباعة المنيرية .

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص٧٧،٧٨ ، السنة قبل التدوين ص١٩٢،١٩٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣٩/١ .

(٤) انظر : تدوين السنة ص١٩٢ .

ولكن يجاب على هذا: بأن المنافقين كانوا معروفين عند النبى صلى الله عليه وسلم بأعيانهم وأوصافهم وعند الصحابة أيضاً .

قال كعب بن مالك رضى الله عنه ، وهو أحد المخلفين الثلاثة :

" فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أن لاأرى لى أسوة ، إلا رجلاً مغموصاً عليه فى النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء " (١) .

وكانوا قلة منعزلين عن الناس ذليلين بينهم ، ومع ذلك لم يرووا شيئاً من حديث النبى صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عنهم شىء فى كتب السنة ، ولم يأت حديث واحد عن رجل مشكوك فيه البتة ، وإنما جاءت الأحاديث عن الصحابة الأجلاء المعروفين عند النبى صلى الله عليه وسلم وبقية الصحابة بالصدق والعدالة، وأمرهم جلى لاغموض فيه (٢) .

ولكن المستشرقين يكذبون كما يكذب الزنادقة من قبل وأهل الأهواء، يريدون بذلك أن يقوضوا صرح هذا الإسلام ، إذ الصحابة هم الذين أبلغونا إياه فإذا زالت الثقة عنهم أصبح كل الذى بين أيدينا مشكوكاً فيه . وقد فطن الإمام أبو زرعة الرازى رحمه الله إلى ذلك قديماً فقال :

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، وهو جزء من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك ، كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث كعب بن مالك (٧٩) ، ٥/١٣١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، كتاب التوبة (٤٩)، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٩) ، برقم ٢٧٦٩، ٤/٢١٢٢ .
ومعنى : " مغموصاً عليه " : أى مطعوناً فى دينه ، متهما بالنفاق .
انظر : النهاية ٣/٣٨٦ .

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٣٥، ٢٣٦، منهج النقد عند المحدثين ص ١١٠، ١١٧ .

"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم الزنادقة"(١).

وإن كانت هذه نظرةجولد زيهر وبعض المستشرقين السيئة فى خيار الأمة بعد نبيها فقد وجد من بينهم من يعرف للصحابة قدرهم ومقامهم .

يقول محمد أسد (ليوبولد فايس) :

"إن السبب الأول لوجود حديث مكذوب إنما هو كذبة متعمدة ترجع إلى مصدره الأول أى إلى الصحابى أو إلى أحد الرواة المتأخرين ـ أما فيما يتعلق بالصحابى فيمكن صرف التهمة عنه ابتداء ـ وإننا لن نتكلف سوى شىء من النظر الثاقب فى الناحية النفسانية لنرد مثل هذه المزاعم إلى نطاق الوهم الخالص .

إن الأثر العظيم الذى تركته شخصية الرسول فى أولئك الرجال إنما هى حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنسانى ، ثم هى فوق ذلك ثابتة بالوثائق التاريخية . فهل يمر فى خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا أنفسهم ومايملكون فى سبيل الله كانوا يتلاعبون بكلماته ؟

لقد قال الرسول : "من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(٢).

لقد عرف الصحابة ذلك ، ولقد اعتقدوا ضمناً بكلام الرسول الذى كانوا ينظرون إليه على أنه ينطق عن الله . أفمن المحتمل من وجهة النظر النفسانية إذن أن يفعلوا هذا النهى الصريح نفسه؟"(٣)

---

(١) الكفاية ص٩٧ .

(٢) سبق تخريجه الظرص: ٥٢١-٥٢٢

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ص٩٣-٩٤ ، وانظر ص٩٥ .

هـذا هو الإنصاف والعدل وليس الجور والظلم الـذى غطـى على عقل زيهـر وأمثـاله،فـالتوت أقـوالهم وانحرفـت عبـاراتهــم ، ونحن نطـالب هـذا المستشـرق ومن لف لفه أن يخرج لنا مثالاً واحداً لحديث مـوضوع تورط فى وضعـه أحد الصحـابة ، فـإنه عـاجز عـن ذلك ، ولو وجد ـ وأنى لـه ـ لملأ الـدنيا ضجيجاً وعواء ، وممـا يدل على عجزه وفشله فى الـوصول إلى بغيته مااستدل به من قول أنس ومعـاوية رضى الله عنهما ، وكلاهمـا حجة عليه انكشف من خلالهما حقيقة هذا المستشرق الضال .

أما قول أنس رضى الله عنه فليس فيه دلالة على الوضع والكذب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل فيه مايرد ذلك وينفيـه ، فهو يقول كما نقل عنـه : "ليس كل ماحدثنا به سمعناه عن النبى ولكننا لانكـذب بعضنا" . وقد مر نحوه قريبا(١).

فأنس رضى الله عنه يبين أنهم ماكانوا يكذبون ولاتوجد صفة الكذب بينهـم ، لصـدقهم وتثبتهم ، حتى إنه مـاكان يتهم أحدهـم الآخر ، لتيقنهـم ووثوقهم ببعضهم وشهرة ذلك بينهم ، ولما يعرفون مـن أحوال بعضهم بعضاً لاكما يظن زيهر أنهم كانوا يثقون ثقة عمياء خلاف الحقيقة فى بعضهم بعضاً.

وهنـا مسألة لابد من التطـرق إليها ليقف زيهر ومـن سار فى ركبه على حقيقة الأمر ، وذلك موضوع مرسل الصحابى .

وهـو الذى يخبر به عن قول النبى صلى اللـه عليه وسلم أوفعلـه ، مالم يسمعه أو يشاهده ، لصغره أو غيابه أو تأخر إسلامه(٢).

قال ابن الصلاح :

"ثم إنا لم نعد فى أنواع المرسل ونحوه مايسمى فى أصـول الفقه مرسل الصحابى مثل مايرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ولم يسمعـوه منه لأن ذلك فى حكم الموصـول المسند ،

---

(١) انظر ص: ٥٢٢ - ٥٢٣

(٢) انظر : تدريب الراوى ٢٠٧/١ ، تيسير مصطلح الحديث ص٧٤ .

لأن روايتهم عن الصحابة . والجهالة بالصحابى غير قادحة لأن الصحابة كلهم عدول والله أعلم " (١) .

وقال ابن كثير :

" وقد حكى عن بعضهم الإجماع على قبول مراسيل الصحابة ، وذكر ابن الأثير وغيره فى ذلك خلافاً . ويحكى هذا المذهب عن الأستاذ أبى إسحاق الاسفراايينى ، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين " (٢) .

وهذا الاحتمال المذكور أزاله السيوطى بقوله :

" وفى الصحيحين من ذلك مالايحصى ، لأن أكثر رواياتهم عن الصحابة وكلهم عدول ، وروايتهم عن غيرهم نادرة ، وإذا رووها بينوها ، بل أكثر مارواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة بل إسرائيليات أو حكايات أو موقوفات " (٣) .

وقال الدكتور محمود الطحان :

" الصحيح المشهور الذى قطع به الجمهور أنه صحيح محتج به ، لأن رواية الصحابة عن التابعين نادرة ، وإذا رووا عنهم بينوها ، فإذا لم يبينوا ، وقالوا : قال رسول الله ، فالأصل إنهم سمعوها من صحابى أخر، وحذف

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦ .

(٢) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) تدريب الراوى ١/٢٠٧ .

الصحابى لايضر"(١).

وقال ابن حبان :

"وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مارووها عن النبى صلى الله عليه وسلم وإن لم يبينوا السماع فى كل مارووا . وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابى آخر ، ورواه عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير ذكر ذلك الذى سمعه منه ، لأنهم رضى الله عنهم أجمعين كلهم أئمة سادة قادة عدول ، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يلزق بهم الوهن"(٢).

فتبين بهذا أن رواية الصحابى عَن النبى صلى الله عليه وسلم صحيحة ثابتة ولو لم يسمع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة ، لعدالة جميع الصحابة فى ذلك بدون استثناء .

وأما قول معاوية للمغيرة رضى الله عنهما ، فإذا رجعنا إلى النص كما أورده الإمام الطبرى فنجده كالآتى :

"لاتتحم عن شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم"(٣).

وعلى ذلك نورد عدة ملاحظات :

الأولى : هذا النص على فرض صحته(٤)ليس فيه دليل على الوضع ،

---

(١) تيسير مصطلح الحديث ص٧٤ .

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ١٦١/١-١٦٢ .

(٣) تاريخ الطبرى ١٤١/٦ ، ط/المطبعة الحسينية المصرية .

(٤) بل ليس صحيحاً ، فى إسناده أبو مِخْنَف وهو لوط بن يحي أبو مخنف .
قال عنه الذهبي : "إخبارى تالف ، لايوثق به تركه أبو حاتم وغيره". وقال الدارقطنى :"ضعيف". وقال ابن معين :"ليس بثقة". وقال مرة :"ليس بشىء". وقال ابن عدى :"شيعى محترق . صاحب أخبارهم". ميزان الإعتدال ٤١٩/٣-٤٢٠ . وانظر : الضعفاء للعقيلى ١٨/٤-١٩ ، الكامل فى الضعفاء ٩٣/٦ ، لسان الميزان ٤٩٢/٤-٤٩٣ .

فلم يأمر معاوية المغيرة بوضع الأحاديث فى سب على وشيعته ومدح عثمان، ومازعمه تحميل للنص مالايحتمل .

الثانية : لقد حرف هذا المستشرق النص ليؤيد به غرضه وهدفه السىء فالعبارة فى الطبرى "والإقصاء لهم" بينما زعم هو أنها "وتضطهد من أحاديثهم" ، والفرق بين اللفظين كبير والبون شاسع ، فلاوجود لكلمة "أحاديثهم" فى النص . وعلى فرض وجودها لادلالة فى ذلك ، إذ المراد بأحاديثهم كلامهم ومحاوراتهم فى مجالسهم ، وليست الأحاديث المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

الثالثة : لاشك أن بين على ومعاوية رضى الله عنهما خلاف سياسى ، بل ووقعت بينهما حروب فى ذلك ، فما هى الغرابة أن يقع بين الفريقين تراشق بالألفاظ ونيل بالكلمات ، وهذا معهود فى كل حكومة مع خصومها(١).

وإن كان الحق والأسلم للمرء خلاف ذلك ، وهو مانص عليه الإمام الذهبى رحمه الله بعد ذكره طرفاً مما وقع بين مؤيدى الفريقين فقال :

"فنحمد الله على العافية الذى أوجدنا فى زمان قد انمحص فيه الحق ، واتضح من الطرفين ، وعرفنا مأخذ كل واحد من الطائفتين ، وتبصرنا ، فعذرنا ، واستغفرنا ، وأحببنا باقتصاد ، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ فى الجملة ، أو بخطأ إن شاء الله مغفور ، وقلنا كما علمنا الله {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا}(٢)، وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين ،... وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين"(٣).

---

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٠٥ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٧-٢٤٨ .

(٢) سورة الحشر : آية ١٠

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢٨/٣ .

(٤) **أبو هريرة :**

قال جوينبل [١]:

"إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع فى أول الأمر ، ولهذا نجد أن الثقة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس" [٢].

وقال جولد زيهر :

"وقد شجعته ملازمته للنبى على أن يروى عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة . وتقدر الأحاديث التى تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث ، ولاريب أن عدداً كبيراً منها قد نحل عليه . ونجد بين الذين رووا عن أبى هريرة كثيراً من أكابر الإسلام . وقد اختلق الناس قصة تبرر إعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ ، تلك الذاكرة التى استطاع أن يستوعب بها عدداً عظيماً من الأحاديث ، فقالوا : إن النبى لفه بيده فى بردة [٣] بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ماسمع ، وتروى هذه القصة أيضاً دليلاً على صداقته الوثيقة بالنبى ... وتظهرها طريقة روايته للأحاديث التى ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ماامتاز به من روح المزاح ، الأمر الذى كان سبباً فى ظهور كثير من القصص (ابن قتيبة ...) .

---

(١) جوينبل :
هو تيودور وليم جوينبل مستشرق هولندى ، كان قساً بروتستانتياً . اهتم بدراسة تاريخ الشرق وآدابه ، واللغة العربية حتى أصبح أستاذاً لها فى عدة جامعات . مات سنة ١٨٦١م .
من آثاره : "تعليم اللغات الشرقية والتاريخ" ، وترجمة "مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق" للاتينية ، وغير ذلك .
انظر : المستشرقون ٢/٦٥٧-٦٥٨ ، الأعلام ٢/٩٥-٩٦ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٣٦ .

(٣) بردة : ثوب مخطط . والجمع : أبراد وأبرد وبرود . وهى أكسية يلتحف بها . القاموس المحيط ص٣٤١ .

ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التى كانت تحضره دائماً ... قد أثار الشك فى نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة ، والذين لم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر . (انظر أيضاً البخارى : فضائل الأصحاب ، رقم ١١).

وقد اضطر أحياناً أن يدفع عن نفسه تقول الناس ـ كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبى هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شبرنجر "بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعاً" .

ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التى تنسبها الروايات إليه ، إنما قد نحلت عليه فى عصر متأخر"(١).

وقال : "... فمن ذلك مارواه مسلم من أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب ماشية . فأخبر ابن عمر أن أبا هريرة يزيد "أو كلب زرع". فقال ابن عمر "إن أبا هريرة كان له أرض يزرعها"، فملاحظة ابن عمر تشير إلى مايفعله المحدث لغرض فى نفسه"(٢).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤١٨/١-٤١٩ .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩٣ .
والحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

الجواب على ذلك :

أبو هريرة عرفه الإمام الذهبى رحمه الله فى مفتتح سيرته بعبارات جامعة ، فقال : "الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو هريرة الدوسى اليمانى ، سيد الحفاظ الأثبات"(١).

فهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك منزلة تنقطع دونها المنازل ، شرف الله بها خيرة هذه الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم هو سيد الحفاظ الأثبات ، ويكفيه هذا فخراً أن يمتاز بين جميع الصحابة رضى الله عنهم بقوة الحافظة التى كفلت له مقاماً رفيعاً بين أولئك الأماجد فكان راوية الإسلام حقاً . وقد وهبه الله تعالى ميزات وصفات عدة جعلته يتبوأ منصب الصدارة ، ويحوز قصب السبق من بين حملة حديث النبى صلى الله عليه وسلم . من ذلك :

(١) حرصه على الحديث ورغبته فى حصول العلم :

فقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وحسبك بها من شهادة ، كما روى ذلك البخارى بسنده إلى أبى هريرة أنه قال : قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لاإله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه"(٢).

ففيه بيان فضل أبى هريرة وبيان حرصه على الحديث .

(٢) كثرة حديثه :

من يطلع فى دواوين السنة يشهد لأبى هريرة بكثرة الرواية ، وقد شهد لنفسه بذلك فيما رواه عنه البخارى إذ يقول :

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، وفيه أن القائل أبو هريرة نفسه ٢٠٤/٧ .

"مـامن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى ، إلا ماكان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولاأكتب"(١).

ومع هذا كان حديثه الموجود بين كتب الحديث أكثر مـن حديث عبد الله بن عمرو وذلك لأسباب نص عليها العلماء(٢).

فقـد بلـغ عدد أحاديثه فى مسنـد بقى بن مخلد (٥٣٧٤) حديثـاً المتفـق عليه منها (٣٢٦) حديثاً(٣).

فهو أكثر الصحابة حديثاً(٤).

قال البخارى :

"روى عنـه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر مـن أهـل العلم مـن الصحابة والتابعين وغيرهم"(٥).

وقال الذهبى :

"حمـل عن النبى صلى الله عليـه وسلم علماً كثيراً طيبـاً مبـاركاً فيه لم يلحق فى كثرته،وعن أبى ، وأبى بكر ، وعمر ، وأسامة ، وعائشة ، والفضل

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ .

(٢) من ذلك :

١ ـ إذا كان الاستثناء منقطعاً . يكون التقدير : لكن الذى كان من عبد الله وهو الكتابة لم يكن منى ، سواء كان أكثر حديثاً أم لا .

٢ ـ إذا كان الاستثناء متصلاً . يكون السبب فيه من جهات :

* إن عبد الله كان منشغلاً بالعبادة أكثر من التعليم . فقلت الرواية عنه .

* كـان أكثر مقـام عبد الله بمصـر والطـائف ولم تكن الرحلـة لطلـب العلم إليهما كالرحلة إلى المدينة التى كان بها أبو هريرة .

* اختصاص أبى هريرة بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم بعدم النسيان .

* إن عبد الله ظفر بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منها فتجنب الكثير من التابعين الأخذ عنه .

انظر : فتح البارى ٢٠٧/١ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ٦٣٢/٢ .

(٤) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٣٥٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢٦٥/١٢ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٩/٢ .

وبصرة بن أبى بصرة ، وكعب الحبر"(١).

(٣) **حفظه وسبب ذلك :**

تلك الكثرة الكاثرة من الأحاديث لم تنتج من فراغ ، وإنما كان يتمتع رضى الله عنه بقوة حافظة وشدة ذاكرة وحسن ضبط يندر له مثيل .

وقد كشف لنا النقاب عن سبب قوة تلك الذاكرة فيما رواه عنه البخارى ومسلم ، إذ يقول أبو هريرة : "يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر - والله الموعد - ويقولون : مابال المهاجرين والأنصار لايتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك : إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم . وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق(٢)بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : "أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثى هذا، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئا سمعه"فبسطت بردة على ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدرى ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ماحدثت شيئا أبدا : إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى ... إلى آخر الآيتين"(٣)(٤).

---

(١) المرجع السابق ٥٧٩/٢ .

(٢) الصفق : هو التبايع . سمى بذلك لأن المتبايعين يضع أحدهما يده فى يد الآخر . وهى المرة من التصفيق باليدين .
انظر : النهاية ٣٨/٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٥٩،١٦٠

(٤) أخرج نحوه البخارى فى صحيحه ، انظر :
كتاب العلم (٣) ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ٣٧/١-٣٨ ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض} (١) ، ٢/٣-٣ ، كتاب الحرث والمزارعة (٤١) ، باب ماجاء فى الغرس (٢١) ، ٧٤/٣ ، كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ، ١٨٨/٤ ، كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب الحجة على من قال إن أحكام النبى صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة (٢٢) ، ١٥٨/٨ =

فقد كان رضى الله عنه مسكيناً ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على شبع بطنه لم يشغله مايشغل إخوته من المهاجرين والأنصار ، فتلك الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم جعلته يسمع مالم يسمعوا وخلو ذهنه من الشواغل جعله يحفظ مالم يحفظوا . وتلك الحادثة التى أوردها من بسط ثوبه وقبضه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم جعلت ماحفظه يبقى فى ذاكرته ولاينساه .

وفى المستدرك للحاكم من حديث زيد بن ثابت قال : "بينا أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جلس إلينا ، قال فجلس وسكتنا فقال : "عودوا للذى كنتم فيه" قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا . قال : ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إنى أسألك مثل الذى سألك صاحباى هذان وأسألك علماً لاينسى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "آمين" فقلنا يارسول الله ونحن نسأل الله علماً لاينسى . فقال : "سبقكما بها الدوسى"(١)

وقد شهد له الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وجهابذة العلم بقوة الحفظ وحضور الذاكرة .

= وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبى هريرة الدوسى ، رضى الله عنه (٣٥) برقم ٢٤٩٢ ، ١٩٤٠/٤ .

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وتعقبه الذهبى فى مختصره فقال : "حماد ضعيف" ٥٠٨/٣ ، وحماد هو ابن شعيب التميمى . أبو شعيب قال ابن حبان : "يروى عن أبى الزبير وأبى يحي القتات سكن البصرة يقلب الأخبار ويرويها على غير جهتها" ثم ذكر عن يحي بن معين أنه قال : "ليس بشىء" . المجروحين ٢٥١/١ .
وقد ضعفه جماعة من العلماء . انظر : ميزان الإعتدال ٥٩٦/١ .
وأورد الخبر ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق آخر . انظر ٢٢٤/١٩ ، وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٦٠٠/٢، ٦١٦ ، والحافظ ابن حجر فى الفتح وسكت عنه ٢١٥/١ .

روى الحاكم بسنده إلى أبى أنس مالك بن أبى عامر[١] قال : "كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال : ياأبا محمد : والله ماندرى هذا اليمانى أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أنه تقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل؟ يعنى أبا هريرة . فقال طلحة : والله مايشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم نسمع وعلم مالم نعلم . إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون ، كنا نأتى نبى الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار ثم نرجع ، وكان أبو هريرة مسكيناً لامال له ولاأهل ولاولد ، إنما كانت يده مع النبى صلى الله عليه وسلم يدور معه حيث مادار ، ولانشك أنه قد علم مالم نعلم وسمع مالم نسمع ، ولم يتهمه أحد منا أنه تقول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم يقل"[٢].

وقال ابن عمر :

---

(١) مالك بن أبى عامر :
هو مالك بن أبى عامر الأصبحى ، ثقة . روى عن عمر وعثمان . وعنه بنوه : أنس وأبو سهيل . مات سنة ٧٤هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ٢١٤/٨ ، الكاشف ١١٤/٣ ، تقريب التهذيب ٢٢٥/٢ .

(٢) المستدرك ٥١١/٣-٥١٢ . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى .
وقد أخرجه الترمذى فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه (٤٧) برقم ٣٨٣٧ . وقال : "هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، وقد رواه يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق" ٦٤٢/٥-٦٤٣ .
وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : "رجاله ثقات" . سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٢ الهامش .
وذكر الذهبى قريباً منه فى سير أعلام النبلاء ٣٧/١ ، ٦٠٥/٢-٦٠٦ ، وابن كثير أورد نحوه فى البداية والنهاية ١٠٩/٨ ، وذكر الحافظ ابن حجر قطعةمنه فى فتح البارى وسكت عنه ٢١٤/١ .

" ياأبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه"(١).

وقال : " كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين " (٢) .

وقال أبو صالح : " كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة " (٣)

وقد أراد مروان بن الحكم(٤) أن يختبر قوة حفظه كما ذكر ذلك عنـــه

---

(١) أخرجه الترمذى بلفظ مقارب ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه (٤٧) برقم ٣٨٣٦ ، وقال : هذا حديث حسن ٥/٦٤٢، وأحمد فى المسند ، واللفظ له . وفيه قصة سبب إيراده ٢/٢-٣، قال الشيخ أحمد محمد شاكر : " إسناده صحيح " . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٦/٢١٣ .
وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .
وقال الذهبى : " صحيح " ٣/٥١١ .
وأورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/٦٠٣-٦٠٤، ٦١٧ .
وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : " رجاله ثقات وإسناده صحيح " .
وابن كثير فى البداية والنهاية ٨/١٠٧ .
وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح ، وذكر تحسين الترمذى له ١/٢١٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/٣٤٠، سير أعلام النبلاء ٢/٦٠٤، البداية والنهاية ٨/١٠٧، فتح البارى ١/٢١٤ .

(٣) تاريخ دمشق ١٩/١١٦، سير أعلام النبلاء ٢/٥٩٧، وانظر : تذكرة الحفاظ ١/٣٥-٣٦، البداية والنهاية ٨/١٠٦ .

(٤) مروان بن الحكم :
هو مروان بن الحكم بن أبى العاص ، بن أمية ، أبو عبدالملك الأموى ، المدنى، ولى الخلافة فى آخر سنة ٦٤هـ ، لاتثبت له صحبة . روى عن عمر وعثمان وعلى.
وعنه : سهل بن سعد وعلى بن الحسين وعروة . مات سنة ١٠٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٨/٢٧١، تقريب التهذيب ٢/٢٣٨-٢٣٩ .

أبو الزعيزعة[(١)] كاتبه ، قال : "إن مروان دعا أبا هريرة فأقعدنى خلف السرير وجعل يسأله وجعلت أكتب ، حتى إذا كان عند رأس الحول ، دعا به ، فأقعده وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك ، فما زاد ولانقص ، ولاقدم ولاأخر "[(٢)].

قال الذهبى بعد إيراده هذه الحادثة : "هكذا فليكن الحفظ "[(٣)].

وقال الشافعى : "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره "[(٤)].

وقال الذهبى : "وأبو هريرة إليه المنتهى فى حفظ ماسمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه "[(٥)].

وقال : "وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ ، ماعلمنا أنه أخطأ فى حديث "[(٦)].

وقال ابن كثير :

"وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم "[(٧)].

---

(١) أبو الزعيزعة :
ذكره الدولابى فى الكنى فقال : "أبو زعيرة كاتب مروان" ص١٨٣ .
ثم ذكره باسم أبى الزعيزعة وذكر له خبراً عن مروان. انظر ص١٨٤ .
روى عن مكحول وعمرو بن عبيد الأنصارى والنضر بن محرز . قال أبو حاتم : مجهول . وقال الذهبى : أبو الزعيزعة عن مكحول ، لايكاد يعرف . عداده فى الشاميين .
الجرح والتعديل ٣٧٥/٩ ، ميزان الاعتدال ٥٢٥/٤ .

(٢) المستدرك ٥١٠/٣ ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . وقال الذهبى : "صحيح" .
وانظر : تاريخ دمشق ١١٦/١٩ ، البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٢ .

(٤) تاريخ دمشق ١١٧/١٩ ، تذكرة الحفاظ ٣٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٩/٢ ، البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٦١٩/٢ .

(٦) المرجع السابق ٦٢١/٢ .

(٧) البداية والنهاية ١١٠/٨ .

وقال ابن حجر :

"إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروى الحديث فى عصره ، ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ماجاء عنه"(١).

هذا هو أبو هريرة رضى الله عنه جبل الحفظ ، وإمام الأثبات كما عرفه معاصروه وهم أدرى الناس به وأعلم ، وكما عرفه أئمة الحديث وجهابذة العلماء ، ولاعبرة بجهل المستشرقين ذلك ، فليس هم الذين يرجع إليهم فى معرفة علماء الإسلام ورجاله ، وليتهم التزموا الصمت حتى لاينكشف أمرهم ويتضح حقدهم ، وجهلهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، فكان من الواجب أن تهتك أستارهم وتزال أقنعتهم المزيفة ، ليعرف العالم بأسره حالهم ويفتضح أمرهم ، وهاأنا فاعل باذن الله تعالى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"(٢)الحديث .

وقد ظلم أبو هريرة قديماً وحديثاً ، من أعداء الإسلام وأهل الابتداع وأصحاب الأهواءوأفراخ الاستشراق وقد تولى علماء الإسلام فى القديم الدفاع عنه ، وتفنيد مزاعم من طعن فيه(٣).

وطعن المستشرقين فيه إنما يستهدفون به النيل من الإسلام وتقويضه ، وقد علموا كثرة مروياته ، فجرحوه وأثاروا الشبه من حوله لكى يرفعوا الثقة عن جميع ماروى ، وهنالك يفقد الإسلام حصيلة عظيمة من حديث النبى صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٦٦/١٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المظالم (٤٦) ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٤) ، ٩٨/٣ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وفى كتاب الإكراه (٨٩) ، باب يمين الرجل لصاحبه (٧) ، ٥٩/٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب من حديث جابر بن عبد الله ، كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (١٦) برقم ٢٥٨٤ ، ١٩٩٨/٤ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٣٨ فما بعدها .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص١٦٣ .

وبعد أن وقفنا على قوة حفظ أبى هريرة رضى الله عنه وتثبته وثناء الصحابة والعلماء عليه ، نجيب على ضوء ذلك عن شبهات ومزاعم المستشرقين :

(١) زعم جوينبل أن الثقة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس .

يجاب على هذا المستشرق بما يلى :

أولاً : إن أبا هريرة رضى الله عنه أحد صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أجمع من يعتد بإجماعه من الأمة على عدالتهم جميعاً . وقد بين ذلك آنفا(١)، بعد تعديل الله ورسوله لهم ، فلايحتاج أبو هريرة إلى توثيق أحد من الناس ، ولايقبل فيه جرح أحد منهم مهما كان .

ثانياً : من هم هؤلاء الذين جرحوا أبا هريرة ولم يوثقوه؟

فلماذا لم يذكر جوينبل أحداً منهم ، وقد زعم بأنهم كثير إيهاماً وتضليلاً ، ولانريد من هذا الكثير إلا واحداً ممن يعتد بقوله .

ثالثاً : لعله يريد بذلك أعداء الإسلام وأهل الأهواء والابتداع من الخوارج والمعتزلة والروافض وأفراخ الاستشراق ممن قدح فى أبى هريرة وغيره من الصحابة ونال منهم وهؤلاء لاحجة فى قولهم ولاعبرة بكلامهم والجرح بهم أولى(٢).

(٢) قول زيهر بعد ذكره لعدد ماروى أبو هريرة من أحاديث ، قال : "ولاريب أن عدداً كبيراً منها قد نحل عليه" .

وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ، فأين الدليل؟ وماهى تلك الأحاديث التى نحلت؟ وماذا قال علماء الحديث فيها؟

(٣) الزعم بأن الناس قد اختلقوا قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ .

يجاب عن ذلك :

---

(١) انظر ص : ٥٢٠

(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٠٦ .

(أ) إن العصمة لاتكون إلا لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . وأما الصحابة ليسوا بمعصومين ، كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر فى قوله : "إن الصحابى الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم"(١).
ولايعارض ذلك عدالتهم(٢).

(ب) حادثة بسط الثوب ثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم لامطعن فيها ، ولم يختلقها الناس ، وقد سبق تخريج الحديث(٣).

(٤) زعم زيهر أن روايته ضمنها أتفه الأشياء لما امتاز به من روح المزاح مما أدى إلى ظهور كثير من القصص ، وأشار فى ذلك لابن قتيبة .
كان على زيهر أن يبين تلك الأحاديث ولايطلق القول جزافاً ، لأن ذلك ينافى الحقائق العلمية والمنهج العلمى ، ثم فى أى مؤلف لابن قتيبة ذكر ذلك ، ولابن قتيبة كثير من الكتب ، بل قد أثنى رحمه الله على أبى هريرة فى كتابه "تأويل مختلف الحديث" ورد عنه مطاعن النظام المعتزلى(٤).
ولايمكنه أن يتناقض رحمه الله(٥).

وأما مزاحه فلايعد طعناً فيه ، بل هو أمر يستحسن فى العادة وتألفه النفوس ، وتميل إلى صاحبه الطباع .

قال مصطفى السباعى :

"وأما مزأحه فهذا مما عرف به ، وهو خلق أكرمه الله به وحببه به إلى الناس جميعاً . وماكان المزاح فى دين الله مكروهاً ، وإلا كانت الثقالة وغلاظة الحس والروح أمراً محبوباً فى الإسلام ، وحاشا لله ولرسوله أن

---

(١) فتح البارى ٦٠٢/٣ .
(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٢٤ .
(٣) انظر ص ٥٣٤ - ٥٣٥
(٤) انظر ص٣٨ فما بعدها .
(٥) انظر : الحديث والمحدثون ص١٦٦ .

يستحبا ذلك ، وقد قال الله لرسوله : {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك}(١)، وماكان المزاح خلقاً معيباً عند كرام الناس ، وقد كان رسول الله يمازح أصحابه ، وكان الصحابة يمزحون ، وكان فيهم مشهورون بالمزاح البرىء فى حدود الشريعة والأخلاق ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه"(٢).

قال الذهبى :

"كان أبو هريرة طيب الأخلاق" ثم ذكر شيئاً من مزاحه الذى يدل على طيب خلقه(٣).

فماذا فى المزاح الذى ينبىء عن لطافة خلق صاحبه ، وكرم سجيته ، حتى يتخذ ذلك طعناً وقدحاً فيه؟ ومايريد هذا المستشرق إلا أن يقول لنا : إن أبا هريرة ليس شخصاً جاداً يعتمد عليه فى حمل الأحاديث وإنما هو شخصية مهذارة كثيرة المزاح لاجدية لها . فقوله أولى بعدم الاعتماد .

(٥) زعمه أن كثرة أحاديثه أثار الشك فى نفوس الذين أخذوا عنه ، فعبروا عن شكوكهم بأسلوب ساخر ، مما اضطر أن يدفع عن نفسه تقولهم . وأشار إلى فضائل الأصحاب فى البخارى .

ويجاب على ذلك :

لاشك أن أبا هريرة كان من المكثرين فى الحديث مع تأخر إسلامه ، وقد ذكرنا علة ذلك فيما سبق(٤)، فلما توفى الرسول وتفرق الصحابة فى الأمصار رأى من الواجب عليه أن يبلغ ذلك خوفاً من عاقبة الكتمان كما قال : "لولا آيتان فى كتاب الله ..." الحديث(٥). فأثار ذلك الغرابة والعجب فى نفوس السامعين ، فلم يشكوا فيه ولم يكذبوه ، وإنما سألوه مستفهمين

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص٣٣٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦١٤/٢ .

(٤) انظر ص : ٥٣٢

(٥) سبق تخريجه انظر ص: ٥٣٤-٥٣٥

لمعرفة السبب ليزيل بذلك عجبهم . فلما كشف لهم الحقيقة سكتوا عنه مطمئنين ، وقبلوا تعليله ، وأخذوا عنه ، بل وظل يحدث بقية عمره ولم يمنع من التحديث (١).

والذى يظهر أن المعترضين لم يكونوا من الصحابة الذين كانوا من أعرف الناس به ، بدليل قوله : "إن إخوانى من المهاجرين والأنصار"(٢).

وقد عمر رضى الله عنه وطالت حياته فلاشك فى لقائه كثير من التابعين . ولايمكنه رضى الله عنه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً وهو نفسه من رواة حديث "من كذب على متعمداً"(٣) الحديث ، وقد أقره الصحابة وروى عنه الكثير منهم ، أضف إلى ذلك أن أكثر مارواه موجود عند غيره من الصحابة (٤).

وأحاديثه موضع عناية علماء الحديث والفقه ، واحتلت جانباً عظيماً من دواوين السنة (٥).

وقد كان رضى الله عنه عابداً زاهداً كثير الصلاة والاستغفار والخوف من الله ، فيستحيل على مثله أن يكذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٦).

(٦) ومازعمه شبرنجر : "بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعاً" .

واحتجاج زيهر بذلك .

يجاب عليه :

بأن شبرنجر لاعبرة بقوله ولاحجة فيه ، ومن هو حتى يقبل قوله فى أبى هريرة رضى الله عنه ، بل فى من هو أقل من أبى هريرة بمراحل؟

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص١٦٤-١٦٦ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص٣١١،٣١٢

(٢) انظر : المرجع السابق ص٣١٣ .

(٣) سبق تخريجه انظر ص: ٥٢١-٥٢٢

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص١٦٠-١٦١ .

(٥) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٣٥٩ .

(٦) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٣٥٧-٣٥٨ .

وماأصدق قول الشاعر فيه :

خفافيش أعماها النهار بضوئه وواقفها قطع من الليل مظلم

وشبرنجر من المتطرفين فى الاختلاق على صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مضلل كثير التشويش فى دين الله ، يستر الحقائق ، ويبدى الشبه ، ولايستند فيها إلى دليل . ولايجتمع التطرف فى الاختلاق والورع أبداً. وأبو هريرة إنما هو ورع تقى يستحيل أن يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم دعك من أن يتطرف فى الاختلاق(١).

(٧) زعمه أن كثيراً من الأحاديث نحلت عليه .

لاينكر أن كثيراً من الأحاديث وضعت وعزيت إلى أبى هريرة وإلى غيره من الصحابة رضى الله عنهم ، ولكن علماء الحديث تقصوا ذلك وبينوا الموضوع من الصحيح فلم يخف عليهم(٢).

وماضر أبا هريرة أن تكون نحلت عليه أحاديث ، وهل يعد طعناً فيه ماجناه غيره عليه؟ أم هو الجور فى الحكم ، والظلم فى القضاء(٣).

بل ذلك فى الحقيقة يعد مدحاً له لاطعناً فيه ، لأن الوضاعين عرفوا منزلته الرفيعة ومقامه السامى عند الأمة الإسلامية ، وشهرته بالحفظ والثقة ، فألصقوا به ماوضعوه حتى يروج ذلك عند الناس . والناس يثقون فيه وفيما روى ، فعاد دليل هذا المستشرق الحقود دليلاً عليه .

(٨) روى مسلم بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال :

"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية فقيل لابن عمر، إن أبا هريرة يقول أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : إن لأبى هريرة زرعاً"(٤).

---

(١)،(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص١٦٦ .

(٣) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٣١٨ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساقاة (٢٢)، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه (١٠) برقم ١٥٧١ ، ٣/١٢٠٠ .
وأخرج نحوه برقم ١٥٧٥ فى الكتاب والباب السابقين ٣/١٢٠٣ .

ادعى جولد زيهر أن أبا هريرة اختلق هذه الزيادة من عنده لغرض فى نفسه ، لأنه صاحب مصلحة ، وإلى ذلك أشار ابن عمر .

وقد أجاب على ذلك الإمام النووى رحمه الله بما يزيل الإشكال ويرد الشبهة ، فقال :

"قال العلماء : ليس هذا توهيناً لرواية أبى هريرة ولاشكاً فيها ، بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه ، والعادة أن المبتلى بشىء يتقنه مالايتقنه غيره ، ويتعرف من أحكامه مالايعرفه غيره ، وقد ذكر مسلم هذه الزيادة وهى اتخاذه للزرع من رواية ابن المغفل(١)،ومن رواية سفيان بن أبى زهير(٢)عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكرها أيضاً مسلم من رواية أبى الحكم واسمه عبد الرحمن بن أبى أنعم البجلى عن ابن عمر(٣).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة (٢٢) ، باب الأمر بقتل الكلاب (١٠) برقم ١٥٧٣ . ولفظه قال عبد الله بن مغفل : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ثم قال : "مابالهم وبال الكلاب؟ ورخص فى كلب الغنم والصيد والزرع" . ١٢٠٠/٤-١٢٠١ .

(٢) المرجع السابق ، الكتاب والباب السابقان ، برقم ١٥٧٦ . ولفظه : قال سفيان بن أبى زهير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من اقتنى كلبا لايغنى عنه زرعاً ولاضرعاً ، نقص من عمله كل يوم قيراط" . قال ـ السائب بن يزيد ـ آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال :أى ورب هذا المسجد ١٢٠٤/٣ .

قال النووى : "المراد بالضرع الماشية كما فى سائر الروايات ومعناه : من اقتنى كلباً لغير زرع وماشية" . شرح النووى على مسلم ٢٤١/١٠ .

(٣) المرجع نفسه : الكتاب والباب السابقان . ولفظه : عن أبى الحكم قال : سمعت ابن عمر يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "من اتخذ كلباً إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ، ينقص من أجره ، كل يوم قيراط" . ١٢٠٢/٣ .

وأبو الحكم هو :

عبد الرحمن بن أبى نعم البجلى ، أبو الحكم الكوفى ، العابد ، صدوق عابد . روى عن المغيرة ، وأبى هريرة ، وسفينة ، وعنه ابنه الحكم ، ومغيرة ، وفضيل ابن غزوان . مات قبل المائة .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٥/٥ ، الكاشف ١٨٨/٢ ، تقريب التهذيب ٥٠٠/١ .

فيحتمل أن ابن عمر لما سمعها من أبى هريرة وتحققها عن النبى صلى الله عليه وسلم رواها عنه بعد ذلك ، وزادها فى حديثه الذى كان يرويه بدونها ، ويحتمل أنه تذكر فى وقت أنه سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فرواها ونسيها فى وقت فتركها . والحاصل أن أبا هريرة ليس منفرداً بهذه الزيادة بل وافقه جماعة من الصحابة فى روايتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ولو انفرد بها لكانت مقبولة مرضية مكرمة"(١).

هذا هو الإنصاف والعدل ، والتحقيق العلمى الذى يعجز أعداء الإسلام من المستشرقين وأشياعهم أن يصلوا إلى معشاره .

ومن هنا يتبين أن ماألصقه هؤلاء بأبى هريرة لايمت إلى الحقيقة بصلة ، وهو عار عن الصحة ، مخالف للواقع ، ومن المستحسن أن نختم ذلك بقول من حطم صنم الاستشراق وزلزل أركانه فى هذا العصر ، إنه الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه القيم "السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى" ، فقد سطر بقلمه كلمة حق فى أبى هريرة رضى الله عنه فقال :

"إن صحابياً يظل يحدث الناس سبعاً وأربعين سنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على مسمع من كبار الصحابة وأقرب الناس إليه ، من زوجته وأصحابه ثم لايلقى إلا تجلة وإعظاماً ، يرجع إليه فى معرفة الأحاديث ، ويهرع إليه التابعون من كل جانب ، ويتزوج منه سيد علماء التابعين الإمام الجرىء التقى الورع سعيد بن المسيب ابنته ، ويتلقى عنه علمه وحديثه ، ويبلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم ، لم نسمع أن أحداً من الصحابة بلغ مبلغه فى الآخذين عنه ، وكلهم يجمعون على جلالته والثقة به ، وينطوى فى تاريخ الإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وهى كلها شهادات صدق فى أحاديثه وأخباره .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٠/٢٣٦-٢٣٧ .

إن صحابياً بلغ فى التاريخ مابلغه أبو هريرة ، يأتى إليه اليوم من يزعم أن المسلمين جميعاً أئمة وأصحاباً وتابعين ومحدثين لم يعرفوه على حقيقته ، وأنه فى الواقع كان يكذب ويفترى ، إن موقفاً كهذا يقفه بعض الناس من مثل هذا الصحابى العظيم ، لجدير بأن يجلب لأهله والقائلين به الاستخفاف والازدراء بعلومهم وعقولهم معاً"(١).

(١) ص٣١٩ .

(٥) وهنالك أمور تدل على الوضع فى الحديث . كما يزعمون . منها :

(أ) الأحاديث التى تدل على الأمور الغيبية :

قال جوينبل :

"وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبئية وضعت فى صورة أقوال نسبت إلى محمد تتعلق بفضائل أماكن متعددة ونواحى فى بلاد لم يفتحها المسلمون إلا فى عصر متأخر . وعلى هذا لايمكن أن تعد الكثرة الغالبةمن الأحاديث وصفاً تاريخياً صحيحاً لسنة النبى ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد ونسبت إليه عند ذلك فقط"(١).

(ب) الأحاديث التى تدل على التجسيم :

يرى جولد زيهر أن المتكلم السنى لم يستطع أن يسلك طريقة المعتزلة فى تأويل القرآن ورد الأحاديث ، ولهذا نجم خطر التجسيم ، وامتد بصفة خاصة فى الحديث الذى نمى بطريقة غير محدودة . ويمثل بأحاديث على ذلك منها ماجاء فى موطأ مالك : "إن ربنا ينزل كل ليلة إلى السماء الأولى قبل الثلث الأخير من الليل ، ويقول من يدعونى فأستجيب له؟ من له حاجة فأقضيها له؟ هل من مستغفر فأغفر له"(٢).

(ج) الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية :

قال ماكدونالد :

"إنه لاشك فى أن الأحاديث فى ذاتها لاتعتبر أساساً يمكننا أن نبنى عليه الحقائق التاريخية"(٣).

وقال جوينبل :

"ومع مضى الزمن لم يجرؤ أحد على الشك فى صحة هذه الأحاديث ،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/٧ .

(٢) العقيدة والشريعة ص١٢٥ بتصرف .
والحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٣/٢ .

ولم يصح فى الإمكان اعتبار رجال كأبى هريرة ـ الذى يرجع إليه الفضل فى تداول هذه الأحاديث ـ من الكاذبين ، بل سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ، ولم يرفض شىء منها إلا ماكان يتعارض مع ماوقع الإجماع على صحته . على أن الميل على العموم كان متجهاً إلى الثقة بمثل هذه الأحاديث أيضاً إذا أمكن على الأقل تفسيرها بروح التوفيق"(١).

وقد سبق قول ماكدونالد فى أن الأحاديث سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية .

(د) **الأحاديث المتناقضة :**

قال جويبنل :

"وينبغى أن نذكر فى هذا المقام أن مادة الحديث المروى كانت فى الواقع أصل التنازع ، فالغالب أن مافى موضوع الحديث من هوى هو الذى كان يثير المعارضة دائماً . فالحكم النهائى لم يكن مقصوداً به قيمة المحدث وإنما كان المقصود به الحكم على مادة الروايات التى يرويها"(٢).

وقال : "والأحاديث العديدة المتناقضة فى موضوع بعينه ، والتى سلم بصحتها وذكرت فى مجموعات الأحاديث جنباً إلى جنب تمد المؤرخ فى الغالب بدليل لايقوم على التطور الداخلى للإسلام"(٣).

ويزودنا ماكدونالد بأمثلة من الأحاديث المتناقضة فيقول :

"ونجد ... أحاديث تنص صراحة على أن محمداً كان لايرضى عن الجدل فى الدين . بينما نجد أحاديث أخرى تصوره لنا مقبلاً على الجدل إقبالاً شديداً . وكلا هذين النوعين مشكوك فيه على حد سواء وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٧/٧ .
(٢) المرجع السابق ٣٣٦/٧ .
(٣) المرجع السابق ٣٣٧/٧ .

تحكيم العقل فى هذه الأمور ، ويقنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل"(١).

وقال : "وكان من جراء الزيادات فى الحديث أيضاً أن اشتد التناقض فى صفات الله . ولهذا نجد حديثاً يكثر وروده وهو "إن رحمتى تغلب غضبى أو تسبقه"(٢).

ونجد من جهة أخرى ذلك الحديث المخيف : "هؤلاء للجنة ولاأبالى ، وهؤلاء للنار ولاأبالى"(٣)(٤).

ويقول زيهر :

"إنه لاتوجد مسألة خلافية سياسية أو إعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوى"(٥).

(هـ) تأخر التدوين فتح مجالاً للوضع :

يقول الأستاذ أنور الجندى :

"ونذكر شكوك المستشرقين فى السنة حول تأخر تدوين الحديث ، فهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذى بدأ فى المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا فى الحديث وحتى وضع أحاديث لخدمة أغراضهم ، ويردد هذا جولد زيهر ، ودوزى وشبرنجر ، وقد شك جولد زيهر فى صحة وجود صحف كثيرة فى عهد الرسول ، ويرمى من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها فى الصدور ، وهو يرمى أيضا إلى وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين ، وهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا مايوافق هواهم ، ويرى شبرنجر فى كتابه (الحديث عند العرب) أن الشروع فى التدوين وقع فى القرن الهجرى الثانى وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة ، أما دوزى فهو ينكر نسبة هذه (التركة المجهولة) من الأحاديث إلى الرسول"(٦).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٠/٢ .

(٢) يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ٢٧٥-٢٧٦

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧١/٢-٥٧٢ .

(٥) السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٠٣ .

(٦) الإسلام والمستشرقون ص٢٢٠-٢٢١ .

الجواب على ذلك :

(أ) **الأحاديث الدالة على الأمور الغيبة :**

لقد اختص سبحانه بعلم الغيب ونفى ذلك عن جميع الخلق فقال : "قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون}(١). ولذا نفاه عن نفسه أول رسل الله فى الأرض ، نوح عليه السلام(٢)، فى قوله : {ولاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولاأقول إنى ملك}(٣)الآية ، كما نفاه خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، فى قوله : {قل لاأملك لنفسى نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}(٤). ولكنه سبحانه يطلع رسله على ماشاء من غيبه تصديقاً لهم . كما قال سبحانه : {عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً}(٥).

قال القرطبى رحمه الله :

"أى لايظهر على غيبه إلا من ارتضى أى اصطفى للنبوة ، فإنه يطلعه على مايشاء من غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته"(٦).

ومن هنا فإن الأحاديث التى تدل على الغيب من أقوى الأدلة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه نبى من عند الله يوحى إليه . ولما كان جوينبل لايريد أن يسلم بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، طعن فى

---

(١) سورة النمل : آية ٦٥

(٢) لايقصد من هذا نفى رسالة آدم عليه السلام ، وإنما ذكر نوح لأنه أول رسل الله إلى أهل الشرك .

(٣) سورة هود : آية ٣١

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٨

(٥) سورة الجن : آية ٢٦-٢٨

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩ .

ذلك النوع من الأحاديث وزعم بأنها مكذوبة ، لأنه يلزم من صحتها صدق النبوة [١].

وأحاديث الغيب المنقولة عن النبى صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الصحيحة تفوق درجة التواتر فى جملتها ، ويبلغ الكثير منها التواتر بمفرده كأحاديث الدجال . والمسلمون لم يتلقوا تلك الأحاديث جزافاً وإنما فحصوها فحصاً دقيقاً ، وعرفوا الصحيح من السقيم فيها ، وماتبين وضعه ألحقوه بالكتب التى تبين الموضوعات ، وماصح منها سلموا به وصدقوا بما فيه [٢].

(ب) الأحاديث التى تدل على التجسيم :

زعم جولد زيهر أن المتكلم السنى لم يستطع أن يسلك طريقة المعتزلة فى تأويل القرآن ورد الأحاديث،ولهذا نجم التجسيم فى الأحاديث .

يجاب على زعمه:بأن السنى لم يسلك تلك الطريقة لفسادها وضلالها وانحرافها عن الصراط المستقيم ، وقد سبق الرد على منهج المعتزلة فى ذلك . كما بين هناك أمر التجسيم ، وأنه شىء مبتدع لاعهد للسلف به ، وإنما هو من تخرصات المبتدعة ورميهم لأهل السنة بما هم منه براء ، وهى نفس الفرية التى يرددها هذا المستشرق ومن شايعه من فرق أهل الابتداع .

وذكرنا أن نصوص القرآن والسنة لاتدل على تجسيم ،ولاتشبيه ولاتمثيل إنما ذلك أمر خيم على عقول أولئك القوم لعجزهم عن فهم صفات الله تعالى فهماً سليماً ، وفاز بذلك أهل السنة والجماعة أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم [٣].

---

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/٧ الهامش .

(٢) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٤٨-٤٤٩ .

(٣) انظر ص : ١٤٢ فمابعدها ، ١٥٤ فمابعدها .

وأمـا الحديث الذى استدل به ، فقد رواه البخـارى [(١)] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال : "ينزل ربنا تبـارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلـث الليل الآخر يقول : من يدعونى فاستجيب له ، مـن يسـألنى فأعطيه ، من يستغفـرنى فـأغفر له" .

قال ابن عبد البر :

"وهـو حديث منقول من طـرق متواترة ، ووجوه كثيرة ، مـن أخبار العدول ، عن النبى صلى الله عليه وسلم" [(٢)].

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان :

"وقـد اتفـق سلـف الأمة وأئمتهـا ، فى كـل زمـان ، على الإيمان بهـذا الحديث وتلقيه بالقبول ، كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قاله علانيـة ، وبلغـه الأمة تبليغـاً عاماً ، لم يخص به واحداً دون الآخر . وكـان الصحابة وأتباعهم يذكرونه ، ويروونه ، ويبلغونه تبليغاً عاماً .

ولهـذا ثبت فى عامة كتب الإسلام ، فمن أنكره ، أو زعـم أنه لايجوز ذكـره عند عامة الناس ، أو تأولـه على غير ظاهره ، فهـو ضال ، سالك غير

---

(١) صحيـح البخـارى ، كتاب التهجـد (١٩) ، باب الـدعاء والصلاة مـن آخر الليـل (١٤) ٤٧/٢ .
والحديث متـواتر . وممـن ألف فيـه الإمام الدارقطنى رحمـه اللـه ، وذكر له من رواته اثنى عشر صحابياً .
وقال ابن القيم : "إن نزول الرب تبارك وتعالى قد تواترت الأخبار به عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم . رواه عنـه ثمانية وعشرون نفسـاً من الصحابة" . مختصر الصواعق المرسلة ص٤٢٣ .
وانظر بعض طرق الحديث عن أبى هريرة فى :
صحيـح البخـارى ، كتـاب الدعـوات (٨٠) ، باب الـدعاء نصـف الليـل (١٤) ، ١٤٩/٧-١٥٠ ، وفى كتـاب التـوحيد (٩٧) ، باب قول اللـه تعـالى : {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (٣٥) ، ١٩٧/٨ .
صحيـح مسلم ، كتـاب صلاة المسـافرين وقصـرها (٦) ، باب الترغيـب فى الـدعاء والذكر فى آخر الليل (٢٤) برقم ٧٥٨ ، ٥٢١/١-٥٢٣ .

(٢) التمهيد ١٢٨/٧ .

سبيل المؤمنين ، فى ذلك .

ومـن زعم أنه يدل على مايجب أن ينزه الله عنه ، مـن النقص المنافى لكمـاله ، فقد أتى من فهمه الخاطـىء، وسوء ظنه باللـه العظيم . فـإن وصف الله - تعالى - بالنزول كوصفه بغيره من الصفات ، مثـل الاستواء والفوقية ، والمجىء ، والرضا والغضب ، وغير ذلك مما وصف تعـالى به نفسه ووصفته به رسلـه ، يجب أن يؤمـن به كلـه على وتيرة واحدة ، إيماناً بلاتمثيـل ، ولاتعطيل ، ولاتحريف ولاتأويل "(١).

فـالحديث ثابت لامطعـن فى صحتـه ولامعنـاه ، ولايدل على تجسيم ، ولايحتـاج إلى تأويل ، وقد دل على مثله القرآن وآمـن بذلك أهل الإيمان .

قال الإمام أبو سعيد الدارمى رحمه الله :

"فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل فى النزول ، ويحتـج به على من أنكـره قوله - تعالى - {هل ينظـرون إلا أن يأتيهم اللـه فى ظلـل من الغمام والملائكة}(٢)، وقوله تعالى : {وجاء ربك والملـك صفاً صفاً}(٣)، وهذا يوم القيـامة ، فالذى يقدر على النزول يوم القيامة من السمـوات كلها ، للفصل بين عباده ، قادر أن ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا .

فـإن ردوا قـول رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم فى النزول ، فمـاذا يصنعون بقول الله عز وجل "(٤).

ثم أورد عدداً من أحاديث النزول ثم قال :

"فهـذه الأحاديث قد جاءت كلهـا وأكثر منها فى نزول الـرب - تبارك وتعالى - وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقـه والبصر من مشايخنا ، لاينكرها منهم أحد ، ولايمتنع من روايتها"(٥).

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى ٣٥٥/٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٠

(٣) سورة الفجر : آية ٢٢

(٤) رد عثمان بن سعيد على الجهمية ص٢٨٤ بتصرف . ضمن عقائد السلف .

(٥) المرجع السابق ص٢٩١ .

وأقوال أهل العلم فى إثبات أحاديث صفة النزول لله والرد على من أنكرها ، وبيان معناها ، ونفى التجسيم والتشبيه عنها ، كثيرة جداً ، لايسعها هذا المقام[(١)].

(ج) **الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية :**

الذى يطلع فى دواوين السنة وخاصة الصحيحين يجد حشداً ضخماً من الأحاديث النبوية التى تشير إلى وقائع وأحداث تاريخية ماضية كقصص الأنبياء والأمم السابقة وبدء الخلق ، كما أن هنالك كثيراً من الأحاديث التى تدل على أمور تحدث فى المستقبل كأحاديث الفتن وغيرها .

وكثير من هذه الأحاديث صحيح وثابت تلقته الأمة بالقبول وصدقت بما جاء فيه وآمنت بكل ذلك . لأن الذى نطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}[(٢)].

وقد اعتمد علماء الأمة على تلك الأحاديث فى بيان الحقائق التاريخية وإثباتها ، بل تعتبر عندهم من أقوى الأدلة بعد القرآن الكريم ، ولذلك ملئت بها كتب السير والتاريخ ، وحكموها فى كثير من أخبار أهل الكتاب ، فقبلوا منها ماأيدته الأحاديث النبوية ، وردوا منها ماخالفته ، وتوقفوا فيما لم يرد شاهد من القرآن أو السنة عليه .

قال الحافظ ابن حجر فى بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم"[(٣)] قال :

---

(١) انظر : عقيدة أصحاب الحديث للصابونى ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٢/١ ، مجموع الفتاوى ٥٧٨،٤٠٩،٣٥٢/٥ ، ولشيخ الإسلام كتاب لطيف مفرد فى ذلك .

(٢) سورة النجم : آية ٤

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه معلقاً من حديث أبى هريرة ، كتاب الشهادات (٥٢) باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة (٢٩) ، ١٦٣/٣ .
وأخرجه موصولاً عنه رضى الله عنه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب {قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا} (١١) ، ١٥٠/٥ ، وفى كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : "لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء" (٢٥) ، ١٦٠/٨ .
=

"أى إذا كان مايخبروكم به محتملاً لئلا يكون فى نفس الأمر صدقاً فتكذبوه ، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا فى الحرج . ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولاعن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه"(١).

فقول ماكدونالد إن الأحاديث لاتبنى عليها الحقائق التاريخية ، وإنها سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية ، قول متهافت سار ركب أهل الإسلام على خلافه . وقد كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يستندون فى ذكر الحقائق التاريخية وتصويبها على ماجاء فى كتاب الله ومانص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى بسنده إلى سعيد بن جبير(٢)قال : قلت لابن عباس إن نوفاً البكالى(٣)يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل إنما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم : "أن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل ..." الحديث(٤).

= وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب مايجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها (٥١) ، ٢١٣/٨ .

(١) فتح البارى ١٧٠/٨ .

(٢) سعيد بن جبير :
هو سعيد بن جبير الأسدى مولاهم ، الكوفى ، ثقة ثبت فقيه ، روى عن ابن عباس وعبد الله بن مغفل . وعنه الأعمش وأبو بشر . قتل بين يدى الحجاج سنة ٩٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٩/٤-١٠ ، الكاشف ٣٥٦/١-٣٥٧ ، تقريب التهذيب ٢٩٢/١ .

(٣) نوف البكالى :
هو نوف بن فضالة البكالى ، ابن امرأة كعب ، شامى مستور . وإنما كذب ابن عباس مارواه عن أهل الكتاب . روى عنه أبو إسحاق الهمدانى وخالد بن صبيح مات بعد التسعين .
انظر : الجرح والتعديل ٥٠٥/٨ ، تقريب التهذيب ٣٠٩/٢ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٢٧) ، ١٢٧/٤ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب العلم (٣) ، باب مايستحب للعالم إذا سئل أى الناس أعلم فيكل العلم إلى الله (٤٤) ، ٣٨/١ . =

فقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على صدق الخبر وحقيقته بحديث النبى صلى الله عليه وسلم وكذب بذلك نوفاً ، وتلك حقيقة تاريخية دل عليها الحديث .

بل كانوا رضى الله عنهم يلجؤون إلى الأحاديث فى فض النزاع إذا اختلفوا فى حقيقة تاريخية كما يلجؤون إليها فى الأحكام .

روى البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزارى فى صاحب موسى ، قال ابن عباس هو خضر ، فمر بهما أبى بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : "إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال : نعم . سمعت رسول الله يقول : "بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل جاءه رجل . فذكر الحديث ، وفيه "بلى عبدنا خضر"(١).

وأما زعم جويبل أنه سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ، ولم يرفض شىء منها إلا ماكان يتعارض مع ماوقع الإجماع على صحته ، زعم يحتاج إلى مايسنده به

= وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الكهف (١٨) ، باب {وإذ قال موسى لفتاه لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين} (٢) ، ٢٣٠/٥ . وباب قوله : {فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا} (٤) ، ٢٣٤/٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤٦) برقم ٢٣٨٠ ، ١٨٤٧/٤ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٢٧) ، ١٢٦/٤-١٢٧ .

وأخرجه بلفظ مقارب ، فى كتاب العلم (٣) ، باب ماذكر فى ذهاب موسى فى البحر إلى الخضر عليهما السلام (١٦) ، ٢٦/١ ، وفى باب الخروج فى طلب العلم (١٩) ، ٢٧/١ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩٣/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب الفضائل (٤٣) ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤٦) ، ١٨٥٢/٤-١٨٥٣ .

ولـن يجد لـذلك سبيلاً ، فأين هـذه الأحاديث التى تتضمـن أخطـاء تاريخيـة شديدة الوضوح؟ كان عليه أن يورد مثـالاً واحداً لنـنـاقشه فيـه ، ولكنـه لم يفعل فدل ذلك على بطلان دعواه .

ثم الحديث حجة بنفسه فى جميع أمور الدين لايحتاج إلى مايسنده من إجماع أو غيره . وقد سبقت الأدلة على ذلك فى حجية السنة(١).

ولايمكن أن ننكر أن هنالك أحاديث موضوعة تحمـل بين طياتها أخطاء تاريخيـة ، ولكن ليس عليها الاعتماد ، وقد كشف عن حالهـا نقاد الأحاديث فهى مدونة معلومة .

(د) **الأحاديث المتناقضة :**

لقـد سبق أن بينا أن أحاديث النبى صلى اللـه عليـه وسلم لايمكنهـا أن تتنـاقض أبداً ، ومايظهر فيـه التعارض وفق بينه العلمـاء بطـرق معلومة(٢).

كما بين العلماء أسباب الاختلاف وأوضحوها ، فمـا كان سببه الوضع بينـوه ، ومالم يكن سببه الوضع بينوه أيضاً ، فالادعـاء بأن وجود الأحاديث المختلفة كلها دليل على الوضع ادعاء باطل وزعم فاسد(٣).

وكـون أهل الأهواء والبدع وأصحـاب الخلافات العقـائدية والسياسية وضعـوا أحاديث للنيل من بعضهم بعضاً ، والطعن فى بعضهـم بعضاً ، وأدى ذلـك إلى وقوع التنازع والاختلاف بينهم . لايضر ذلـك الأحاديث الصحيحة الثابتة ، ولايحكم بسبب ذلك على كل الأحاديث بهذا الحكـم الجائر المنحرف وقـد بينت تلك الأحاديث وغصت بها كتب الموضوعـات ، ولاأظن أن ذلك يخفى على المستشرقين وخاصة جولد زيهر الذى عرف بكثرة اطلاعـه ، ولكن الهوى يعمى ويصم ، وخاصة إذا شيب هذا الهوى بسوء القصد .

---

(١) انظر ص ٨٠ فما بعدها .

(٢) انظر ص٤٦٠ فما بعدها .

(٣) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٠٤ .

والأحاديث الصحيحة الثابتة لايمكن أن تكون مادة للتنازع وهى الحكم الذى يفض التنازع بين الناس ويؤلف بين قلوبهم ، كما قال سبحانه {ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً}(١).

قال العلامة ابن كثير فى شرح هذه الآية :

"قوله {فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول} قال مجاهد وغير واحد من السلف : أى إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شىء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : {وماختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله}(٢)، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} .

أى ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} .

فدل على أن من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولايرجع إليهما فى ذلك فليس مؤمناً بالله ولاباليوم الآخر . وقوله {ذلك خير} أى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والرجوع إليهما فى فصل النزاع خير {وأحسن تأويلا} أى وأحسن عاقبة"(٣).

فلايقع التنازع والاختلاف بين الناس إلا عندما يرفضون حكم الكتاب والسنة ، أو تحكيمهما بينهم .

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩

(٢) سورة الشورى : آية ١٠

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١٨/١ . وانظر التبيان فى أقسام القرآن ص٣١١-٣١٢ .

ومثـل ماكدونالد على التنـاقض بأن هنالك أحاديث تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لايرضى عن الجدل فى الدين وأخرى تصوره مقبلاً عليه إقبالا شديداً .

ويجاب على هذا :

أولاً : إن مـاكدونالد لم يذكـر لنـا تلك الأحاديث لنرى صـدق قـوله وحقيقته . وأما إطلاقه للكلام هكذا على عواهنه ينافى المنهـج العلمى الدقيق الذى يدعيه هؤلاء المستشرقون .

ثانيـاً : لـو سلمنـا بوجود تلـك الأحاديث فعلاً ، ثم سلمنـــا بصحتهـا جميعا ، لما وجد مكدونالد فى ذلك حجة يستند إليها .

وبرهان ذلك :

إن الجدال فى دين اللـه عـز وجل منـه مالايجوز شـرعاً ، ومنـه مـاهو جائز .

فمثـــال الجدال الممنـــوع فى دين اللـــه ، أن يجادل الإنســـان بغير علم ولاعقل صحيح ، ولادليل واضح ، بل يجادل بمجرد الـرأى والهوى كما قال سبحانه : {ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير}(١).

ومن ذلك أن يجادل الإنسان بالباطل ليرد الحق ، وبالشبه الفاسدة ليرد الحجج الصحيحة ، وليس عنده حجة من الله تعالى كمـا قال سبحانه : {إن الـذين يجادلـون فى آيات اللـه بغير سلطـان أتاهـم إن فى صـدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه}(٢). وفى الآية الأخرى : {الـذين يجادلـون فى آيات اللـه بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار}(٣).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٠٨/٣ . والآية هى (٨) من سورة الحج .

(٢) سورة غافر : آية ٥٦

(٣) انظـر : تفسير القـرآن العظيم ص٧٩،،٨٤ ، والآية هـى (٣٥) مـن سـورة غـافر .

ومن ذلك أن يضرب الناس آيات الله بعضها ببعض ، فيورد هذا آية ويردها الآخر بآية أخرى ، فهذا جدال ومراء نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : "لقد جلست أنا وأخى مجلساً ماأحب أن لى به حمر النعم ، أقبلت أنا وأخى ، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه ، فكرهنا أن نفرق بينهم ، فجلسنا حجرة[1]، إذ ذكروا آية من القرآن ، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً ، قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ، ويقول : "مهلاً ياقوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتب بعضها ببعض ، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً ، بل يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وماجهلتم منه فردوه إلى عالمه"[2].

---

(١) فجلسنا حجرة : أى ناحية منفردين .
انظر : النهاية ٣٤٢/١ .

(٢) أخرج ابن ماجه فى سننه نحوه فى المقدمة ، باب فى القدر (١٠) برقم ٨٥ ، ٣٣/١ .
قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "حسن صحيح" . صحيح ابن ماجه ٢١/١ .
وأخرجه أحمد فى مسنده بلفظه ١٨١/٢ .
وبنحو منه ١٧٨/٢،١٨٥،١٩٢،١٩٥-١٩٦ .
قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٧٤/١٠ .
وصححه الشيخ ناصر الدين الألبانى . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠١ فى الهامش .
وأخرج عبد الرزاق نحوه فى مصنفه ، باب الخصومة فى القرآن برقم ٢٠٣٦٧ ، ٢١٦/١١-٢١٧ .
وأخرج البخارى نحوه فى خلق أفعال العباد برقم ٢١٨ . قال المحقق : "إسناده حسن" ص٧٠-٧١ .
وأورد نحوه الآجرى فى الشريعة ص٦٨ ، والبغوى فى شرح السنة ، باب الخصومة فى القرآن برقم ١٢١ .
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : "إسناده حسن" ٢٦٠/١ . =

ومن الجدال الجائز شرعاً ماكان بوجه حسن مؤيد بالبرهان والدليل ، مصحوب بالرفق واللين وحسن الخطاب كما قال سبحانه :

{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن}(١).

وقوله : {ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم}(٢)(٣).

وقوله : "وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث ـ أى التى تدل على عدم رضا النبى صلى الله عليه وسلم بالجدل فى الدين ـ قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون تحكيم العقل فى هذه الأمور ، ويقتنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل". قول زائف واتهام باطل ، فمن هؤلاء الذين يرميهم بالوضع ويتهمهم به غير أهل الحديث وسلف هذه الأمة ،والطائفة المنصورة ، التى لاتقدم على نصوص الكتاب والسنة عقلاً ولارأياً مهما كان صاحبه؟، فقد اعتصموا بنصوص الوحى وعظموها أيما تعظيم وأجلوها غاية الإجلال ، فمثلهم لايكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أولى الناس بالدفاع عنه والذب عن حياضه ، والذود عن سنته ، وبذلك استحقوا لقب أهل الحديث ، ولازالوا والحمد لله يرفضون تحكيم العقل فى النصوص وهم حرب على من فعل ذلك .

= والحديث له أصل فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ولفظه : قال عبد الله : "هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً . قال : فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب ، فقال : "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب" كتاب العلم (٤٧) ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه ، والنهى عن الاختلاف فى القرآن (١) برقم ٢٦٦٦ ، ٢٠٥٣/٤ .

(١) سورة النحل : آية ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٦

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٩١/٢ .

ومثل على التناقض أيضا بالحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتى سبقت غضبى"(١). وفى رواية "تغلب غضبى"(٢).

وحديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى مرفوعاً : "إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء إلى الجنة ولاأبالى ، وهؤلاء إلى النار ولاأبالى ، فقال قائل : يارسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال : على مواقع القدر"(٣).

وزعم أنه بسبب هذه الأحاديث الموضوعة المتناقضة اشتد التناقض فى صفات الله .

وبحمد الله فإن الحديثين لاتناقض بينهما البتة ، وبيان ذلك :

أما الحديث الأول فهو يبين سعة فضل الله ورحمته على عباده ، وأن رحمته سبحانه سابقة وغالبة لغضبه ، لأن رحمته تعم كل شىء من الخليقة فما من مخلوق إلا وصل إليه رحمته وفضله وإحسانه كما قال سبحانه :

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {وكان عرشه على الماء} (٢٢) ٨/١٧٦ ، وبلفظ مقارب ، فى باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ٨/١٨٧-١٨٨ . وفى باب قول الله تعالى : {بل هو قرآن مجيد} (٥٥) ، ٨/٢١٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى سعة رحمة الله تعالى (٤) برقم ٢٧٥١ ، ٤/٢١٠٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {ويحذركم الله نفسه} (١٥) ، ٨/١٧١ .
وأخرجه بلفظ : "إن رحمتى غلبت غضبى" فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} (١) ، ٤/٧٣ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى سعة رحمة الله تعالى (٤) ، برقم ٢٧٥١ ، ٤/٢١٠٧-٢١٠٨ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ص: ٢٧٥- ٢٧٦

{ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً}(١)، ولاينفي ذلك الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة .

فتلك تتعلق بالمؤمنين لقوله : {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ...}(٢)الآية .

وقال الحافظ ابن حجر في معنى الحديث :

"تعلق الرحمةغالب سابق على تعلق الغضب . لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث" .

وقال : "وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول ، تقول غلب على فلان الكرم أي أكثر أفعاله" .

ثم نقل عن الطيبي أنه قال : "في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لاينالهم إلا باستحقاق ، فالرحمة تشمل الشخص جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولايلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر منه شيء من الذنوب مايستحق معه ذلك"(٣).

وأما الحديث الثاني فقد سبق شرحه(٤)وملخص ذلك :

إن الله ليس كمثله شيء ، فأخذ من الخلق بعلمه وعدله وحكمته من علم أنه سيطيعه فأدخله الجنة ، وأخذ منهم من علم أنه سيعصيه ولايطيعه فأدخله النار .

فمن أخذهم إلى الجنة هم الذين يستحقون رحمته الخاصة ، ومن أخذهم إلى النار لما علم من عدم استحقاقهم لذلك .

فأين التناقض المزعوم؟ إنه شيء في أذهان أولئك البشر لاحقيقة له أبداً .

---

(١) سورة غافر : آية ٧

(٢) انظر : الكواشف الجلية ص٢٠٠،٢٠١ ، والآية هي (١٥٦) من سورة الأعراف .

(٣) فتح الباري ٢٩٢/٦ .

(٤) انظر ص: ٢٧٦

(هـ) تأخر التدوين :

لقد أراد المستشرقون بمزاعمهم حول التدوين أن يعضدوا تشكيكهم فى صحة الحديث ، ويؤيدوا قولهم بوضعه أو بوضع معظمه ، والذى يتتبع ماوجد فى دواوين السنة يجزم بأنه لم يخل عصر من عصور المسلمين من كتابة الحديث وتقييده . بدءاً بعصر النبى صلى الله عليه وسلم فما بعده .

بل الروايات بالأسانيد الثابتة التى تدل على كتابة الحديث فى عصره صلى الله عليه وسلم تبلغ درجةالتواتر(١).

فقد أذن صلى الله عليه وسلم لبعض صحبه بالكتابة ، وأمر بعضهم بها من ذلك :

(١) روى البخارى وغيره من حديث أبى هريرة ، وفيه: إن رجلاً من أهل اليمن قال : اكتب لى يارسول الله ، فقال : "اكتبوا لأبى فلان"(٢).

(٢) وأخرج من حديث وهب بن منبه(٣)عن أخيه(٤)قال : سمعت أبا هريرة يقول :

---

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣٣،٤١،٤٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ ، وفى كتاب اللقطة (٤٥) ، باب كيف تعرف لقطة مكة (٧) ، ٩٤/٣-٩٥ ، وفى كتاب الديات (٨٧) ، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين(٨) ، ٣٨/٨-٣٩ ولفظه فى الموضعين الأخيرين : "اكتبوا لأبى شاه" .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب تحريم مكة وصيدها (٨٢) برقم ١٣٥٥ بلفظ : "اكتبوا لأبى شاه" ٩٨٨/٢-٩٨٩ .

(٣) وهب بن منبه :
هو وهب بن منبه بن كامل اليمانى ، أبو عبد الله الأبناوى . ثقة . وقال الذهبى "إخبارى ، علامة ، قاص ، صدوق ، صاحب كتب" . روى عن ابن عباس وابن عمر . وعنه آله ، وسماك بن الفضل . مات سنة بضع عشرة ومائة .
انظر : الجرح والتعديل ٢٤/٩ ، الكاشف ٢٤٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٣٩/٢ .

(٤) أخوه :
هو همام بن منبه بن كامل الصنعانى ، أبو عتبة ، ثقة . روى عن أبى هريرة ومعاوية . وعنه ابن أخيه عقيل بن معقل ومعمر . مات سنة ١٣٢هـ على الصحيح
انظر : الجرح والتعديل ١٠٧/٩ ، الكاشف ٢٢٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٢١/٢ .

"مامن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً منى إلا ماكان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولاأكتب"(١).

وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما كان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يكتب بيده ماسمعه منه فأذن له(٢).

وهو القائل : "كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتنى قريش وقالوا : أتكتب كل شىء ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : "اكتب فوالذى نفسى بيده مايخرج منه إلا حق"(٣).

(٣) قال أبو جحيفة(٤) قلت لعلى : هل عندكم كتاب؟ قال: "لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو مافى هذه الصحيفة"، قال : قلت ومافى هذه الصحيفة؟ قال :

---

(١) سبق تخريجه . انظر ص : ٥٣٣

(٢) انظر : فتح البارى ٢٠٧/١ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم ، باب فى كتابة العلم برقم ٣٦٤٦ ، ٣١٨/٣ .

والدارمى فى سننه ، المقدمة ، باب من رخص فى كتابة العلم ١٢٥/١ .

وأحمد فى مسنده ١٦٢/٢،١٩٢ ، وأخرج نحوه ٢١٥/٢ .

والحاكم فى مستدركه ، كتاب العلم ١٠٥/١-١٠٦ .

وانظر : تقييد العلم ص٧٤،٨٣ ، جامع بيان العلم ٨٥/١ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح الجامع ٣٨٥/١ ، صحيح سنن أبى داود ٦٩٥/٢ ، السلسلة الصحيحة برقم ١٥٣٢ .

(٤) أبو جحيفة :

اسمه وهب بن عبد الله السوائى ، ويقال له وهب الخير . صحابى معروف صحب علياً .

تقريب التهذيب ٣٣٨/٢ .

"العقل ، وفكاك الأسير ، ولايقتل مسلم بكافر"(١).

ومن ذلك :

كتبه صلى الله عليه وسلم للملوك والعظماء يدعوهم فيها إلى الإسلام وكتبه إلى أمرائه وعماله فى شئون الأقاليم وأحوالها ، وفى أحكام الدين(٢) فقد كتب إلى كسرى(٣)، وهرقل ، والمقوقس(٤)، وغيرهم(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ . وأخرج نحوه فى كتاب الجزية (٥٨) ، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة (١٠) ، ٦٧/٤ ، وفى كتاب الفرائض (٨٥) ، باب إثم من تبرأمن مواليه (٢١) ، ١٠/٨ . وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، كتاب الحج (١٥) ، باب فضل المدينة (٨٥) برقم ١٣٧٠ ، ٩٩٤/٢-٩٩٥ .

قال ابن الأثير : "العقل : فهو الدية . وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعلقها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها فى عُقُلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدية عقلا بالمصدر" . النهاية ٢٧٨/٣ .

(٢) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣٩-٤٠ .

(٣) كسرى :

لقب لملوك الفرس . والمراد كسرى ابرويز بن هرمز ، وكان من أشد ملوك الفرس بطشا، وأنفذهم رأيا ، وكان صاحب بأس ونجدة . وهو الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم خطابا مع عبد الله بن حزافة السهمى ، وقيل مع شجاع بن وهب ، فمزقه، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فمزق وقد سلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله .

انظر : الكامل فى التاريخ ٤٧٢/١-٤٩٧ ، البداية والنهاية ٢٦٨/٤ .

(٤) المقوقس :

هو لقب لمن ملك الاسكندرية . والمراد به هنا جريج بن ميناء القبطى . صاحب مدينة الاسكندرية ، وهو الذى بعث إليه النبى صلى الله عليه وسل كتابا مع حاطب بن أبى بلتعة يدعوه فى إلى الإسلام ، فأكرم نزل حاطب ، ورده ردا جميلا وبعث معه بهدايا إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

انظر : البداية والنهاية ٢٧٢/٤ .

(٥) انظر : صحيح البخارى ١٣٦/٥ ، ٥٢/٧-٥٣ ، صحيح مسلم ١٣٩٧/٣،١٦٥٧ .

والنصوص فى هذا المعنى كثيرة وكلها تفيد الإذن بالكتابة .

ولايعكر على هذه الأحاديث التى تدل على جواز الكتابة مارواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لاتكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه"(١).

وقد أجاب العلماء عن حديث أبى سعيد بأجوبة منها :

(١) إنه منسوخ بأحاديث جواز الكتابة .

ذكر ذلك ابن قتيبة(٢)، والخطابى(٣)، ورجحه الشيخ أحمد محمد شاكر(٤).

(٢) النهى كان عن كتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة لئلا يختلط به .

ذكره الخطابى(٥)، وأورده النووى عن القاضى عياض(٦).

(٣) النهى خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه والإذن فى غير ذلك(٧)

(٤) النهى خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن منه ذلك(٨).

(٥) وأعل البخارى وغيره حديث أبى سعيد بالوقف(٩).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق (٥٣) ، باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم (١٦) برقم ٣٠٠٤ ، ٢٢٩٨/٤ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) انظر: مختصر شرح سنن أبى داود ٢٤٦/٥ .

(٤) انظر : الباعث الحثيث ص١٢٨ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص٣٩-٤٠ .

(٥) انظر : شرح مختصر سنن أبى داود ٢٤٦/٥ .

(٦) انظر : شرح النووى على مسلم ١٣٠/١٨ ، فتح البارى ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص٣٩ .

(٧) انظر : فتح البارى ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص٣٩ .

(٨) انظر : فتح البارى ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص٤٠ .

(٩) انظر : فتح البارى ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص٤٠ .

ورد ذلك الشيخ أحمد محمد شاكر بأنه غير جيد لأن الحديث صحيح[١].

(٦) النهى عام لعدم إتقان الصحابة للكتابة إلا القليل ، والإذن لمن أمن منه الغلط فيما يكتبه كعبد الله بن عمرو[٢].

قال الشيخ أحمد محمد شاكر بعد ذكره للأدلة الدالة على الإذن فى الكتابة :

"وهذه الأحاديث مع استقرار العمل بين أكثر الصحابة والتابعين ، ثم اتفاق الأمة بعد ذلك على جوازها ، كل هذا يدل على أن حديث أبى سعيد منسوخ . وأنه كان فى أول الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن . وحديث أبى شاه فى أواخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إخبار أبى هريرة، وهو متأخر الإسلام أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه هو لم يكن يكتب ، يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبى هريرة ، ولو كان حديث أبى سعيد فى النهى متأخراً عن هذه الأحاديث فى الإذن والجواز ، لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً ، ثم جاء إجماع الأمة القطعى بعد قرينة قاطعة على أن الإذن هو الأمر الأخير ، وهو إجماع ثابت بالتواتر العملى ، عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول رضى الله عنهم أجمعين"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر :

"الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم ، بل على استحبابه بل لايبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم"[٤]، .

---

(١) انظر : الباعث الحثيث ص١٢٧ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٨٧ .

(٣) الباعث الحثيث ص١٢٨ .

(٤) فتح البارى ٢٠٤/١ ، وانظر : السنة قبل التدوين ص٣٠٨-٣٠٩ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص١٧٠-١٧١ ، الحديث والمحدثون ص١٢٣-١٢٤ .

ومـن هنا فقد قام جملة مـن الصحابة بكتابة ماسمعـوه مـن النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم كتب ذلك فى صحف كالصحيفة الصادقة لعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وكصحيفة جابر بن عبد الله وغير ذلك .

وقد ذكر الدكتور عجاج الخطيب جملة كبيرة مما كتبه الصحابة رضى الله عنهم فى صدر الإسلام ، ومما كتبه التابعون رحمهم الله كصحيفة همام ابن منبه ، حتى كثرت الكتب بينهم وتفشت(١).

وهنـالك أمر تجدر الإشارة إليـه ، وهو أن الصحـابة رضـى الله عنهم كانوا يتمتعون بأذهان صافيـة ، وحوافـظ وقـادة ، وذكـاء مفـرط ، ولـذلك كانوا يعتمدون على الذاكرةاعتمـاداً تامـاً ، فحفظـوا حديث النبى صلى اللـه عليـه وسلم مـع حفظهم لكتـاب اللـه ، فكانت صدورهـم مستـودعاً للحديث استغنوا بها عن استيداعه القراطيس . ومع ذلك كما أسلفنـا وجد من يكتب فسار الحفظ والكتابة جنباً إلى جنب(٢).

ثم انتقلـت كتـابة الأحاديث إلى مـرحلة أخرى وهـى تدوين الحديث تدوينـاً رسمياً ليكون مرجعاً يعتمـد عليه ويتداوله النـاس ، وكان ذلك على رأس المائة الأولى بأمـر الخليفـة عمر بن عبد العزيز رحمـه الله ، كما أورد ذلك الإمام البخارى ، فإنه قال :

---

(١) انظـر : السنة قبل التدوين ص٣٤٣-٣٥٧ ، السنـة وحجيتهـا ومكانتها فى الإسلام ص١٧٦-١٧٩ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص١٢٣ ، منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٣٠-٤٣٨ ، السنة وحجيتها ومكانتها فى الإسلام ص١٧٣-١٧٨ .

"وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم(١): انظر ماكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولايقبل إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لايعلم ، فإن العلم لايهلك حتى يكون سراً"(٢).

وأول من استجاب إليه ابن شهاب الزهرى رحمه الله ، كما قال الحافظ ابن حجر :

"وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى على رأس المائة بأمر عمر ابن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين ثم التصنيف ، وحصل بذلك خير كثير"(٣).

وهذا التدوين كما سبق تدويناً رسمياً عاماً لاينفى ماكتبه الصحابة وقيده التابعون من قبل ، إذ أن تقييد الحديث لم ينقطع بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن أودع فى المؤلفات المختلفة(٤).

ثم اشتد نشاط العلماء فى التأليف فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، وظهرت مصنفات رتبت فيها الأحاديث على الأبواب بعد أن كانت تجمع الأحاديث المختلفة فى الصحف والكراريس ثم ظهرت المسانيد والجوامع ثم أفردت الأحاديث الصحاح مرتبة على الأبواب الفقهية(٥).

---

(١) أبو بكر بن حزم :
هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى البخارى ، المدنى ، القاضى ، اسمه وكنيته واحد ، وقيل إنه يكنى أبا محمد . ثقة عابد . روى عن السائب بن يزيد وخالته عمرة . وعنه ابناه عبد الله ومحمد ، والأوزاعى . مات سنة ١٢٠هـ وقيل غير ذلك .
انظر : الجرح والتعديل ٣٣٧/٩ ، الكاشف ٣١٦/٣ ، تقريب التهذيب ٣٩٩/٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب كيف يقبض العلم (٣٤) ٣٣/١ فى الترجمة .

(٣) فتح البارى ٢٠٨/١ ، وانظر : مقدمة تحفة الأحوذى ص٤٠ .

(٤) انظر : السنة قبل التدوين ص٣٣٢ ، منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٢ .

(٥) انظر : السنة قبل التدوين ص٣٤١-٣٤٢ .

ثم بدأ التـأليف للمصنفـات الحديثيـة يتطور ويأخذ فى التحسين طبقـة بعـد طبقـة وعصـراً بعـد عصـر حتى بلـغ ذروة الكمـال ومنتهـى الجودة فى الإتقان [١].

ثم انتشـرت بعـد ذلك المؤلفـات وتعـددت أنواعهـا ، فمـا من علم من علـوم الحديث أو جانب من جوانبـه إلا وفيه من المصنفـات مايعجز الإنسان عن حصره .

وبعد هذا السرد الموجز لأمر التدوين يتضح لنا أن الحديث حفـظ منذ عهـد النبى صلى الله عليه وسلم فى الصـدور وكتب بعضـه فى الصحـف ، ثم دون تدوينـاً عاماً بأمر عمر بن عبـد العزيز رحمه اللـه ، ثم انتشـر التأليف بعـد ذلك، وقد اعتنى به المسلمـون اعتناء منقطع النظير فى مختلـف العصور ، وتنـاقلته الأجيال حفظاً ودراسة مشافهة ، وعن طريق الكتـابة ، وبذل علماء الإسلام غاية الجهد فى خدمته ، فمازوا صحيحه من ضعيفـه ، وأودعوا ذلك كتبـاً كـانت مـوضع احترام الأمـة وقبـولهـا كـالصحيحين [٢]. فمـا يدعيـه المستشـرقون ليـس لـه مثقـال ذرة مـن الصحـة ، بل هــو ضلال وبهتـان ، ودعاوى لم تبن على أساس متين ، ولم تقم على أرض صلبة .

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص٢٤٥ .
(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص٣٨٠ .

(٦) العلماء والوضع :

(أ) التابعون وأصحاب المذاهب :

قال جولد زيهر :

"ولانستطيع أن نعزوا الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلى ، بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لايرى عليها شائبة فى ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه .

فالحق إن كل فكرة ، وكل حزب ، وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضاً هذا الطريق ومن ذلك لايوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لاتعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لاتشوبه أى شائبة"(١).

(ب) الامام الزهرى وبنو أمية :

قال زيهر :

"وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهرى بدهائهم فى سبيل وضع الحديث" .

وقال : "إن عبد الملك بن مروان(٢)منع الناس من الحج أيام فتنة

---

(١) العقيدة والشريعة ص٤٩-٥٠ .

(٢) عبد الملك بن مروان :
هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى ، أبو الوليد المدنى ثم الدمشقى . كان فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً . انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة . اجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل أبناء الزبير . توفى سنة ٨٦هـ . =

ابن الزبير[(١)] وبنى قبة الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة ، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهرى وهو ذائع الصيت فى الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث فى ذلك ، فوضع أحاديث ، منها حديث : "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"[(٢)]. ومنها حديث : "الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فى ماسواه"[(٣)].

وأمثال هذين الحديثين ، والدليل على أن الزهرى هو واضع هذه الأحاديث ، أنه كان صديقاً لعبد الملك وكان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط"[(٤)].

(ج) **علماء الحديث والفقه** :

قال زيهر :

"ونظراً لما وقع فى أيديهم - أى العلماء - من ذلك - أى من الأحاديث - لم يكن ليسعفهم فى تحقيق أغراضهم ، أخذوا يخترعون من

= انظر : تاريخ بغداد ١٠/٣٨٨-٣٩١ ، ميزان الاعتدال ٢/٦٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٤٦-٢٤٩ ، البداية والنهاية ٨/٢٦٠ ، ٩/٦١ ، فوات الوفيات ٢/٤٠٢-٤٠٤ ، تهذيب التهذيب ٦/٤٢٢-٤٢٣ ، تقريب التهذيب ١/٥٢٣ ، الأعلام ٤/١٦٥ .

(١) فتنة ابن الزبير :
لما عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد امتنع عبد الله بن الزبير عن مبايعته ، وأوى إلى مكة وبويع له بالخلافة ، وقوى أمره بعد موت يزيد فاستقل بالحجاز واليمن ومصر والعراق وخرسان وبعض الشام .
ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان عقب أبيه ، سير الجيوش لقتال ابن الزبير ، بقيادة الحجاج بن يوسف فحوصر فى مكة ثم قتل سنة ٧٣هـ واستوثق الأمر لعبد الملك .
انظر : العبر ١/٥١،٦٠ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٤ .

(٢) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٤) السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩١ .

عندهم أحاديث رأوها مرغوباً فيها ولاتنافى الروح الإسلاميــة ، وبرروا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون هذا فى سبيل محاربة الطغيان والالحاد والبعد عن سنن الدين."(١).

(١) السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٠١ .

الجواب على ذلك :

(أ) **التابعون وأصحاب المذاهب :**

لقد أثنى الله سبحانه على التابعين بإحسان ، الذين سلكوا مسلك الصحابة رضى الله عنهم وساروا على نهجهم ، وتمثلوا بأخلاقهم ، وزادوا عن حمى الدين ، وبذلوا نفوسهم فى الدفاع والذب عنه ، فقد ترضى سبحانه عليهم كما ترضى على صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}(١).

وهم الذين يثنون على الصحابة خيراً ، ويلهجون بالدعاء لهم ، وقد صفت قلوبهم وصدورهم من كل حقد وضغينة لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فعرفوا لهم حقهم وأدوا إليهم مايجب عليهم ،وماذلك إلا لإيمانهم الراسخ بهذا الدين وحبهم العظيم لنبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، قال سبحانه فى وصفهم : {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم}(٢).

ومدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون بعد قرنه وقرن صحابته فقال : "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٣).

وقد اتهمهم جولد زيهر بالوضع فى الحديث كما اتهم صحابة النبى صلى الله عليه وسلم من قبل بقوله : "أوهى - أى الأحاديث - من عمل

---

(١) سورةالتوبة : آية ١٠٠

(٢) سورة الحشر : آية ١٠

(٣) سبق تخريجه . انظر ص : ٥١٩ - ٥٢٠

رجال الإسلام القدامى" ، ولاشك أنه يدخل فى ذلك الصحابة دخولاً أولياً ، كما يدخل التابعون وخاصة الكبار منهم .

وكما نفينا الوضع عن الصحابة الأجلاء ننفيه عن كبار التابعين ، وعلمائهم ، وذلك لقرب عهدهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ، إذ لاتزال القلوب متأثرة بتوجيهاته ، تعمها التقوى ، وتغمرها الخشية والورع ، ووجود الصحابة رضى الله عنهم له أبلغ الأثر فى القضاء على الكذب فى الحديث ، وقد كانوا بالمرصاد لمن تحدثه نفسه بذلك ، كما أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة لاتزال فى نشأتها الأولى(١).

قال السخاوى :

"إن احتمال الضعف فى الواسطة حيث كان تابعياً - لاسيما الكذب - بعيد جداً ، فإنه صلى الله عليه وسلم أثنى على عصر التابعين وشهد له بعد الصحابة بالخيرية"(٢).

وقال :

"ولايكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقرض فى الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور ، والمختار الكذاب(٣)، فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى ، كان فى أوائله من

---

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٧٨ ، السنة قبل التدوين ص١٩٣ ، أصول الحديث ص٤١٧ .

(٢) فتح المغيث ١٤١/١ .

(٣) المختار :

هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، أبو إسحاق من الزعماء الثائرين على بنى أمية . كان يوالى بنى هاشم ، فلما قام عبد الله بن الزبير بالخلافة عاهده على النصرة ، فبعثه إلى الكوفة ، فقوى أمره ودعا إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وتتبع قتلة الحسين بن على فقتلهم ، وقتل عبيد الله بن زياد والى الأمويين ، ثم ادعى النبوة ونزول الوحى عليه ، وكان كذاباً ، فلما علم ابن الزبير بمكره أرسل إليه جيشاً بقيادة أخيه مصعب فقتله فى عام ٦٧هـ .

انظر : أسد الغابة ١٢٢/٥ ، الكامل فى التاريخ ٢١١/٤،٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣ ، البداية والنهاية ٢٨٩/٨ ، الإصابة ٥١٨/٣-٥٢٠ ، شذرات الذهب ٧٤/١ الأعلام ١٩٢/٧ .

أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث ، فتراهم يرفعون الموقوف ويرسلون كثيراً ولهم غلط"(١).

ولم يقف نقاد الحديث وصيارفته من أولئك مكتوفى الأيدى بل كشفوا حالهم وبينوه ، ودونوا ذلك . فالتابعون رواة الأحاديث أمرهم معلوم وحالهم معروف من حيث العدالة والأمانة ، ومن كان ضعيفاً منهم فحاله بين وأمره واضح لالبس فيه ، وبالتالى ماوضع من حديث أوأخطأ فيه ناقله أيضاً معلوم مدون فى الكتب المعتمدة(٢).

وقد سبق أن ذكرنا جهود التابعين التى بذلت فى صيانة الحديث وحفظه من أيدى العابثين(٣)، ومحال أن يوجد بين صفوفهم كذاب أو وضاع ولم يفتضح أمره وتظهر حقيقته ، بل يستحيل أن يوجد من يخطىء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت عنه أئمة التابعين وعلماؤهم ، لأنهم ربوا على أيدى الصحابة رضى الله عنهم ، وحسبك بتلك التربية ، فإنها كافية فى غرس كل فضيلة وخصلة حميدة وصفة كريمة فى نفوس التابعين .

فرميهم بالاختلاق والوضع من قبل هذا المستشرق جور وظلم ، وتجنى عليهم رحمهم الله .

وأما أصحاب المذاهب وفى مقدمتهم الأئمة الأربعة رحمهم الله كانوا أعلاماً للأمة ، شرفهم الله بحمل العلم ، والقيام بواجبه ، فتمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهم أئمة هدى ، مكنهم الله فى فهم دينه بسبب تقواهم وخلوص نياتهم ، وكدهم واجتهادهم فى طلب العلم ، وقد أجمعت الأمة على أمانتهم وعدالتهم(٤).

---

(١) فتح المغيث ٣٥١/٣ ، الإعلان بالتوبيخ ص١٦٣ .

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٣٧ .

(٣) انظر ص ٤٨٧ فما بعدها .

(٤) انظر : موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١١٧ .

وقد كانوا أئمة مجتهدين توفرت عندهم لوازم الاجتهاد وأدواته ، وكان لكل منهم تلاميذ وأتباع ساروا على منهجه وسلكوا مسلكه من غير تقليد ولاتعصب(١).

وكانوا رحمهم الله على قدر عظيم من احترام سنة النبى صلى الله عليه وسلم والاعتماد عليها بعد كتاب الله، والاحتجاج بها ، وعدم التقدم بين يديها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"وليعلم أنه ليس لأحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من سنته دقيق ولاجليل ، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ... ولكن إذاوجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد أن يكون له من عذر فى تركه"(٢).

بل قد جاءت أقوالهم تترى فى تمسكهم بالسنة والتزامها . قال أبو حنيفة رحمه الله : "إذا صح الحديث فهو مذهبى"(٣).

وقال : "إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ، قال : اتركوا قولى لكتاب الله" فقيل-إذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال : "اتركوا قولى لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم"(٤).

وقال مالك رحمه الله : "إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"(٥).

---

(١) انظر : المرجع السابق ص٥٤ .

(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص٤ ، ط/مطبعة السنة المحمدية.

(٣) إيقاظ أولى الأبصار ص٧٣ ، ط/دار الشعب ١٩٧٧م .

(٤) المرجع السابق ص٧١ .

(٥) جامع بيان العلم ٣٩/٢ ، أصول الأحكام لابن حزم ١٤٩/٦-١٥٠ .

وقال الشافعى رحمه الله : "كل ماقلته فكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولى مما صح ، فهو أولى ، ولاتقلدونى"(١).

وقال : "مامن أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقرب عنه . فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت ، فالقول ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى"(٢).

وقال الإمام أحمد : "أنتم أعلم بالحديث والرجال منى فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً"(٣).

وقال أحمد رحمه الله : "ليس أحد إلايؤخذ من رأيه ويترك ماخلا النبى صلى الله عليه وسلم"(٤).

وقال : "لاتقلدنى ولاتقلد مالكاً ولاالشافعى ولاالأوزاعى ولاالثورى وخذ من حيث أخذوا"(٥).

فهذه أقوالهم وغيرها الكثير مما يدل على اهتمامهم بحديث النبى صلى الله عليه وسلم والتشبث به ، وتعظيمه .

وماوقع بينهم من اختلافات لم تكن فى أصول الدين ، وإنما تدور فى فلك النصوص ، إثباتاً ونفياً ، دلالة واحتمالاً ، استدلالاً واستنباطاً(٦).

---

(١) آداب الشافعى ص٦٧،٦٨ ، حلية الأولياء ٩/١٠٦-١٠٧ ، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٠ .

(٢) إيقاظ أولى الأبصار ص١٣٠-١٣١ .

(٣) آداب الشافعى لابن أبى حاتم ص٩٤-٩٥ .

وانظر : المدخل ص١٧٢-١٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٠ .

(٤) مسائل الإمام أحمد لأبى داود ص٢٧٦ .

(٥) إيقاظ أولى الأبصار ص١٤٥-١٤٦ .

(٦) انظر موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص٥٧ .

ولم تكن مبنية على هوى فى النفوس ، وتعصب فى الرأى حتى يلجأ أحدهم إلى الوضع فى الحديث لنصرة مذهبه أو لدحض حجة مخالفه وإنما وجدت لأسباب كثيرة منها : وصول الأحاديث إلى بعضهم دون بعض ، أو وصولها إلى الجميع ولكنها ثبتت عند قوم ولم تثبت عند غيرهم ، أو إنها ثبتت عند الجميع ولكنهم اختلفوا فى الاستنباط منها،إلى غير ذلك(١).

وليس بين أسباب تلك الخلافات ، الوضع فى الحديث كما يزعم زيهر وإنما ذلك لأسباب علمية عرفها أهل العلم وحصروها ، نعم وقع الوضع من بعض جهلة المذاهب تعصباً لأئمتهم ولبعض آرائهم ، ولكن تلك الأحاديث بينت وفضح أمر واضعيها، ودونت مع أسماء من وضعها فى كتب الموضوعات . بل من استند من أئمة المذاهب وأتباعها إلى حديث موضوع أو ضعيف بغير علم ، رد عليه وبين له عدم صحة دليله ، فكيف بمن يضع؟(٢)

يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب :

"إن تعميم جولد زيهر لم يبن على دراسةموضوعية للمذاهب الفقهية والعقائدية بل اكتفى بما وجده عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة ، أو بما رآه فى كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التى دس فيها بعض الأحاديث الضعيفة أوالموضوعة ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جرياً وراء هواه ، لدعم رأيه فى وضع أكثر الأحاديث"(٣).

(ب) الإمام الزهرى وبنو أمية :

لكى نجيب عما ألصقه جولد زيهر بالإمام الزهرى رحمه الله وبنى أمية من وضع الحديث ، لابد أن نقدم بين يدى ذلك بمقدمة نتعرف من خلالها على هذا العلم الفذ من حيث علمه وحفظه وثناء أهل العلم عليه .

---

(١) انظر : رفع الملام ص٥ فمابعدها ، تدوين السنة ص٢٥٢ .
(٢) انظر : السنة وحجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٣٩،٢٤٠ .
(٣) السنة قبل التدوين ص٢٥٣ .

عـرفه ابن حبان فقال : "محمـد بن مسلم بن عبيد اللـه بن عبد الله بن شهـاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الـزهرى القرشى ، كنيته أبو بكر ، رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أحفـظ أهل زمانه وأحسنهم سيـاقاً لمتون الأخبار ، وكـان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس"(١).

وقـال عنـه الـذهبى (فى سير أعلام النبلاء) : "الإمـام العلم ، حافـظ زمانه"(٢).

وقال فى تذكرة الحفاظ : "الزهرى أعلم الحفاظ"(٣).

وقال الحافظ ابن حجر :

"الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه"(٤).

هذه بعض أقوال علماء الجرح والتعديل فيه ، وقد أثنى عليه كثير من جهابذة العلم وأئمة علم الحديث وبينوا مكانته من هذا الفـن ، وأنه بلغ منزلة عظيمة فيه .

قال الليث بن سعـد(٥): "مـارأيت عالماً قـط أجمع من ابن شهـاب ، يحدث فى الترغيـب ، فتقـول : لايحسـن إلا هـذا ، وإن حدث عـن العرب والأنسـاب ، قلت : لايحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القـرآن والسنة ، كان حديثه"(٦).

---

(١) الثقات ٣٤٩/٥ .

(٢) ٣٢٦/٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ .

(٤) تقريب التهذيب ٢٠٧/٢ .

(٥) الليث بن سعد :

هـو الليث بن سعد بن عبد الـرحمن الفهمى ، أبو الحارث ، المصرى ، ثقة ثبت فقيـه ، إمـام مشهور ، روى عـن عطـاء ، وابن أبى ملكية ونافـع . وعنـه قتيبة ، ومحمد بن رمح . مات سنة ١٧٥هـ .

انظـر : الجرح والتعـديل ١٧٩/٧-١٨٠ ، الكـاشف ١٣/٣-١٤ ، تقـريب التهـذيب ١٣٨/٢ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩/١ .

وقال أبو الزناد : "كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ماسمع ، فلما احتيج إليه ، علمت أنه أعلم الناس"(١).

وقال أحمد بن حنبل الإمام : "الزهرى أحسن الناس حديثاً ، وأجود الناس إسناداً"(٢).

وقال مالك الإمام : "قدم ابن شهاب المدينة فأخذ بيد ربيعة(٣)، ودخلا إلى بيت الديوان ، فما خرجا إلى العصر ، فقال ابن شهاب ماظننت أن بالمدينة مثلك ، وخرج ربيعة وهو يقول : ماظننت أن أحداً بلغ من العلم مابلغ ابن شهاب"(٤).

وقال ابن المدينى : "دار علم الثقات على ستة ، فكان بالحجاز الزهرى وعمرو بن دينار(٥)، وبالبصرة قتادة ، ويحيى بن أبى كثير(٦)، وبالكوفة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٥ .

(٣) ربيعة :
هو ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، التيمى مولاهم ، أبو عثمان المدنى ، المعروف بربيعة الرأى ، واسم أبيه فروخ ، ثقة ، فقيه مشهور . قال ابن سعد : كانوا يتقونه لموضع الرأى . روى عن أنس والسائب بن يزيد وابن المسيب ، وعنه مالك والليث والدراوردى . مات سنة ١٣٦هـ على الصحيح .
الكاشف ٣٠٧/١ ، تقريب التهذيب ٢٤٧/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٤٣/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١١٠/١ .

(٥) عمرو بن دينار :
هو عمرو بن دينار المكى ، أبو محمد الأثرم ، الجمحى مولاهم ، ثقة ثبت . روى عن ابن عباس وابن عمر وجابر . وعنه شعبة والسفيانان ومالك . مات سنة ١٢٦هـ
انظر : الجرح والتعديل ٢٣١/٦ ، الكاشف ٣٢٨/٢ ، تقريب التهذيب ٦٩/٢ .

(٦) يحي بن أبى كثير :
هو يحي بن أبى كثير الطائى ، مولاهم ، أبو نصر اليمامى ، ثقة ، ثبت ، لكنه يدلس ويرسل . قال الذهبى : كان من العباد العلماء . روى عن جابر وأبى سلمة وأنس مرسلاً . وعنه هشام الدستوائى وهمام . مات سنة ١٣٢هـ وقيل قبل ذلك .
تاريخ الثقات ص٤٧٥ ، الكاشف ٢٦٦/٣ ، تقريب التهذيب ٣٥٦/٢ .

أبو إسحق(١)، والأعمش"(٢)(٣).

وهذا غيض من فيض مما قيل فى هذا الإمام الجهبذ الذى قل نظيره فى سعة العلم ، وقوة الحفظ ، ويكفيه فخراً أنه أول من دون الحديث وكتبه ، كما سبق(٤).

ورمى هذا المستشرق اليهودى الزهرى بالوضع لم يشركه فيه أحد من العلماء ، ولم يؤثر عن أحد منهم تشكيك فى أمانته وثقته ودينه ، بل كان من الثقة والتثبت والتقوى والورع بمكان عظيم(٥).

ومثله يستحيل أن يستغله الأمويون فى وضع الحديث كما يدعى زيهر فما كان يخاف فى الحق لومة لائم .

وهذه حادثة تبين جرأته فى الحق وعدم سكوته على الباطل مهما كان قائله :

---

(١) أبو إسحاق :
هو عمرو بن عبد الله الهمدانى ، أبو إسحاق السبيعى ، مكثر ، ثقة عابد ، اختلط بآخره ، روى عن جرير ، وعدى بن حاتم ، وزيد بن أرقم وابن عباس . وعنه ابنه يونس وحفيده إسرائيل والسفيانان . مات سنة ١٢٩هـ وقيل قبل ذلك .
انظر : الجرح والتعديل ٢٤٢/٦-٢٤٣ ، الكاشف ٣٣٤/٢ ، تقريب التهذيب ٧٣/٢ .

(٢) الأعمش :
هو سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى ، أبو محمد الكوفى الأعمش ، ثقة حافظ ، عارف بالقراءة ، ورع ، ولكنه يدلس . روى عن ابن أبى أوفى ، وزر ، وأبى وائل ، وعنه شعبة ووكيع . مات سنة ١٤٧هـ أو ١٤٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ١٤٦/٤-١٤٧ ، الكاشف ٤٠١/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٤٥/٢ ، وانظر : جامع بيان العلم ٢٠٥/٢ ، تذكرة الحفاظ ١١١/١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٣٣٤/٥ ، وانظر ص٥٧١ .

(٥) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٣ .

قال الشافعى : حدثنا عمى[١] قال : "دخل سليمان بن يسار[٢] على هشام بن عبد الملك[٣] فقال : ياسليمان : من الذى تولى كبره منهم؟ قال : عبد الله بن أبى بن سلول ، قال : كذبت هو على بن أبى طالب . قال : أمير المؤمنين أعلم بما يقول .

فدخل ابن شهاب فقال : ياابن شهاب من الذى تولى كبره منهم؟ فقال له : عبد الله بن أبى ، فقال له : كذبت هو على بن أبى طالب فقال له : أنا أكذب!! لاأبالك ، فوالله لو نادى مناد من السماء ، أن الله أحل الكذب ،

---

(١) عم الشافعى :
هو محمد بن على بن شافع المطلبى ، المكى ، وثقه الشافعى . روى عن عبد الله ابن على بن السائب والزهرى ، وعنه سبطه إبراهيم بن محمد ، والشافعى ، ويونس بن محمد .
الكاشف ٨٠/٣ ، تقريب التهذيب ١٩٢/٢ .

(٢) سليمان بن يسار :
هو سليمان بن يسار الهلالى ، المدنى ، مولى ميمونة ، وقيل أم سلمة ، ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة . روى عن مولاته ، وأبى هريرة . وعنه يحيى بن سعيد وربيعة الرأى وصالح بن كيسان . مات بعد المائة وقيل قبلها .
انظر : الجرح والتعديل ١٤٩/٤ ، الكاشف ٤٠٢/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١ .

(٣) هشام بن عبد الملك :
هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد القرشى الأموى الدمشقى ، الخليفة الأموى . تولى الخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ ، كان حريصاً جماعاً للمال ، عاقلاً حازماً ، سائساً ، فيه ظلم مع عدل ، خرج عليه زيد بن الحسين بن على ، فوجه إليه من قتله . مات سنة ١٢٥هـ .
انظر : الكامل فى التاريخ ٢٦١/٥ ، سير أعلام النبلاء ٣٥١/٥-٣٥٣ ، البداية والنهاية ٣٥١/٩-٣٥٤ ، فوات الوفيات ٢٣٨/٤-٢٣٩ ، شذرات الذهب ١٦٣/١-١٦٥ ، الأعلام ٨٦/٨ .

ماكذبت ، حدثنى عروة بن الـزبير وسعيـد بن المسيـب وعبيـد اللـه بن عبدالله[(١)]، وعلقمة بن وقاص[(٢)]كلهم عن عائشة أن الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى .

فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : ارحل فوالله ماكان ينبغى لنا أن نحمل على مثلك"[(٣)].

فرجل يواجه خليفة المؤمنين بهذه الصلابة لأنه كذبه فى حقيقة تاريخية تمس حياة الصحابة وفى تفسير آية ، ويخاطب الخليفة بقـوله : "لاأبالك" وهى كلمة عظيمة ، ويزداد عظمها إذا خاطب بها أمير المؤمنين رجل مـن رعاياه . موقف فريد من نوعه ، لايحمـل عليه إلا الخوف من اللـه والعلم به ، وذلـك هو الذى دفع الزهرى ليقف هذا الموقف المهيب .

أبعد هذا يمكن أن يقال إن الأمويين استغلوا هذا الإمام الفذ فى وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وبنـو أميـة الذين أولع المستشـرقون بالطعـن فيهم والافتراء عليهـم لم يكونوا كما يزعمون ، وإن كان فى بعض خلفائهم هنات إلا أن عصرهم من العصـور التى مـدحها رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فى الجملـة فى قـوله : "خير

---

(١) عبيد الله بن عبد الله :
هـو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى ، أبو عبـد الله المدنى ، ثقة فقيـه ، ثبـت . روى عن عائشـة ، وأبى هريرة ، وابن عبـاس . وعنـه الزهرى ، وأبو الـزناد ، وصـالح بن كيسـان . مات سنة ٩٤هـ وقيـل ٩٨هـ وقيـل غير ذلك . انظـر : الجرح والتعـديل ٣١٩/٥-٣٢٠ ، الكـاشف ٢٢٨/٢ ، تقـريب التهـذيب ٥٣٥/١ .

(٢) علقمة بن وقاص :
هـو علقمة بن وقاص ، الليثى المدنى ، ثقـة ثبت ، أخطـأ من زعم أن له صحبة . وقيل إنه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . روى عـن عمر وعائشة ، وعنه ابناه ، ومحمد بن إبراهيم التيمى والزهرى . مات فى خلافة عبد الملك بن مروان . انظـر : الجرح والتعـديل ٤٠٥/٦ ، الكـاشف ٢٧٨/٢ ، تقـريب التهـذيب ٣١/١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٥ .

الناس قرنى ثم الذين يلونهم ..." الحديث(١).

ومن خلفائهم معاوية الصحابى الفاضل رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز وهو الذى أمر بتدوين الحديث . ومنهم عبد الملك بن مروان الذى قذفه هذا المستشرق بالدعوة إلى الوضع ، وقد كان عابداً ومهتماً بالعلم حريصاً على إرشاد العلماء وطلاب العلم إلى تتبع السنن والآثار ، حتى قال للزهرى : "ائت الأنصار فإنك تجد عندهم علماً كثيراً"، ولما بويع بالخلافة كان يتلو القرآن على مصباح ضئيل . وقد ازدادت رقعة الإسلام فى عهدهم بسبب ماقاموا به من فتوحات . وأكثر ماوضع فى شأنهم من أخبار كان من صنائع العباسيين الذين كان عصرهم مشبع بالعداوة لبنى أمية إضافة إلى ماوضعه غلاة الشيعة والروافض(٢).

أما زعم جولد زيهر أن عبد الملك بنى قبة الصخرة ليصرف الناس عن الحج ، ووضع له صديقه الزهرى من الأحاديث مايؤيد فعله .

فقد استفاد هذه الفكرة مما أورده اليعقوبى(٣)فى تاريخه حيث قال :

"ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس ، وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام ومسجدى ومسجد بيت المقدس(٤)، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام . وهذه الصخرة التى يروى

---

(١) سبق تخريجه . انظر ص : ٥١٩ - ٥٢٠

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص١٩٧،١٩٨ .

(٣) اليعقوبى :
هو أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى . مؤرخ جغرافى كثير الأسفار ، من أهل بغداد . مات سنة ٢٩٢هـ .
من آثاره : "تاريخ اليعقوبى" ، "البلدان" ، "أخبار الأمم السالفة" وغير ذلك.
انظر : معجم المؤلفين ١٦١/١ ، الأعلام ٩٥/١ .

(٤) يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بنى أمية"(١).

واليعقوبى مؤرخ من أعيان الشيعة .

والعداء بين الشيعة والأمويين معلوم ، وماوضعه الشيعة فى مناقب على ومثالب الأمويين كثير جداً فلايبعد أن تكون هذه الرواية من اختلاقاتهم لتشويه الأمويين(٢).

ويجاب على ماذكر جولد زيهر بالآتى :

(١) لقد اختلفت أقوال العلماء فى من بنى قبة الصخرة :

فذهب ابن الأثير(٣)، وابن كثير(٤)إلى أن الذى بناها هو الوليد بن عبد الملك(٥). بينما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه عبد الملك(٦).

فعلى القول الأول تكون القصة كلها موضوعة(٧). وعلى القول الثانى فقد بين شيخ الإسلام العلة فى ذلك فقال :

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٢٦١/٢ ، ط/دار بيروت . نشر دار صادر ، بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٩ .

(٣) انظر : الكامل فى التاريخ ١٣٧/٤-١٣٨ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ١٦٥/٩ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٧ .

(٥) الوليد بن عبد الملك :

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس الدمشقى ، الخليفة الأموى . ولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٨٦هـ . كان ولوعاً بالبناء والعمران ، بنى المسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، ومسجد دمشق الكبير وغير ذلك . وكثرت الفتوحات فى عهده وتوسعت الدولة الإسلامية . مات سنة ٩٦هـ .

تاريخ الطبرى ٤٩٥/٦ ، الكامل فى التاريخ ٨/٥ ، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٤-٣٤٨ ، البداية والنهاية ٧٠/٩ ، فوات الوفيات ٢٥٤/٤-٢٥٥ ، شذرات الذهب ١١١/١ ، الأعلام ١٢١/٨ .

(٦) انظر : الفتاوى ١٢/١٧ .

(٧) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٩ .

"لما تولى ... عبد الملك الشام ، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير ، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة ، وكساها فى الشتاء والصيف ، ليرغب الناس فى "زيارة بيت المقدس" ويستقلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير ، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة"(١).

والفرق شاسع بين مزاعم جولد زيهر واليعقوبى وبينما قاله شيخ الإسلام ، ويتضح ذلك من قراءة النصين .

(٢) زعمه بأن عبد الملك بناها ليحج الناس إليها ويطوفوا من حولها .

لايمكن ذلك أن يصدر من عبد الملك أبداً ، لأنه كفر ، وهو الذى أعاد بناء الكعبة مرة أخرى على ماكانت عليه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بعد مقتل ابن الزبير ، كما أن العلماء لايمكن أن يسكتوا عن فعله ذلك أبداً ، إضافة إلى أن خصوم الأمويين له بالمرصاد ، ومع ذلك لم يوردوا ذلك فى مطاعنهم عليه(٢).

(٣) إن الزهرى رحمه الله لم يلتق بعبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير .

فقد نقل الذهبى عن الليث بن سعد أنه قال :

"قدم ابن شهاب على عبد الملك سنةاثنين وثمانين"(٣).

وقد نص على أن ابن الزبير قتل سنة اثنين وسبعين(٤).

وبعد مقتله استوثقت الممالك لعبد الملك(٥).

---

(١) الفتاوى ١٢/٢٧ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٨ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٥ .

(٤) انظر المرجع السابق ٢٤٧/٤ .

(٥) انظر المرجع السابق ٢٤٧/٤ .

فليس هو فى حاجة لمن يضع له أحاديث لصرف الناس عن الحج . والزهرى لم يكن عند مقتل ابن الزبير ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية بحيث تتقبل منه حديثاً موضوعاً يلغى به فريضة الحج الثابتة بالقرآن والأحاديث الصحيحة ، وذلك لصغر عمره ، فإنه قد ولد بعد الخمسين من الهجرة(١).

وصداقته بعبد الملك وتردده عليه لايقدح فى أمانته ودينه ، وليس ذلك بالأمر الذى يدعه إلى وضع الحديث محاباة له ، وهو العالم المعتز بدينه وعلمه ومكانته ، الذى لايأبه بمجابهة الخليفة فى أى وقت لبيان الحق ، وقد سبق موقفه مع هشام ، ومتى كان التردد على الخلفاء ومصادقتهم يقدح فى عدالة الإنسان وأمانته ، وقد تردد الصحابة على معاوية قديماً ، وكذا التابعون ترددوا على الأمويين ، وأبو حنيفة تردد على المنصور(٢)، وأبو يوسف(٣)كان ملازماً

---

(١) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٢٨-١٢٩ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٨

(٢) المنصور :
هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على الهاشمى العباسى المنصور ، ثانى خلفاء بنى العباس ، ولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ . وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً . كان ذا رأى وحزم ، ودهاء وجبروت . تاركاً للهو واللعب ، كامل العقل ، حسن المشاركة فى الفقه والأدب والعلم . بنى مدينة بغداد ، وقتل خلقاً كثيراً حتى توطد ملكه . مات سنة ١٥٨هـ .
انظر : تاريخ الطبرى ٤٧١/٧-٤٧٣ ، تاريخ بغداد ٥٣/١٠-٦١ ، الكامل فى التاريخ ٤٦١/٥ ، سير أعلام النبلاء ٨٣/٧-٨٩ ، البداية والنهاية ١٢١/١٠-١٢٩ ، فوات الوفيات ٢١٦/٢-٢١٧ ، الأعلام ١١٧/٤ .

(٣) أبو يوسف :
هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى البغدادى ، أبويوسف ، صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه . كان فقيهاً عالماً من حفاظ الحديث . ولى القضاء ببغداد . مات سنة ١٨٢هـ .
انظر : تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤-٢٦٢ ، وفيات الأعيان ٣٧٨/٦-٣٩٠ ، تذكرة الحفاظ ٢٩٢/١ ، ميزان الإعتدال ٤٤٧/٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨-٥٣٩ ، الأعلام ١٩٣/٨ .

لهارون الرشيد(١)، وماطعن أحد فيهم بذلك(٢).

والإمام الزهرى رحمه الله لم يكن من الذين يتزلفون للحكام طلباً لمال أو جاه وهو الذى قال عنه عمرو بن دينار :

"مارأيت أحداً أنص للحديث من الزهرى ، ومارأيت أحداً أهون عنده الدراهم منه ، كانت عنده بمنزلة البعر"(٣).

هذا عن المال ، وأما الجاه فقد اعترف هذا المستشرق بأنه كان ذائع الصيت فى الأمة الإسلامية ، فأى دافع آخر يدفعه لمجاملة ومحاباة عبد الملك(٤).

وأما حديث شد الرحال(٥)فهو صحيح . رواه البخارى ومسلم

---

(١) هارون الرشيد :
هو هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى . الخليفة العباسى الخامس ولى الخلافة بعد أخيه الهادى سنة ١٧٠هـ ، كان من أنبل الخلفاء ، ذا حج وجهاد ، وغزو وشجاعة ، ورأى ، وفصاحة ، وعلم وبصر بأعباء الخلافة ، وله نظر جيد فى الأدب والفقه . وقد ازدهرت الدولة الإسلامية فى عهده وتوسعت . وكان عادلاً جواداً محباً للعلماء . مات سنة ١٩٣هـ .
انظر : الطبرى ٢٣٠/٨ ، تاريخ بغداد ٥/١٤-١٣ ، الكامل فى التاريخ ١٠٦/٦ ، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩-٢٩٥ ، شذرات الذهب ٣٣٤/١ ، الأعلام ٦٢/٨ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٢٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩/١ .

(٤) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٦ .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٢٠) ، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١) ٥٦/٢ . ومن حديث أبى سعيد الخدرى ، فى باب مسجد بيت المقدس (٦) ٥٧/٢-٥٨ ، وفى كتاب جزاء الصيد (٢٨) ، باب حج النساء (٢٦) ٢٢٠/٢ . وفى كتاب الصوم (٣٠) ، باب الصوم يوم النحر (٦٧) ٢٤٩/٢-٢٥٠ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد . فى كتاب الحج (١٥) ، باب سفر المرأة مع محرم الى حج وغيره (٧٤) برقم ٨٢٧ ، ٩٧٥/٢-٩٧٦ .
ومن حديث أبى هريرة ، فى باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٩٥) برقم ١٣٩٧ ، ١٠١٤/٢-١٠١٥ . =

....

= وأخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة ، كتاب المناسك ، باب فى اتيان المدينة برقم ٢٠٣٣ ، ٢١٦/٢ .
وأخرجه الترمذى فى سننه عن أبى سعيد ، أبواب الصلاة (٢) ، باب ماجاء فى أى المساجد أفضل (٢٤٣) ، برقم ٣٢٦ . وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ١٤٨/٢ .
وأخرجه النسائى فى سننه عن أبى هريرة ، كتاب المساجد ، باب ماتشد الرحال إليه من المساجد ٣١/٢ ، وعن بصرة بن أبى بصرة الغفارى ، كتاب الجمعة ، باب ذكر الساعة التى يستجاب فيها الدعاء ٩٤/٣ .
وأخرجه ابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة برقم ١٤٠٩ ، وعن أبى سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص برقم ١٤١٠ ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء فى الصلاة فى مسجد بيت المقدس (١٩٦) ، ٤٥٢/١ .
وأخرجه الدارمى فى سننه عن أبى هريرة ، كتاب الصلاة، باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٣٣٠/١ .
وأخرجه البيهقى فى سننه عن أبى سعيد ، كتاب الصلاة ، باب النهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ٤٥٢/٢ .
وعن أبى هريرة ، كتاب الحج ، باب الخروج إلى المدينة ٢٤٤/٥ .
وأخرجه مالك فى الموطأ عن بصرة بن أبى بصرة الغفارى ، كتاب الجمعة (٥) ، باب ماجاء فى الساعة التى فى يوم الجمعة (٧) برقم ١٦ ، ١٠٩/١ .
وأخرجه ابن حبان فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٩) ، باب المساجد (٦) ، عن أبى سعيد برقم ١٦١٧ ، ٤٩٥/٤-٤٩٦ .
وعن أبى هريرة برقم ١٦١٩ ، ٤٩٨/٤ ، وبرقم ١٦٣١ ، ٥٠٩/٤-٥١٠ .
وأخرجه الحميدى فى مسنده عن أبى هريرة برقم ٩٤٣ ، وعن بصرة برقم ٩٤٤ ، ٤٢١/١ .
وأخرجه أحمد فى المسند عن أبى هريرة ٢٣٤/٢،٢٣٨،٢٧٨،٥٠١ .
وعن أبى سعيد ٧/٣،٣٤،٤٥،٥١،٥٣،٦٤،٧١،٧٧،٧٨،٩٣ .
وعن بصرة ٧/٦،٣٩٧-٣٩٨ .
وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ، باب ماتشد إليه الرحال عن أبى هريرة برقم ٩١٥٨ ، وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٩١٥٩ ، وعن ابن عمر موقوفاً برقم ٩١٦٠ ، ١٣٢/٥ ، وبرقم ٩١٧١ ، وعن بصرة برقم ٩١٦٢ ، ١٣٥/٥ .
وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن أبى سعيد ٣٧٤/٢ ، والطحاوى فى مشكل الآثار عن أبى سعيد ٢٤٢/١ ، وعن أبى هريرة ٢٤٤/١ . =

وأصحاب السنن الأربعة والإمام أحمد وغيرهم من العلماء . وقد روى عن جمع من الصحابة منهم : أبو سعيد الخدرى ، وأبو بصرى الغفارى ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وعلى ، وعبد الله بن عمرو . وتكاثرت الطرق عن هؤلاء حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وهو حديث مستفيض ، متلقى بالقبول ، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق"(١).

فلم ينفرد الزهرى رحمه الله برواية هذا الحديث حتى يتهم بوضعه .

والحديث ليس فيه فضل قبة الصخرة ، وليس فيه الدعوةإلى الحج إليها والطواف حولها بدلاً عن الكعبة كما يدعى زيهر ، وغاية مافيه فضل الصلاة فى بيت المقدس وزيارته(٢).

وذلك أمر دلت عليه النصوص ، فقد أورد ابن القيم جملة من الأحاديث الصحيحة التى تدل على فضله والصلاة فيه(٣).

= والبغوى فى شرح السنة عن أبى سعيد برقم ٤٥٠ ، ٣٣٦/٢ ، وعن أبى هريرة برقم ٤٥١ ، ٣٣٧/٢ ، باب فضل الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ، باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . عن أبى بصرة وقال : "رواه أحمد والبزار بنحوه والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجال أحمد ثقات أثبات" .

وعن أبى سعيد الخدرى .

وعن على بن أبى طالب . وقال : "رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه إبراهيم ابن إسماعيل بن يحيى بن كهيل وهو ضعيف".

وعن عمران . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن البزار قال : أخطأ فيه حبان بن هلال" .

وعن ابن عمر . وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات" .

وعن أبى الجعد الضمرى . وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح . ورواه البزار أيضاً" . ٦/٤-٧ .

(١) الفتاوى ٥/٢٧-٦ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢١٩ ، منهج النقد عند المحدثين ص١٣٠ .

(٣) انظر : المنار المنيف ص٩١-٩٤ .

وذكر شيخ الإسلام اتفاق علماء المسلمين على استحباب السفر إليه للعبادة المشروعة فيه(١).

وأما الصخرة فقد ذكر الإمام ابن القيم أن كل حديث فيها فهو كذب مفترى(٢).

وأما حديث "الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه" رواه الطحاوى(٣). ولم يأت عن طريق الزهرى حتى يتهم بوضعه .

---

(١) انظر : الفتاوى ٦/٢٧ .

(٢) انظر : المنار المنيف ص٨٧ ، وتعليق المحقق عليه فى الهامش .

(٣) مشكل الآثار عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولفظه أنها سألته - أى النبى صلى الله عليه وسلم - فقالت : افتنا فى بيت المقدس . فقال : "أرض المحشر والمنشر ، وأتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره . فقلت : أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل عليه ، قال : فلتهتدى له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه". ٢٤٩/١ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد بلفظ مقارب لرواية الطحاوى وقال : "رواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . والله أعلم . ورجاله ثقات" . ٤/٩-١٠ .
وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة". كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء فى الصلاة فى المسجد الجامع (١٩٨) برقم ١٤١٣ ، ٤٥٣/١ .
قال فى الزوائد : "إسناده ضعيف".
وروى البزار عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة" .
قال البزار : "لانعلمه يروى بهذا اللفظ مرفوعاً إلا بهذا الإسناد" .
كتاب الصلاة ، باب الصلاة فى المساجد الثلاثة برقم ٤٢٢ . كشف الأستار ٢١٢/١-٢١٣ . =

(ج) **علماء الحديث والفقه :**

إذا كان بعض أهل الأهوا والبدع ، والمصالح الدنيوية ، والمغالون فى العصبيات والجهلة بدين الله أجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن علماء الأمةمن أهل الحديث والفقه أرفع درجة وأسمى منزلة من أن يكذبوا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين حفظ الله لنا بهم الدين ، ورفع مقامهم فى عليين {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات}(١).

وهم أتقى لله وأخشى من أن يزيدوا فى دين الله ماليس منه وقد قال سبحانه فيهم : {إنما يخشى الله من عباده العلماء}(٢).

وهم حماة الدين والذابون عنه ، الباذلون أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم فى الدفاع عنه ، ولقد رأينا فيما سبق مابذلوه من جهود لحفظ الحديث وصيانته(٣)،فحرصوا على حفظه كل الحرص ، ونفوا عنه كل شائبة

= وحديث البزار ذكره الطحاوى فى مشكل الآثار من حديث أبى الدرداء أيضاً ٢٤٨/١ . إلا أن الشيخ ناصر الدين الألبانى ضعف إسناده . انظر : إرواء الغليل ٣٤٣/٤ .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات وفى بعضهم كلام وهو حديث حسن" . ١٠/٤ .

وضعفه الشيخ ناصر الدين الألبانى . انظر ضعيف الجامع ٢٨٧/٣ .

وأورده السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالحسن وأقره المناوى . انظر فيض القدير ٢٢٨/٤ .

الا أن الشيخ ناصر الدين الألبانى قال عنه : "ضعيف جداً" . ضعيف الجامع ٢٧٧/٣ .

وقال ابن القيم رحمه الله :

"وقد روى فى بيت المقدس التفضيل بخمس مائة . وهو أشبه" .

المنار المنيف ص٩٣ . وانظر تعليق المحقق فى الهامش .

(١) سورة المجادلة : آية ١١

(٢) سورة فاطر : آية ٢٨

(٣) انظر ص ٤٩١ فما بعدها.

تكـدر صفـوه ، صابرين على الأذى ، متحملين المشـاق ، وقـد عـرف فضلهم أهـل الإسلام ، وشكـروا لهـم سعيهـم ، وحفظـوا لهـم منزلتهـم ، ورفعـوا قدرهم.

قال الطحاوى رحمه الله :

"وعلمـاء السلـف من السابقين ، ومـن بعدهم من التـابعين أهـل الخير والأثر . وأهـل الفقه والنظـر ـ لايذكرون إلا بالجميـل ، ومـن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"(١).

وقال ابن أبى العز الحنفى رحمه الله :

"قال تعالى :{ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين لـه الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وسـاءت مصيراً}(٢). فيجب على كل مسلم بعـد مـوالاة اللـه ورسـوله مـوالاة المؤمنين ، كمـا نطـق به القـرآن ، خصـوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلـة النجوم ، يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هـدايتهم ودرايتهم ، إذ كـل أمـة قبـل مبعث محمد صلى اللـه عليـه وسلم علمـاؤها شـرارها ، إلا المسلمين فـإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول مـن أمته ، والمحيون لما مـات مـن سنته ، فبهم قـام الكتاب وبه قاموا ، وبهـم نطـق الكتاب وبه نطقـوا ، وكلهـم متفقون اتفـاقاً يقيناً على وجوب اتبـاع الـرسول صلى الله عليـه وسلم ... فلهم الفضل علينـا والمنة بالسبق وتبليـغ مـاأرسل به الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلينا ، وإيضـاح ماكان منه يخفـى علينـا ، فرضى الله عنهـم وأرضاهم . {ربنااغفر لنـا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعـل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}"(٣)(٤).

---

(١) العقيدة الطحاوية ص١٩ .

(٢) سورة النساء : آية ١١٥

(٣) سورة الحشر : آية ١٠

(٤) شرح الطحاوية ص٤٩١-٤٩٢ .

هكذا عرفت الأمة فضل علمائها ودونت لهم آثارهم ، فما لهذا وأهل الاستشراق ، فإنهم لم يعرفوا مقام علمائها وسمو منزلتهم ، لأنهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان التى خالطت قلوب ورثة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يتصوروا خوفهم من الله وخشيتهم منه ، وليس ذلك بمستغرب على قوم فقدت قلوبهم طعم الإيمان ، ونفوسهم أخلاق الإسلام ، وضاع بينهم الحق ، وغاب عندهم العدل ، وتفشى فيهم الظلم ، وانحطت أخلاقهم ، وفسدت طبائعهم ، فليس لأحد بينهم حرمة، ولالكريم بينهم مكرمة ، فلم يفهموا عن غيرهم إلا مايدور بينهم ، وذلك مقياس خاطىء ، فإن خصائص أهل الإسلام وصفات علمائه لاتوجد عند محرفى الأديان ، من عبدة الطاغوت والصلبان ، فالبون شاسع والفرق عظيم ، ولذا لايقبل منهم حكم فى حملة القرآن والسنة ، وهم الغرباء المبعدون .

وأمة الإسلام لاتنتظر دجاجلة الغرب لكى يقوموا لها علماءها ، لأنها تعرف مابذلك التقويم من حيف وجور ، تحف به الدسائس وتحيط به الأحقاد ، ومتى كان الظلم ينتج عدلاً والباطل يخرج حقاً؟

وإذا أردت أن تعرف حقيقة ماذكرنا فقارن بين قول جولد زيهر السابق وبين قول ابن حبان رحمه الله فى بيان حديث النبى صلى الله عليه وسلم : "لايزال ناس من أمتى منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"(١).

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه نحوه:من حديث المغيرة بن شعبة ، ومن حديث معاوية بن أبى سفيان ، فى كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ، ١٨٧/٤ . ونحوه من حديثيهما فى كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين (١٠) ، ١٤٩/٨ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه : من حديث جابر بن عبد الله ، فى كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم (٧١) برقم ١٥٦ ، ١٣٧/١ ، ومن حديث ثوبان برقم ١٩٢٠ ، والمغيرة برقم ١٩٢١ ، وجابر بن سمرة برقم ١٩٢٢ ، وجابر بن عبد الله برقم ١٩٢٣ ، ومعاوية برقم ١٠٣٧ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر برقم ١٩٢٤ ، وسعد بن أبى وقاص برقم ١٩٢٥ . كتاب الإمارة (٣٣) =

فقال :"ومن أحق بهذا التأويل من قوم فارقوا الأهل والأوطان ، وقنعوا بالكسر والأطمار(١) فى طلب السنن والآثار ، وطلب الحديث والأخبار يجولون فى البرارى والقفار ، ولايبالون بالبؤس والاقتار ، المتبعون لآثار السلف من الماضين ، والسالكون ثبج(٢) محجة الصالحين ورد الكذب عن رسول رب العالمين ، وذب الزور عنه حتى وضح للمسلمين المنار ، وتبين لهم الصحيح من بين الموضوع والزور من الآثار ..." الخ ماذكر(٣).

فهذا هو الذى يليق بعلماء الإسلام ، ولاعبرة بقول المستشرقين .

وأما زعم زيهر أن بعض الوضاعين برروا وضعهم بأنهم يفعلون ذلك لمحاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن الدين . هذا أمر بينه علماء الإسلام قديماً قبل أن يخلق جولد زيهر ، فإنهم نصوا على أن هنالك جماعة أجازت وضع الحديث رغبة فى الخير والصلاح ، ولم يسكت علماء الحديث عنهم بل كشفوا أمرهم وبينوا جهلهم وحذروا الأمة من خطرهم ، ودونوا أسماءهم وماوضعوه من أحاديث(٤).

فلسنا نحن فى حاجة إلى أن ينبهنا زيهر إلى ذلك . وقد نبهنا إليه علماؤنا الأجلاء .

قال ابن كثير رحمه الله :

= باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم" (٥٣) ، ٣/١٥٢٣-١٥٢٥ .

(١) الأطمار :
جمع طمر وهو الثوب الخلق ، أو الكساء البالى من غيرالصوف .
انظر : القاموس المحيط ص٥٥٤ .

(٢) ثبج : وسط الشىء ومعظمه .
انظر : القاموس المحيط ص٢٣٣ ، الفائق ١/١٦٢ ، النهاية ١/٢٠٦ .

(٣) كتاب المجروحين ١/٨٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١/٦٤ ، الكامل فى ضعفاء الرجال ١/١٤٤ ، تدريب الراوى ١/٢٨١-٢٨٣ ، الوضع فى الحديث ١/٢٦٣-٢٦٩ .

"والـوضاعون أقسام كثيرة : منهم الزنادقة ، ومنهـم متعبدون يحسبون أنهـم يحسنون صنعاً ، يضعـون أحاديث فيها ترغيب وترهيـب ، وفى فضائل الأعمال ، ليعمل بها .

..... وهـم من أشر مافعل هذا لما يحصل بضررهم مـــن الغرر على كثير ممـن يعتقـد صلاحهم ، فيظـن صـدقهم ، وهم شر مـن كـل كذاب فى هذا الباب .

وقد انتقد الأئمة كل شيء فعلوه من ذلك ، وسطـروه عليهم فى زبرهم عاراً على واضعى ذلك فى الدنيا ، وناراً وشناراً(١) فى الآخرة"(٢).

---

(١) الشنار : أقبح العيب ، والعار ، والأمر المشهور بالشنعة . القاموس المحيط ص٥٣٩ .

(٢) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٧٤ .

(٧) مطاعن المستشرقين فى منهج المحدثين :

(أ) وجهة النقد عند المحدثين :

قال جولد زيهر :

"ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر - أى خطر الوضع فى الحديث ، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته وهو علم نقد الحديث ، لكى يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة .

ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى نجد لها مجالاً كبيراً فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لايحرك ساكناً .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة .

وقد أصبحت هذه الكتب مراجع مجزوماً بها لسنة النبى ، ويعتبر فى المقام الأول منها الصحيحان"(١).

ويرى جب(٢)أن ماقام به المحدثون من جهود تجاه السنة المدونة هو

---

(١) العقيدة والشريعة ص٥٠ .

(٢) جب :

هو السير هاملتون جب المولود عام ١٨٩٥م . من أعلام المستشرقين المعاصرين . كان عضواً للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع اللغوى فى القاهرة . ودرس اللغة العربية وقواعدها وتمرس فيها . ثم عمل أستاذاً لها فى عدد من الجامعات الأوربية ، وقد تولى إدارة مركز دراسات الشرق الأوسط .

من آثاره : "المدخل إلى تاريخ الأدب العربى" ، "وماهو الإسلام" ، "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" وغيرها الكثير .

انظر : المستشرقون ٥٥١/٢-٥٥٤ ، الاستشراق ص٣١ .

عبث لقلة حذرهم وتدقيقهم(١).

(ب) **التباين فى التوثيق والتضعيف :**

قال جوينبل :

"والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيناً ، فربما كان ثقة عند قوم ، ولكن غيرهم كانوا يعدونه فى منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً فى روايته"(٢).

(ج) **وجود الأسانيد اعتباطى ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :**

قال شاخت :

"إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطى ... ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائى ووصلت إلى كمالها فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ... وكانت الأسانيد كثيراً لاتجد أقل اعتناء . وأى حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها فى الإسناد"(٣).

(د) **نقد المحدثين لايتعدى إسناد الحديث :**

قال غاستون ويت(٤):

"وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض" ، ثم قال : "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جمعه الحفاظ ودونوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث"(٥).

---

(١) انظر : دراسات فى حضارة الإسلام ص١٤٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٥/٧ .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٨٣،١٠٤ .

(٤) غاستون ويت : لم أقف له على ترجمة .

(٥) السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٠ نقلاً عن "التاريخ العام للديانات - الإسلام" ص٣٦٥ .

الجواب على ذلك :

(أ) **وجهة النقد عند المحدثين :**

لقد شمل منهج المحدثين النقدى جميع الاحتمالات فى جوانب الحديث من حيث السند والمتن ، وأول الأمور فى ذلك أداء الراوى للحديث . فقد درسوا الرواة دراسة متنوعة ومستوفية ودقيقة ، فوضعوا لهم شروطاً من حيث التوثيق والتضعيف ، ثم وضعوا من العلوم مايكشف أحوالهم ، فبينوا أسماءهم ، وتواريخهم ، وأماكنهم ، ومايتصل بذلك من فروع ومسائل ، كما درسوا صيغ الاتصال بين الرواة فى حالة الأخذ والأداء ، ومادل منها على الاتصال ومالم يدل ، وتناولوا متون الأحاديث بالفحص والتدقيق وتتبعوا مابها من علل وشذوذ وغير ذلك ، بقواعد رصينة محكمة .

فجاءت أحكامهم على الحديث واضحة جلية ، شاملة لكل أنواعه ، من حيث قبوله ورده ، فتدرجوا فى ذلك بدءاً من قمة الصحة فيما أسموه أصح الأسانيد وماحفه من قرائن ، ثم مراتب الصحيح ، ثم الحسن لذاته فالحسن لغيره ، فالضعيف ضعف يسير ، فالضعيف ضعف شديد ، إلى الموضوع الذى لاتجوز روايته إلا على سبيل القدح فيه(١).

فهذامنهج كامل شامل لكل جوانب الحديث مادق منها وماجل ، والمنصف لايسعه إلا أن يقف إجلالاً واحتراماً ، لهذا المنهج القويم ، ولهذا الجهد المضنى الذى بذله علماؤنا الأفاضل ، حتى خرجوا بأحكام سليمة على الأحاديث النبوية ، حفظت بها السنةالمطهرة من عبث كل عابث .

ولم يأت ذلك المنهج إلا بعد عمل دؤوب ، وبذل جهد منقطع النظير ، وشدة انتباه وحرص ، ودقة تطبيق ، وقوة تميز ، أذهلت العالم بأسره ، وماذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه الذى أراد حفظ سنة نبيه فهيأ لها من الأسباب ماأدى إلى بقائها .

---

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٣٣-٤٣٤ .

والـذى يريد أن يقف على متـانة منهج المحدثين فعليـه أن يلقى نظرة على هذه المؤلفات التى لاتحصى عدداً فى كل فن من فنـون الحديث ، ومابذل فيهـا مـن عنـاية فائقة لامثيـل لهـا ، فإنه لايملك ـ إن كـان منصفـاً ـ إلا أن يسجـل اعترافاً لأولئك القـوم الأماجد بكمال منهجهـم وشمـوليته ووضوحه ودقته . ومايدعيه جولد زيهر بأن وجهة نظرهم فى النقـد ليست كوجهة نظر علمـاء الإسلام ، فهـذا صحيـح ، فلاشك إن البعد بين منهـج المحـدثين وبين منهج المستشرقين بعد ساحق كالبعد بين المحدثين والمستشرقين .

قال دكتور محمد عجاج الخطيب :

"إن وجهـة نظـر النقـاد المسلمين مبنيـة على القــواعد والأصـول التى وضعـوها فى نقـدهم ، وقد رأينـا دقتهـا وعرفنا قيمتهـا ، فمـن الطبيعـى أن تختلـف عن وجهة نظر النقاد الأجانب ، الـذين لايؤمنـون برسالة محمد صلى اللـه عليـه وسلم ولايعتقدون الإيحاء إليـه ، فنحـن نختلفـون معهـم من نقطة البـداية ، لأن كثيراً مـن الأحاديث التى تتنـاول العقـائد والغيبيـات سلمنـا بصحتهـا بعـد التحقيق العلمـى ، وسلمنا بكل ماجاء فيهـا لأنهـا عن الصادق المصـدوق ، فاختلاف وجهة نظرهم لايضيرنا مادمنا قد سلكنـا فى نقدنا وبحثنا أسلم طـرق البحث العلمى وأدقها ، وقد شهد لنا بذلـك المنصفون منهم"(١).

ومـازعمه جب مـن أن جهود المحـدثين تجاه السنـةالمدونة عبـث لقلـة حذرهـم وتدقيقهم ، زعم متهـافت وعبث ، ولولا خشيـة أن يتأثر به خفاف العقـول ماأجبت عنه لسقوطـه وشدة ضعفه . وأضرب لجب مثـالاً يعكس له دقـة علمـائنا ، ورصـانة منهجهـم ، وشـدة تحريهـم ، وجودة خبرتهـم التى اكتسبـوها بالممارسة وطول الملازمة ، مع مشقة الطريق وصعـوبة السير فيه .

قال ابن أبى حاتم الرازى :

"تعـرف جودة الـدينار بالقيـاس إلى غيره ، فإن تخلـف عنـه فى الحمرة والصفـاء علم أنه مغشوش . ويعلم جنس الجوهر بالقياس إلى غيره فـإن خالفه

---

(١) السنة قبل التدوين ص٢٥٣ .

فى الماء والصلابة علم أنه زجاج ، ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقليه وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من كلام النبوة"(١).

إنه منهج بنى على علم ودراية ، وتولى تطبيقه أطباء مهرة يجيدون الصنعة ، كما يجيد الصيرفى استخراج الدرهم الجيد من البهرج ، بل وأبلغ من ذلك ، لأن الأمر فى شأن الحديث دين وهو أولى بالتحرى والدقة من أمر الدراهم والدنانير . وهم فيه أشد حذراً وأكثر تثبتاً .

سئل أبو زرعة "ماالحجة فى تعليلكم الحديث؟ فقال : الحجة أن تسألنى عن علة حديث ، فأذكر علته ، ثم تقصد ابن وارة - يعنى محمد بن مسلم بن وارة(٢)- فتسأله عنه فيذكر علته ، ثم تقصد أبا حاتم فيعلله . ثم تميز كلامنا على ذلك الحديث ، فإن وجدت بيننا خلافاً ، فاعلم أن كلاً منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة ، فاعلم حقيقة هذا العلم . ففعل الرجل ذلك ، فاتفقت كلمتهم ، فقال : أشهد أن هذا العلم إلهام"(٣).

إنه علم محكم دقيق لايوحى إلى أصحابه ، ولكنهم ينطلقون من قواعد ثابتة وأصول محكمة ، تقذف بأحكام متوافقة منسجمة لااختلاف بينها ولاتباين .

قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمى :

"ففى الواقع كان معيار المحدثين دقيقاً وشديداً . فما كانوا يقبلون شيئاً نظيفاً إلا من يد نظيفة ، لذلك كانوا ينظرون أولاً إلى الرواة فإذا ثبت فيهم الضعف رموا بالحديث ولم يقبلوه ولو كان المتن صحيحاً ، لأنه يجب فى

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ٣٥١/١ .

(٢) محمد بن مسلم بن وارة :
هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازى ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ . روى عن أبى عاصم والفريابى . وعنه النسائى وابن أبى حاتم والمحاملى . مات سنة ٢٧٠هـ وقيل قبلها .
انظر : الجرح والتعديل ٧٩/٨-٨٠ ، الكاشف ٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٧/٢ .

(٣) الباعث الحثيث ص٦٣ ، وانظر : الجرح والتعديل ٣٤٩/١-٣٥١ .

نظرهم لقبول الرواية أن يكون شطرا الرواية : الإسناد والمتن كلاهما صحيحين ، ولايكفى صحة أحدهما لقبولها"(١).

وقال الدكتور مصطفى السباعى :

"لايستطيع من يدرس موقف العلماء - منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة - من الوضع والوضاعين وجهودهم فى سبيل السنة وتميز صحيحها من فاسدها ، إلا أن يحكم بأن الجهد الذى بذلوه فى ذلك لامزيد عليه ، وأن الطرق التى سلكوها هى أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص ، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله ، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمى الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها ، وأن جهدهم فى ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"(٢).

وأما قدحه فى الكتب الستة بما فيها الصحيحان قد أجاب عنه الدكتور محمد عجاج الخطيب ، إضافة إلى ماذكرنا فى موضوع التدوين وكيف حفظت السنة حتى ضمنت فى المؤلفات المتنوعة .

قال :

"أما رأيه فى الكتب الستة أنها مجموعة من الأحاديث التى ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة فى القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة ، فهذا رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التى بذلوها خلال القرن الأول والثانى فى سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان معظمها عملياً ، يطبقه المسلمون ، ويقيمون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هداه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول ، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى القرن الأول والقرون التالية ، وذاعت فى الآفاق عندما حرر المسلمون

(١) منهج النقد عند المحدثين ص٨٥ .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص٩٠ .

الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنةالعملية والقولية والتقريرية ، جيلاً عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت فى كتب مصنفة ، وفى أجزاء مبوبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى على أيدى كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمعه البخارى ومسلم وغيرهما فى القرن الثالث لم يكن مبعثراً ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التى كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة"(١).

وهو كلام رصين ، دحض به شبهة هذا المستشرق الذى يهدف من وراء ذلك إلى التشكيك فى الكتب الستة وفى مقدمتها الصحيحان ، حتى تزول الثقة بهذه الكتب التى جمع مؤلفوها فيها عدداً لايستهان به من الأحاديث ، وقد ركز فى طعنه على الصحيحين لأن فى انهيارهما انهياراً لبقية كتب الحديث الأخرى ، لأن الصحيحين يتبوآن منزلة عظيمة بين كتب السنة قاطبة فهما أصح الكتب بعد كتاب الله جل وعلا(٢).

لأن البخارى ومسلماً رحمهما الله لم يدخلا فيهماإلا ماصح ، قال البخارى : "ماأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح وتركت من الصحاح لملال الطول" .

وقال مسلم : "ليس كل شىء عندى صحيح وضعته هنا ـ يعنى فى كتاب الصحيح ـ إنما وضعت ههنا ماأجمعوا عليه"(٣).

وأحاديثهما فى أعلى مراتب الصحيح ، فما اتفقا عليه يتبوأ المرتبة الأولى ثم ماانفرد به البخارى ثم ماانفرد به مسلم(٤).

إضافة إلى أن مااتفقا عليه أو انفرد به أحدهم مقطوع بصحته والعلم اليقينى النظرى واقع به(٥).

---

(١) السنة قبل التدوين ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٩ ، تقريب النووى مع التدريب ٩١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٢٣ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص١٠ .

(٤) انظر المرجع السابق ص١٤ .

(٥) انظر المرجع السابق ص١٤ .

وذلك لما احتف بأحاديثهما من قرائن منها : جلالتهما فى علم الحديث وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما ، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول ، وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر (١).

فما قاله جولد زيهر حولهما وحول الكتب الستة ، لاصحة له بحال من الأحوال ، وإنما يستهدف من ذلك كما أسلفت أن يقوض صرح السنة الشامخ ، ويشاركه فى هذا الهدف أعداء الإسلام من المستشرقين الذين شرقوا وغصت حلوقهم بالمد الإسلامى الهائل ولذلك تراهم يركزون طعونهم فى مواضع مهمة ترتكز عليها دعامة السنة ، فقد طعنوا فى أبى هريرة رضى الله عنه لعلمهم بأنه أكثر من روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طعنوا فى الزهرى رحمه الله لما تبين لهم أنه أول من دون الحديث وجمع من العلم مافاق به أقرانه ، ثم قدحوا فى الصحيحين وبقية الكتب الستة لما حوته من عدد هائل من الأحاديث ، وهى كتب معتمدة عند الأمة الإسلامية .

فإذا تهاوت الأحاديث التى حدث بها أبو هريرة وتلك التى جمعها الزهرى ، وماجاء فى الكتب الستة فماذا بقى بعد ذلك لأمة الإسلام من إرث نبيهم .

إنه مخطط إجرامى رهيب يستهدف إسلامنا ، فهل ياترى عقل ذلك أبناء الإسلام؟ والمثقفون منهم بالذات؟ أرجو ذلك!!

(ب) **التباين فى التوثيق والتضعيف** :

لقد اعتبر جوينبل أن اختلاف علماء الحديث فى توثيق الرجل وتضعيفه مطعن فى منهجهم ، ويلزم من ذلك أن يوثقوا من لايستحق التوثيق ، ويضعفوامن لايستحق التضعيف ، وينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة ، ولذا حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة وهى ليست كذلك.

---

(١) شرح نخبة الفكر ص٢٠-٢٢ بتصرف .

هذه لوازم تؤخذ من عباراته ومن مفهوم كلامه ، إذ القصد التشكيك فى السنة .

ومـاوضعه علمـاء الحديث مـن قـواعد وأصول ثابتـة لتـوثيق الـرواة وتضعيفهـم ، ينفـى مـاقال ، ولم ينطلقـوا رحمهـم اللــه فى تعـديل الـرواة وتجريحهـم من هوى ، أو حسـب الأمزجة ، وإنما كانوا يفعلـون ذلـك حسبة للـه وتدينا ، ولذلك كثر قـولهم "إن هذا العلم دين فـانظروا عمـن تأخذون دينكم "(١).

ولقـد قام علم عظيم وضعـت له القواعد وأسست لــه الأسس ، وجعل مقيـاساً دقيقاً ضبطت به أحوال الرواة من حيث التـوثيق والتضعيف ، ذلك علم الجرح والتعديل الذى لانظير له عند أمة من الأمم .

والذى يطلع فى كتب علوم الحديث يقف مبهوتاً أمام هذا العلم الفائق الـدقة ، البالغ الإحكام ، الـذى لايمكن أن يكون وضـع صـدفة أوجاء عفواً ، وانما بذلت فيه جهود ، وتعبت فيه أجسام ، وسهرت فيــه أعين حتى بلغ إلى قمة الحسن ومنتهى الجودة .

ونتنـاول من هذا العلم أمـوراً ثلاثة يتضح من خلالهـا فساد زعم هذا المستشرق وبطلانه .

أولها : من هو الراوى الذى يقبل حديثه؟

ثانيها : كيف يوثق؟

ثالثها : إذا تعارض فيه توثيق وتضعيف ، ماالعمل إذاً؟ ومالذى أدى إلى ذلك؟

والجواب على هذه الأسئلة :

أولهـا : لقـد نص علماء الحديث على صفـات معينـة متى توفـرت تلك الصفات فى شخص معين قبلت روايته واحتج بحديثه .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

---

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ١٤/١ ، كتاب المجروحين ص٢١-٢٣ .

"وأجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه . وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه . وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعانى"(١).

فهذا هو الثقة الذى تقبل روايته وهو الذى جمع بين شرطى العدالة والضبط .

ثانيها : يوثق الراوى إذا ثبتت عدالته بالاستفاضة ، أو باشتهاره بين أهل العلم بالثناء والخير ، أو بتعديل عالم أو أكثر بالتعديل(٢)، وثبت ضبطه بموافقة روايته للثقات المتقنين فى الغالب(٣).

ويقبل تعديل الراوى ولو لم يذكر سببه وذلك لكثرة أسباب التعديل ومشقة ذكرها .

وأما جرحه فلايقبل إلا إذا بين سببه ، لأنه يحصل بأمر واحد ، ولامشقة فى ذكره ، إضافة إلى اختلاف الناس فى أسبابه(٤).

ثالثها : إذا تعارض جرح وتعديل فى راو معين قدم الجرح ولو زاد عدد المعدلين ، وعلى ذلك جمهور العلماء، لأن مع الجارح زيادة علم خفيت عن المعدل ، فالمعدل يخبر عن ظاهر حال الراوى ، والمجرح يخبر عن أمر باطن (٥).

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص٤٩-٥٠ ، وانظر : التقريب مع التدريب ٣٠٠/١-٣٠١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٧ ، كتاب المجروحين ٨/١ .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٨ .

(٣) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠٤/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٩ .

(٤) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٠-٥١ ، التقريب مع التدريب ٣٠٥/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص٨٩ .

(٥) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص٥٢ ، تدريب الراوى ٣٠٩/١ ، الباعث الحثيث ص٩١ ، منهج النقد فى علوم الحديث ص٩١ .

قال الدكتور نور الدين العتر :

"لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها فى تقديم الجرح ، فقد وجدناهم يقدمون التعديل على الجرح فى مواطن كثيرة ، ويمكننا أن نقول : إن القاعدة مقيدة بالشروط الآتية :

(١) أن يكون الجرح مفسراً ، مستوفياً لسائر الشروط .

(٢) أن لايكون الجارح متعصباً على المجروح أو متعنتاً فى جرحه .

(٣) أن لايبين المعدل أن الجرح مدفوع عن الراوى ، ويثبت ذلك بالدليل الصحيح .

وهذا يدل على أن اختلاف ملحظ النقاد يؤدى إلى اختلافهم فى الجرح والتعديل ، لذلك قال الذهبى وهو من أهل الاستقراء التام فى نقد الرجال :

"لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولاعلى تضعيف ثقة" . أى لأن الثقة إذا ضعف يكون ذلك بالنظر لسبب غير قادح ، والضعيف إذا وثق يكون توثيقه من الأخذ بمجرد الظاهر"(١).

وقال الحافظ ابن حجر :

"والجرح مقدم على التعديل ، وأطلق ذلك جماعة ولكن محله إن صدر مبيناً من عارف بأسبابه ، لأنه إن كان غير مفسر لم يقدح فيمن ثبتت عدالته ، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضاً ، فإن خلا المجروح عن تعديل قبل الجرح فيه مجملاً غير مبين السبب إذا صدر من عارف على المختار ، لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو فى حيز المجهول ، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله"(٢).

كما أنه يجب أن يراعى عند الاختلاف حال المعدل والمجرح ، لأن ذلك من القرائن التى يرجح بها عند الاختلاف فى التوثيق والتضعيف .

---

(١) منهج النقد فى علوم الحديث ص٩١-٩٢ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص١٥٥ .

قال الإمام الذهبى مبيناً أقسام المتكلمين فى الرجال من حيث التعنت والتوسط والاعتدال فى الجرح والتعديل :

"١ - قسم منهم متعنت فى الجرح ، متثبت فى التعديل ، يغمز الراوى بالغلطتين والثلاث ، ويلين بذلك حديثه ، وهذا إذا وثق شخصاً فعض على قوله بناجذيك ، وتمسك بتوثيقه ، وإذا ضعف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه ، فإن وافقه ، ولم يوثق ذاك أحد من الحذاق ، فهو ضعيف ، وإن وثقه أحد فهذا الذى قالوا فيه : لايقبل تجريحه إلا مفسراً ، يعنى لايكفى أن يقول فيه ابن معين مثلاً : هو ضعيف ، ولم يوضح سبب ضعفه ، وغيره قد وثقه ، فمثل هذا يتوقف فى تصحيح حديثه ، وهو إلى الحسن أقرب . وابن معين وأبو حاتم والجوزجانى متعنتون .

٢ - وقسم فى مقابلة هؤلاء ، كأبى عيسى الترمذى ، وأبى عبد الله الحاكم ، وأبى بكر البيهقى : متساهلون .

٣ - وقسم كالبخارى ، وأحمد بن حنبل ، وأبى زرعة ، وابن عدى : معتدلون منصفون "(١).

وأما اختلافهم فى صحة حديث أو تضعيفه ، فيرجع ذلك إلى أمرين :

الأول : اختلافهم فى استيفاء الحديث لشروط الصحة ، فحكم كل ماأداه إليه اجتهاده .

الثانى : اختلافهم فى لزوم بعض تلك الشروط للصحة ، كالحديث المرسل ، فالبعض يصححه إذا استوفى بقية الشروط ، وبعضهم يضعفه لعدم الاتصال(٢).

---

(١) ذكر من يعتمد قوله فى الجرح والتعديل ص١٥٨-١٥٩ ، ضمن أربع رسائل بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، وانظر الجواب على السؤال الرابع من كتاب الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة ص١٦١ فما بعدها .

(٢) منهج النقد فى علوم الحديث ص٢٢٥ بتصرف . وانظر : مقدمة ابن الصلاح ص٨ التقييد والإيضاح ص٢٠ .

وبعد فعلماء الحديث لم ينطلقوا فى توثيقهم وتجريحهم ، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط ، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة ، فى أحكامهم. ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود فى منتهى الدقة ، متفقة فيما بينها ، متحدة لاشذوذ فيها ، منسجمة لاتباين يعتريها .ويعجز كل دعى أن ينقد ماأصلوه بنقد علمى لامطعن فيه وبحكم لاقادح فيه .

وإن كان جوينبل قد أساء فى حكمه وظلم ، فهنالك من أحسن وعدل ، ذلك هو محمد أسد (ليوبولد فايس) عندما قال :

"إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا فى الكلام على وجه التفصيل فى الأسلوب الدقيق الذى كان المحدثون ـ علماء الحديث ـ الأولون يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث ، ويكفى ـ من أجل مانحن هنا بصدده ـ أن نقول إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع غايته الوحيدة البحث فى معانى أحاديث الرسول وشكلها وطريقة روايتها . ولقد استطاع هذا العلم فى الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون ، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية ، ولم يعد منهم فى الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماماً مع القواعد التى وضعها المحدثون ، تلك القواعد التى تعتبر على أشد مايمكن أن يكون من الدقة . فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة ، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك"(١).

(ج) وجود الأسانيد اعتباطى ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :

لم يلق علم من العلوم فى جميع جوانبه وفروعه مالقى علم الحديث من العناية والاهتمام من علماء الأمة الإسلامية بدءاً من عهد الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا ، وأصدق شاهد على ذلك هذه المؤلفات الكثيرة الماثلة

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص٩٢-٩٣ .

أمام أعين الجميع ، ومامن جزئية من جزئياته إلا وتجد أن العلماء أشبعوها بحثاً وأوفوها دراسة .

ومن ذلك إسناد الحديث الذى بدأ مع بداية رواية الحديث ، أى منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان الشاهد يبلغ الغائب ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يحضرون مجلسه ثم ينقل من حضره إلى من غاب عنه ماسمع ، كما سبق فى قصة عمر مع جاره الأنصارى (١).

وماكان الصحابة رضى الله عنهم يكذب بعضهم بعضاً إذ الثقة بينهم كانت متوفرة ، ولكن لما ركب الناس الصعب والذلول أصبحوا يشددون فى الإسناد ويلتزمونه فى رواية الحديث ، روى مسلم بسنده إلى مجاهد قال : جاء بشير العدوى إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لايأذن لحديثه ولاينظر إليه ، فقال : ياابن عباس مالى لاأراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول الله ولاتسمع؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلا مانعرف"(٢).

قال ابن سيرين :

"لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلايؤخذ حديثهم"(٣).

وتشدد التابعون من بعدهم فى التمسك بالإسناد والتزامه فى الرواية ، وماكانوا يقبلون خبراً عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا مسنداً .

---

(١) انظر : الوضع فى الحديث ٢/١٣-١٥ ، وانظر ص ٤٧٩

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١/١٣ .

(٣) المرجع السابق ١/١٥ ، الدارمى ١/١١٢ .

سمع الإمام الزهرى أهل الشام وهم يقولون : قال رسول الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "ياأهل الشام :مالى أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولاخطم؟ قال الوليد بن مسلم[١]: فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ"[٢].

وكان إذا حدث رحمه الله أتى بالإسناد ويقول :"لايصح أن يرقى السطح إلا بدرجه"[٣].

وكان هشام بن عروة[٤]يوصى تلاميذه بطلب الإسناد فيقول : "إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا؟"[٥]

وقد أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام البالغ فى عهد التابعين ، حتى أصبح من واجب كل من يروى حديثاً ، أن ينسب مايروى، وهو بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن سامعه إلى صحة نقله[٦].

---

(١) الوليد بن مسلم :
هو الوليد بن مسلم ، القرشى مولاهم ، أبو العباس الدمشقى ، ثقة ، لكنه كثير التدليس . روى عن الأوزاعى ، وثور بن يزيد ، وعنه أحمد وإسحاق بن منصور ودحيم . مات سنة ١٩٤هـ أو ١٩٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٩/١٦-١٧ ، الكاشف ٣/٢٤٢ ، تقريب التهذيب ٢/٣٣٦

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٤ .
والأزمة : جمع زمام . والخطم جمع خطام . والزمام والخطام بمعنى واحد وهو مايوضع فى أنف البعير فيقاد به .
انظر : القاموس المحيط ص١٤٢٦،١٤٤٤ .

(٣) الجرح والتعديل ٢/١٦ .

(٤) هشام بن عروة :
هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، ثقة فقيه ، ربما دلس . سمع عمه ابن الزبير وأباه، وعنه شعبة ، ومالك ، والقطان . مات سنة ١٤٥هـ أو ١٤٦هـ
انظر : الجرح والتعديل ٩/٦٣ ، الكاشف ٣/٢٢٣ ، تقريب التهذيب ٢/٣١٩ .

(٥) الجرح والتعديل ١/٣٤ .

(٦) السنة قبل التدوين ص٢٢٦ بتصرف ، وانظر : أصول الحديث ص٤٣٠ .

وظل الإسناد من بعد ذلك يلقى عناية عظيمة من علماء الحديث وجهابذته ، بل أصبح طلبه عندهم تديناً لله تعالى .

قال عبد الله بن المبارك :

"الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء"(١).

وبالتالى لايعتمدون حديثاً ليس مسنداً .

يقول ابن المبارك :

"بيننا وبين القوم القوائم" . يعنى الإسناد(٢).

قال النووى فى معناه :

"إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه وإلا تركناه فجعل الحديث كالحيوان لايقوم بغير إسناد كما لايقوم الحيوان بغير قوائم"(٣).

ولذا إذا ورد إليهم حديث لايقبلونه مهما كان مقام من رواه إلا إذا أسنده ، وصح إسناده .

روى مسلم بسنده إلى أبى إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقانى(٤)قال : قلت لعبد الله بن المبارك : ياأبا عبد الرحمن! الحديث الذى جاء "إن من البر بعد البر ، أن تصلى لأبويك مع صلاتك ، وتصوم لهما مع صومك"(٥).

---

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٢) المرجع السابق ١٥/١ .

(٣) شرح النووى على مسلم ٨٨/١ .

(٤) أبو إسحق الطالقانى :

هو إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البنانى ، مولاهم ، أبو إسحاق الطالقانى ، نزيل مرو . صدوق ، يغرب . وقال الذهبى : "ثبت ، مرجىء" . روى عن الدراوردى وابن المبارك . وعنه سمويه ، والدورى ، والصاغانى . مات سنة ٢١٥هـ.

انظر : الجرح والتعديل ٨٦/٢ ، الكاشف ٧٥/١-٧٦ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

(٥) والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث الحجاج بن دينار . كتاب الجنائز ، باب مايتبع الميت بعد موته ٣٨٧/٣ .

قال فقال عبد الله :" يا أبا اسحق عمن هذا ؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش (١) . فقال ثقة . عمن ؟ قال : قلت : عن الحجاج بن دينار(٢) . قال ثقة عمن ؟ قال : قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا إسحق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبى صلى الله عليه وسلم مفاوز ، تنقطع فيها أعناق المطى ، ولكن ليس فى الصدقة اختلاف " (٣) .

بل لم يقف البحث عن الإسناد والتشدد فيه عند العلماء وطلبة العلم فحسب ، بل أصبح أمراً مسلماً به عند عامة الناس . قال الأصعمى : " حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال : كيف أُصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان : بخير بحمد الله ، قال : ماتقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال تفعل مايفعل الحاج غير إنها لاتطوف بالبيت . فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرهـــا

---

(١) شهاب بن خراش :
هو شهاب بن خراش بن حوشب الشيبانى ، أبو الصلط الواسطى ، نزل الكوفة . صدوق يخطىء . روى عن عمه العوام ، وعمرو بن قرة ، وقتادة . وعنه آدم وعلى بن حجر وقتيبة .
انظر : الجرح والتعديل ٤/٣٦٢، الكاشف ٢/١٥-١٦، تقريب التهذيب ١/٣٥٥.

(٢) الحجاج بن دينار :
هو الحجاج بن دينار الواسطى ، لابأس به . روى عن معاوية بن مرة ، والحكم ابن عتيبة . وعنه شعبة ، ويعلى بن عبيد .
انظر : الجرح والتعديل ٣/١٥٩-١٦٠، الكاشف : ١/٢٠٦، تقريب التهذيب ١/١٥٣.

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١/١٦ .

النبى صلى الله عليه وسلم أن تفعل مايفعل الحاج غير الطواف(١)، قال : هل من بلاغ عنها؟ قال : نعم ، حدثنى عبد الرحمن بن القاسم(٢)عن أبيه(٣)عن عائشة بذلك ؟

قال الأعرابى : "لقد استسمنت القدوة ، وأحسنت البلاغ والله ، لك بالرشاد"(٤).

ولقد عظم اِهتمام علماء الحديث بالإسناد ، حفاظاً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تنالها يد العابثين ، وأن تتطرق إليها أهواء

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . ولفظه : "فافعلى مايفعل الحاج غير أن لاتطوفى بالبيت حتى تطهرى" . كتاب الحيض (٦) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٧) ، ٧٩/١ .
وفى كتاب الحج (٢٥) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٨١) ، ١٧١/٢ . وأخرج نحوه فى كتاب العمرة (٢٦) ، باب العمرةليلة الحصبة وغيرها (٥) ، وباب عمرة التنعيم (٦) ، وباب الاعتمار بعد الحج بغير هدى (٧) ٢٠٠/٢-٢٠١ .
وفى كتاب الأضاحى (٧٣) ، باب الأضحية للمسافر والنساء (٣) ، ٢٣٥/٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه مكرراً بعدة ألفاظ . فى كتاب الحج (١٥) ، باب بيان وجوه الإحرام (١٧) ، ٨٧٣/٢-٨٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن القاسم :
هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، التيمى ، أبو محمد المدنى . ثقة جليل . قال ابن عيينة : كان أفضل أهل زمانه . سمع أباه وابن المسيب وأسلم مولى عمر . وعنه شعبة ومالك وابن عيينة . مات سنة ١٢٦هـ وقيل بعدها.
انظر : الجرح والتعديل ٢٧٨/٥-٢٧٩ ، الكاشف ١٨١/٢ ، تقريب التهذيب ٤٩٥/١ .

(٣) القاسم :
هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى ، ثقة ، أحد الفقهاء بالمدينة ، قال أيوب : مارأيت أفضل منه . روى عن عائشة وأبى هريرة وفاطمة بنت قيس وعنه الزهرى ، وأبو الزناد . مات سنة ١٠٦هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ١١٨/٧ ، الكاشف ٣٩٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٢٠/٢ .

(٤) الكفاية ص٥٧٠ ، وانظر أصول الحديث ص٤٢٩ .

الجاهلين ، فبه حموا جناب السنة من الزيادة والنقصان ، وبسببه دفعوا كل كذب عنها وبهتان .

قال أبو حاتم بن حبان :

"ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر فى هذه الأمة من تبديل الدين ماظهر فى سائر الأمم ، وذاك أنه لم يكن أمة لنبى قط حفظت عليه الدين عن التبديل ماحفظت هذه الأمة ، حتى لايتهيأ أن يزاد فى سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ولاواو ، كما لايتهيأ زيادة مثله فى القرآن فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء"(١).

وقال الحاكم :

"فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت بتراء"(٢).

ومأصدق ماقال الثورى رحمه الله فى وصف الإسناد ، إذ يقول :

"الإسناد سلاح المؤمن ، إذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل"(٣).ومن هنا درس المحدثون الإسناد دراسة مستوفية ، فدرسوه من حيث اتصاله ، فوضعوا قواعد تتناول كافة أحوال الاتصال ، وسائر وجوهه ، فنظروا إليه من حيث مبدئه وانتهائه ، ووضعوا لذلك اسماً ، ودرسوا صيغه وبينوا شروطها ، ونظروا إلى مسافة السند من حيث الطول والقصر ، وإلى حال الرواة عند الأداء . ونقدوا الأسانيد فى الحديث الواحد ومافيها من زيادة ونقص . كما درسوا الإسناد من حيث الانقطاع وأنواعه ، فبحثوا موضعه من أوله أو وسطه أو آخره ، كما بحثوه من حيث طبيعته

---

(١) كتاب المجروحين ٢٥/١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص٦ .

(٣) كتاب المجروحين ٢٧/١ ، شرف أصحاب الحديث ص٤٢ .

فى الظهـور والخفاء ، وبلغوا الغـاية ومنتهى الدقة فى ذلـك. واستوفوا بذلك كل أوجه الاحتمالات فى اتصـال الحديث وانقطـاعـه ممـا أدى إلى بروز أحكامهم على الأحاديث فى غاية الصحة والدقة والسداد(١).

وقـد عرفوا الحديث الصحيح بما نقله عدل تام الضبـط ، متصل السند غير معلل ولاشاذ(٢).

فـاختص الإسنـاد مـن ذلـك بثلاثة شـروط وشـارك متن الحديث فى الشرطين الآخرين ، فدل هذا على أهميته البالغة ، واعتنائهم به .

بل أكثروا مـن الترحال والتنقـل فى طلب الأسانيـد وتتبعها والوقوف على مـافيها مـن علـل ، وبذلـك حرصـوا على قـرب الأسـانيد وقلـة النقلـة والوسائط .

وبعـد هـذا يتبين لنـا أن مـازعمه شـاخت لم يبن على دراسـة سـابقة ، ولامعرفة ، وإنما ادعاء قصر فيه بصر صاحبه ، أو أغمض قصداً حتى لايشاهد الحقائق الثابتة البينة لكل منصف ، وذلك أمر فقد عند المستشرقين .

(د) نقد المحدثين لايتعدى السند :

هـذه فرية أخرى ، وكذب مكشوف يوجه إلى منهج المحـدثين ، لينفذ من خلاله إلى حصن السنة فيحدث فيه شرخاً ، ويقوض بنيانه ، إذ التشكيك فى السنـة هو الهدف الرابط بين هـذه الشبهة وسابقاتهـا ، وقد تساقط ماسبق وتبين فسـاده ، ولن تصمد هـذه أبداً لأنها عارية عن الحقيقـة وماكان كذلك ماأسرع مايكشف عدم صدقه ويفضح أمره ، وبيان ذلك :

لقـد اهتم علماء الحديث اهتماماً بالغاً بدراسة متن الحديث ، واستـوفوا تلك الدراسة ، وبذلوا قصارى جهدهم فى العناية به بحيث لايوجد مزيد على ماقدموه .

---

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣٦٧-٣٧٠ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص٣٠ .

وماسبق مما أشرنا إليه من دراسة للإسناد إنما يهدفون من وراء كل ذلك إلى الوصول إلى صحة المتن لكى يتعرفوا على الصحيح مما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا هدفهم وهذه غايتهم (١).

ونقدهم للسند مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنقد المتن ، وقد بينا أن توثيق الراوى لايتم إلا بثبوت عدالته وضبطه ، وهذا الأخير إنما يعرف بمقارنة مرويات الراوى مع مرويات الثقات الآخرين (٢).

وصحة إسناد الحديث لاتعنى صحة الحديث ، لأن من شروط الصحيح ألا يكون شاذاً ولامعللاً ، والشذوذ والعلة يكونان فى السند كما يكونان فى المتن ، فقد يصح إسناد حديث ما ويكون فى متنه علة قادحة تقدح فى صحته وهكذا الشذوذ . ولذا لم تكن دراستهم قاصرة على الأسانيد ، وإنما بحثوا فى علل المتون وشذوذها،وضمن ذاك كتب المصطلح وكتب العلل وهى كثيرة.

وهنالك كثير من علوم الحديث لم يكتف فيها بدراسة الإسناد فقط ، وإنما درس الإسناد والمتن جميعاً ، من ذلك : الحديث المقلوب (٣)، والمضطرب (٤).

---

(١) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٢٤٠ .

(٢) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٤٤٣-٤٤٤ .

(٣) المقلوب : هو أن يقدم الراوى ويؤخر فى اسم أحد الرواة واسم أبيه ، أو يبدل شخصاً بآخر . أو يقدم ويؤخر فى بعض متن الحديث ، أو يجعل متن حديث على إسناد آخر ، ويجعل إسناده لمتن آخر .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٨٢-٨٥ ، شرح نخبة الفكر ص٨٧ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٠٥-١٠٧ ، أصول الحديث ص٣٤٥-٣٤٧ .

(٤) المضطرب :
هو أن يأتى الحديث على أوجه مختلفة ، فى متنه أو فى سنده من راو واحد أو أكثر ، وتساوت رواياته فى القوة بحيث لايمكن الترجيح بينها بوجه من وجوه الترجيح .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٨ ، شرح نخبة الفكر ص٨٩-٩١ ، تيسير مصطلح الحديث ص١١٢-١١٤ ، أصول الحديث ص٣٤٤-٣٤٥ .

والمدرج (١)، والمعلل ، والمصحف (٢)، والموضوع ، وزيادة الثقة (٣)(٤).

كما أنشئت علوم كثيرة تتعلق بدراسة المتن خاصة ، من ذلك غريب الحديث (٥)، أسباب وروده (٦)،

---

(١) المدرج :
هو ماوقعت فى إسناده أو متنه زيادة من بعض الرواة ليست من أصل الحديث ، بلافصل .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٩-٧٣ ، شرح نخبة الفكر ص٨٥-٨٦ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٠٣-١٠٦ ، أصول الحديث ص٣٧٠-٣٧٣

(٢) المصحف :
هو ماغيرت فيه كلمة أو أكثر فى إسناده أو متنه إلى غير مارواها الثقات ، لفظاً أو معنى .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٥-١٦٩ ، شرح نخبة الفكر ص٩٢-٩٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص١١٤-١١٧ ، أصول الحديث ص٣٧٣-٣٧٥

(٣) زيادة الثقة :
هى أن يروى الثقة حديثاً فيزيد فيه لفظة أو أكثر لم يروها غيره من الثقات الذين رووا الحديث نفسه .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٥٨-٦٠ ، شرح نخبة الفكر ص٤٥-٤٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٣٧-١٤٠ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٨٥-٨٦ .

(٥) غريب الحديث :
هو مايقع فى الحديث من لفظةغامضة تبعد عن الفهم لقلة استعمالها .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٢-١٦٣ ، شرح نخبة الفكر ص٩٤-٩٥ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٧٤-١٧٥ ، أصول الحديث ص٢٨٠-٢٨٢ .

(٦) أسباب ورود الحديث :
هى المناسبات التى ذكرت فيها الأحاديث أو الوقائع التى من أجلها سيقت الأحاديث .
انظر : أصول الحديث ص٢٩٠ .

ناسخه ومنسوخه(١)، مشكله ، ومحكمه(٢)(٣).

وفى هذه بذل المحدثون جهداً لانظير له ولامثيل ، ومن جهودهم فى دراسة المتن ماوضعوه من علامات وضوابط يعرف بها وضع الحديث من غير رجوع إلى سنده ، من ذلك :

(١) ركاكة اللفظ فى المروى :

فيدرك من له المام باللغة ومعرفتها أن ذلك لايمكن أن يكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا صرح الراوى بأنه لفظه ، وإلا فمدار الركة على المعنى وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ(٤).

(٢) فساد المعنى :

كالأحاديث التى يكذبها الحس . كحديث "الباذنجان لما أكل له"(٥).

ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث "من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولاسحر"(٦).

---

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه :
النسخ هو : رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر . وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه هو العلم الذى يبحث عن الأحاديث المتعارضة التى لايمكن التوفيق بينها فيسمى ماتقدم منها منسوخاً ، وماتأخر ناسخاً .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٤-١٦٥ ، شرح نخبة الفكر ص٦٠-٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص٥٩-٦٠ ، أصول الحديث ص٢٨٧-٢٩٠ .

(٢) مشكل الحديث ومحكمه :
مشكل الحديث أو مختلفه هو ماعارضه غيره من الأحاديث . أو أشكل فهمه وتصوره .
ومحكم الحديث هو الذى سلم من معارضة غيره ، ولم يشكل معناه .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص١٦٩-١٧١ ، شرح نخبة الفكر ص٥٨-٥٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص٥٦-٥٨ ، أصول الحديث ص٢٨٣-٢٨٦ .

(٣) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص٣١٠-٣١٩ .

(٤) انظر : تدريب الراوى ٢٧٥/١-٢٧٦ ، الباعث الحثيث ص٧٧-٧٨ ، السنة قبل التدوين ص٢٤٢ ، أصول الحديث ص٤٣٣ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص٥١ .

(٦) انظر المرجع السابق ص٥٤-٥٥ .

ومادل على إباحة المفاسد والجرى وراء الشهوات ، كحديث "النظر إلى الوجه الجميل عبادة"(١).

وماشتمل على مجازفات لاتصدر عن العقلاء ، كحديث "المجرة التى فى السماء من عرق الأفعى التى تحت العرش"(٢).

وماقامت الشواهد الصحيحة على بطلانه ، كحديث عوج بن عنق الطويل(٣).

(٣) مخالفة الحديث لنص القرآن أو السنة المتواترة :

فما يخالف القرآن كحديث "مقدار الدنيا وإنها سبعة ألف سنة" فهو مخالف لقوله تعالى : {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لاتأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما علمها عند الله"(٤)(٥).

ومايخالف السنة كأحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لايدخل النار . والنار لايجار منها بالأسماء والألقاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح(٦).

(٤) مادل على تواطؤ الصحابة على كتمان أمر وعدم نقله :

كما يدعى الشيعة أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على وهم راجعون من حجة الوداع فأقامه بين جميع الصحابة وعرفه لهم بقوله : "هذا وصيي وأخى ، والخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا" ثم اتفق الجميع على

---

(١) انظر : المنار المنيف ص٦٢ .
(٢) انظر المرجع السابق ص٥٩ .
(٣) انظر المرجع السابق ص٧٦ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٧
(٥) انظر المرجع السابق ص٨٠ .
(٦) انظر المرجع السابق ص٥٦-٥٧ .

كتمان ذلك(١).

(٥) ماخالف الحقائق التاريخية التى جرت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم واقترن بقرائن دلت على بطلانه .

كحديث "وضع الجزية عن أهل خيبر"(٢).

(٦) ماوافق مذهب الراوى وهو غال فى تعصبه :

مثل أن يروى رافضى حديثاً فى فضل أهل البيت ، أو مرجىء حديثاً فى الإرجاء(٣).

(٧) ماكان عن أمر جسيم تتوفر الدواعى على نقله :

كحصر العدو للحاج عند البيت ثم لاينقله إلا واحد منهم(٤).

(٨) ماشتمل على مجازفات وإفراط فى الثواب العظيم على الأمر الصغير ، أو وعيد عظيم على فعل يسير :

كحديث "من قال لاإله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرن الله له"(٥).

وقد اكتسب الجهابذة من علماء الحديث مهارة فائقة فى التمييز بين الموضوع والصحيح من الحديث بمجرد نظرهم إلى المتن من غير دراسة للإسناد وذلك لملازمتهم لعلم الحديث ومعرفتهم بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

---

(١) انظر المرجع السابق ص٥٧ .
وحديث "هذا وصى ... الخ" ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ٣٧٥/١ .
والملا على القارى فى الأسرار المرفوعة برقم ١٠٢٣ ، ص٢٥٨ .
والقيسرانى فى تذكرة الموضوعات ص٢١٩ وقال : "فيه خالد بن عبيد العتكى لايحتج به" .

(٢) انظر : المنار المنيف ص١٠٢ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٤٦ ، أصول الحديث ص٤٣٦ .

(٤) انظر : السنة قبل التدوين ص٢٤٦ ، أصول الحديث ص٤٣٦ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص٥٠-٥١ .

"سئلت : هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر فى سنده؟

فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بلحمه ودمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه .

فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ،ومايجوز أن يخبر به ، ومالايجوز : مالايعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فان للأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها ، والتمييز بين مايصح أن ينسب إليه ومالايصح ماليس لمن لايكون كذلك .

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم ، يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم والله أعلم"(١).

وبفضل الله قد تكون عند أكثر علماء الحديث تلك الملكات الخاصة التى مكنتهم من تمييز ماصح من حديث النبى صلى الله عليه وسلم مما لم يصح ، وذلك لممارستهم حديث النبى صلى الله عليه وسلم وعنايتهم الفائقة به .

قال الربيع بن خثيم(٢)رحمه الله :

---

(١) المنار المنيف ص٤٣-٤٤ .

(٢) الربيع بن خثيم :

هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثورى ، أبو يزيد الكوفى ، ثقة عابد مخضرم ، قال له ابن مسعود : "لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك" روى عن ابن مسعود وأبى أيوب . وعنه الشعبى وإبراهيم . مات سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٥٩/٣ ، الكاشف ٣٠٤/١ ، تقريب التهذيب ٢٤٤/١ .

"إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها"(١).

وقال ابن الجوزى :

"الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه فى الغالب"(٢).

وقال ماأحسن قول القائل : "إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع"(٣).

فعلماء الحديث رحمهم الله درسوا متن الحديث دراسة وافية يعرف قدرها من نظر إلى مؤلفات القوم وماتركوه من ميراث عظيم سارت على ضوئه الأجيال ، واعترف بذلك المنصفون ، فلاعبرة بما قاله غاستون ويت ، ولابما قاله كل حاقد هالك يريد شرا بديننا القويم ، فنحن المسلمون بحمد الله نثق فى علمائنا الأجلاء ونقدر لهم جهودهم ، ونشكر لهم مابذلوه من جهود فى خدمة سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونشهد لهم بذلك ، وبسلامة منهجهم واستقامته ، ولانلتفت إلى طعن طاعن ، أو قول مبغض فيهم أبدا ، بل نكشف قوله ، ونرد كيده ، ونمحو أثره ، وصدق الله إذ يقول : {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}(٤).

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٦٢ ، الكفاية ص٦٠٥ .

(٢) الموضوعات ١٠٣/١ ، تدريب الراوى ٢٧٥/١ ، الباعث الحثيث ص٧٨ .

(٣) تدريب الراوى ٢٧٧/١ . وانظر الموضوعات ٩٩/١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ١٨

الباب الثالث

موقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة النبوية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة وأثر ذلك في رد الأحاديث النبوية .

الفصل الثاني : تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين وأثر ذلك في إثارة الشبه حول السنة .

الفصل الأول
تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة وأثر ذلك فى رد الأحاديث النبوية

لعل الكثيرين من أبناء الإسلام يظنون أن أفكار المعتزلة طواها الزمان واندثرت فى أعماق التاريخ ، وهذا ظن لاحقيقة له ، والواقع يخالفه .

فهناك الكثيرون ممن وجدوا فى هذا العصر وحسبهم الناس من أهل العلم وحماة الإسلام ، يمجدون أهل الاعتزال ، ويلتزمون نهجهم ، ويدافعون عن ذلك ، مستميتين فى الدفاع عنهم ، متبنين لآرائهم وأقوالهم ، يذبون عنها طعن كل طاعن ، ويذمون بسببها كل معترض .

يقول أحمد أمين :

"وكان للمعتزلة الفضل الأكبر فى علم الكلام ، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام لما كان يثيره اليهود والنصارى الوثنيون من هبوب . حتى لقد كانوا فيما روى يرسلون أتباعهم الكثيرين إلى البلدان الأخرى لرد هذا الهجوم رداً عقلياً.

وذاع صيتهم ، وعلا شأنهم بوجود طائفة ممتازة منهم ، مثل واصل ابن عطاء وأبى الهذيل العلاف ، والنظام والجاحظ ، وغيرهم ، بسبب ماأثير من مسألة خلق القرآن"(١).

ويقول زهدى جار الله :

"المعتزلة وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الدين الإسلامى بالرد على خصومه ، وحمله إلى أقاصى الأرض للتبشير به ، وأنهم تحملوا فى سبيل ذلك العناء والمشقات ، وسهروا الليالى الطوال يضعون الكتب والمصنفات ، ومنهم من لقى حتفه ، وليس يذكر التاريخ أن أحداً من المسلمين كان أشد منهم تحمساً لتلك العناية ، ولاأعظم حرصاً عليها"(٢).

---

(١) ظهر الإسلام ٥٠/٢ .

(٢) المعتزلة ص٤٦ .

ويقول :

"لعل من أهم مايسترعى انتباه الباحث فى تاريخ المعتزلة تلك الضخامة فى شخصياتهم ، وذلك السمو فى صفاتهم . فقد جمعوا فى أنفسهم بين التبحر فى العلم ، والشغف بالفلسفة ، والكلف بالأدب ، والتحلى بالفضائل ، والانصراف إلى العبادة ، والزهد فى متاع الحياة الدنيا . فكانوا فى الدولة العربية الإسلامية طبقة مثقفة ثقافة عالية ، ومشكاة(١)باعثة نور العرفان ، وحماسة الإيمان"(٢).

ولم يقف عند ذلك ، بل وصفهم بأنهم دعاة حرية الرأى والإرادة فى الإسلام ، الذين دافعوا عن العدالة الإلهية ، ورفعوا شأن الإنسان لأنهم اعتبروه حراً فى اختيار أفعاله(٣).

واعتبرهم النشار أهل الإبداع الفلسفى الذين تكمن فيهم فلسفة الإسلام الحقيقية(٤).

ويحيطهم محمود قاسم بهالة من الصفات والسمات التى لاتوجد عند غيرهم من طوائف الإسلام : فهم الذين نشروا الإسلام فى خراسان وأرمينيا وهم أهل الزهد والتقوى ، وأكثر الناس منطقاً لأنهم ينكرون الجسمية والجهة والرؤية ، لأنهم يأبون أن يماثلوا بين الله وخلقه . وهم أقرب إلى التنزيه من أى طائفة إسلامية أخرى(٥).

فهذا شأن أهل الابتداع من المعتزلة عند هؤلاء ، يعظمون ويكرمون ، ويرفع من شأنهم ، ويعلى من قدرهم . وفى المقابل يذم أهل الحديث ، ويساء إليهم ، ويطعن فى نهجهم ، وتعاب طريقتهم .

يقول الشيخ محمد عبده :

---

(١) المشكاة : هى الكوة غير النافذة . القاموس المحيط ص١٦٧٨ .

(٢) المعتزلة ص٢٢٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص١١٢ .

(٤) انظر : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ١٨/١ .

(٥) انظر : مقدمة مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص٧٧،٨٠،٨١ .

".. اللهم إلا فئة زعمت أنها نقضت غبار التقليد ، وأزالت الحجب التى كانت تحول بينها وبين النظر فى آيات القرآن ومتون الأحاديث لتفهم أحكام الله منها ، ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأحرج صدراً من المقلدين وإن أنكرت كثيراً من البدع ، ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف إليه وليس منه ، فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيد به ، بدون التفات إلى ماتقتضيه الأصول التى قام عليها الدين ، وإليها كانت الدعوة ، ولأجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولاللمدنية السليمة أحباء"(١).

هكذا يرمى أهل الحديث وشيعة الرحمن ، من رجل أنيط باسمه لقب الأستاذ الإمام ، ولم يكن ذنبهم إلا أنهم تشبثوا بنصوص الوحى ، ولم يقدموا عليها غيرها من حثالة الأذهان وترهاتها .

ويقول محمود أبو رية :

"فترى ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين ، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة - ومبلغ علمهم أنهم قرءوا بعض كتب الحديث واستظهروا عدداً مما فيها ، يجترونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به مافشى بين الناس من الترهات والخرافات ، لكى يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم ، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم .

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم ، وأن مايحفظونه مما لايزيد أكثره عند أحفظهم عن عشرات من الأحاديث ، وأن كتاباًمن كتب الحديث لايزيد ثمنه عن بضعة قروش يغنى عنهم جميعاً ! لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا فى جحورهم ، ولأراحوا الناس من نقيقهم .

ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده رحمه الله حيث قال : فى رجل وصفوه بأنه قد جد واجتهد ، حتى بلغ مالم يبلغه أحد - فحفظ متن البخارى كله -"لقد زادت نسخة فى البلد" . حقاً والله ماقال الإمام - أى أن قيمة

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص١٠٧ .

هذا الرجل ـ الذى أعجب الناس جميعا به لأنه حفظ البخارى ـ لاتزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخارى لاتتحرك ولاتعى"(١).

أهكذا بلغ الأمر بحفظة حديث النبى صلى الله عليه وسلم وحملة سنته حتى يسخر بهم أفراخ المعتزلة وتلاميذ الغرب ، ومالذى قدموه هم للإسلام غير الطعن فيه ، والإساءة إليه ، وهذه كتبهم شاهدة على انتكاس عقولهم وانحراف منهجهم ، فكان الأولى بهم أن يكفوا ألسنتهم ويعيدوا النظر فيما دونوه وكتبوه من مخازى وأباطيل يندى لها جبين المسلم .

وهاهم يتباكون حزنا على ظهور أهل الحديث وقمع المعتزلة على يد المتوكل العباسى(٢)، وذلك مالايرضاه هؤلاء ولايحمدونه .

يقول أحمد أمين :

"ولئن كان للمحدثين محامد من ناحية الجد فى الجمع والنقد ، وعدم الاكتراث بالمتاعب ، والصبر على الفقر ، ونحو ذلك، فقد كان لهم والحق يقال بعض الأثر السىء فى المبالغة فى الاعتماد على المنقول دون المعقول ، خصوصا بعدما مات المعتزلة ، فقد كان المعتزلة هؤلاء حاملى لواء العقل . والمحدثون حاملى لواء النقل . وكان عقل المعتزلة يلطف من نقل المحدثين . فلما نكل بالمعتزلة على يد المتوكل ، علا منهج المحدثين ، وكاد العلم كله يصبح رواية . وكان نتيجة هذا ، مانرى من قلة الابتكار ، وتقديس عبارات المؤلفين ، وإصابة المسلمين غالبا بالعقم ، حتى لاتجد كتابا جديدا ، أو رأيا جديدا بمعنى الكلمة . بل تكاد العقول كلها تصب فى قالب واحد جامد .

واتخذت التراجم شكل تراجم المحدثين من ذكر وقائع وأحداث من غير تجديد ، كالذى نراه فى الأغانى . ومن الأسف أن منهجهم ساد منهج المعتزلة وغلبهم . وكان منهج المعتزلة منهجا متينا دقيقا حتى لم يستطع أن يفر منه إلا القليل"(٣).

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص٣٢٩ .

(٢) المتوكل العباسى : هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون العباسى ، وهو الذى أحيا السنة وأظهرها ونصر أهلها ، وأمات التجهم ورفع محنة خلق القرآن . قتل سنة ٢٤٧هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٦٥/٧-١٧٢ ، وفيات الأعيان ٣٥٠/١-٣٥٦ ، العبر ٣٥٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٠/١٢-٤١ .

(٣) ظهر الإسلام ٤٨/٢ ، وانظر : ٤٩/٢ .

وقال زهدى جار الله :

"إن هذه الحركة الفلسفية العلمية التحررية بدأت تتقوى وتنتشر . وأخذت تلقى أنصاراً وأعواناً . وإنى لأعتقد أنها لو تركت تسير فى مجراها الطبيعى لاستطاعت أن تقضى على الروح الرجعية فى الأمة على قوتها وعنفها ، ولكتب لها الفوز والنجاح"(١).

وقال : "ولم يقتصر ضرر الرجعية الحنبلية على مهاجمة المتكلمين والفلاسفة ، بل إنه جعل الحنابلة يتطرفون فى أقوالهم تطرفاً أدى بهم إلى التجسيم والتشبيه"(٢).

إنهم لايريدون لنصوص الشرع أن تعلو وتسود ، ولالأهل الحق أن يظهروا ، لأن نصوص الوحى تزعجهم ، وتفسد عليهم بضاعتهم ، وتكشف للناس ضحالة علمهم ، وقلة زادهم . مالفائدة التى جناها الإسلام من أهل الاعتزال ومخلفاتهم ، غير أنهم أقحموا فيه ماهو غريب عنه من فلسفات اليونان وعصارة أذهان أعداء الإسلام ، التى يعانى من آثارها المسلمون حتى اليوم ؟ ولماذا يتباكى على فقدهم هؤلاء وقد عانى الإسلام منهم الأمرين ؟

أنسى هؤلاء فتنة خلق القرآن التى كادت أن تأتى على الإسلام برمته لولا لطف الله ونصرته لأهل الحق ؟ أم يريد هؤلاء أن نلقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أظهرنا لانعبأ به ولانأبه له ، ونطلق لعقولنا العنان ، فنحكمها فيما شئنا من دين الإسلام ؟

وإن لم يكن الأمر كذلك ، فلماذا يزهدون الناس فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ويزجرونهم من قراءته وروايته ؟

يقول الشيخ محمد الغزالى :

"ونحن هنا نذود المرويات الواهية ، والأحاديث المعلولة كما نذود عن القرآن نفسه التفاسير المنحرفة والأفهام المختلفة ، ليبقى الوحى الإلهى نقياً .

---

(١)،(٢) المعتزلة ص٢٥٢ .

إن ركاماً من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم ، وركاماً مثله من الأحاديث التى صحت . وسطا التحريف على معناها . أو لابسها كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة .

وقد كنت أزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح حتى يكشفوا الوهم عن معناه ! إذا كان هذا المعنى موهماً ، مثل حديث "لن يدخل أحد الجنة بعمله ...الخ" .

إن طوائف من البطالين والفاشلين وقفت عند ظاهره المرفوض"(١).

---

(١) السنة النبوية ص١١٩ .
والحديث أخرجه البخارى بسنده إلى أبى هريرة ولفظه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لن يدخل أحداً عمله الجنة" . قالوا ولاأنت يارسول الله ؟ قال : "ولاأنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولايتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب" . كتاب المرضى (٧٥) ، باب تمنى المريض الموت (١٩) ١٠/٧ .
وأخرج نحوه من حديث أبى هريرة أيضاً ومن حديث عائشة رضى الله عنهما . كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصد والمداومة على العمل (١٨) ١٨٢،١٨١/٧ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه من حديث أبى هريرة وجابر وعائشة رضى الله عنهم . كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (١٧) برقم ٢٨١٨،٢٨١٦ ، ٢١٧١-٢١٦٩/٤ .
قال النووى رحمه الله :
"وفى ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لايستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . وأما قوله تعالى : {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} (سورة النحل : آية ٣٢) ، {وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون} (سورة الزخرف : آية ٧٢) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلايعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله . فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها وهى من الرحمة" .
شرح النووى على مسلم ١٦١-١٦٠/١٧ .

إنها لجرأة بالغة الحد أن توصف أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم بأنها ركام من المرويات ، تحقيراً لشأنها وتنفيراً منها ، وقد مر طرف من احترام الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الخيرين وتوقيرهم لحديث النبى صلى الله عليه وسلم .

والأسوأ من ذلك أن يحذر الناس من روايتها وحملها ، وأى زهد أعظم من هذا ؟

إنه سير حثيث على خطى المعتزلة ، وتتبع لمنهجهم ، حذو القذة بالقذة(١).

وإنه لقبيح كل القبح أن ينسب إلى من جعل جل اهتمامه حمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبلاغه إلى الناس ، إلى البطالة والفشل !!

وعبارة "ظاهره المرفوض" ، تحمل بين طياتها إساءة بالغة إلى المصدر التشريعى الثانى لدين الإسلام .

ولم يقف الغزالى عند هذا الحد من التنفير من السنة ، والتحذير منها بل بلغ حنقه واشتدت نقمته على من بصروا الأمة الإسلامية بحديث نبيها صلى الله عليه وسلم ودونوه لها .

يقول :

"قرأت خمسين حديثاً ترغب فى الفقر وقلة ذات اليد وماجاء فى فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم ، كما قرأت سبعة وسبعين حديثاً ترغب فى الزهد فى الدنيا والاكتفاء منها بالقليل وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس . وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أخرى فى عيشة

---

(١) القذة : ريش السهم وجمعها قذد . انظر : القاموس المحيط ص٤٢٩ .
قال ابن الأثير : "وحذو القذة بالقذة : أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع . يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولايتفاوتان" . النهاية فى غريب الحديث ٢٨/٤ .

السلف ، وكيف كانت كفافاً . ذكر ذلك كله المنذرى [(١)] فى كتابه الترغيب والترهيب ، وهو من أمهات كتب السنة . ورحم الله المؤلف الحافظ وغفر لنا وله . فهو حسن النية ناصح للأمة . بيد أن الفقه الصحيح يقتضى منهجاً آخر . ومسلكاً أرشد .

... أملك أكثر مما ملك قارون من المال ، وسيطر على أوسع مما بلغه سليمان من سلطات ، واجعل ذلك فى يدك ، لتدعم به الحق حين يحتاج الحق إلى دعم ، وتتركه لله فى ساعة فداء حين تحين المنية !! أما أن تعيش صعلوكاً . حاسباً أن الصعلكة طريق الجنة فهذا جنون وفتون" [(٢)].

إلى أن يقول : "ولو جعلنا هذه المرويات محور حياة عامة لشاع الخراب فى أرجاء الدنيا ... إن سعة الفقه لابد منها لفهم مرويات شتى !

وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامى كما وقف حمار الشيخ فى العقبة لايتقدم ولايتأخر ! بل لعله تراجع إلى العصر الحجرى فى بعض جوانبه" [(٣)].

إن الغزالى يريد من علماء الإسلام أن يخفوا هذه الأحاديث لأنها إذا شاعت فى الأمة أحدثت خراباً فى أرجائها ، عجباً لهذا القول ! ومتى كانت السنة سبب فساد للمجتمعات ؟ بل الأمر على خلاف ذلك . إن أمة الإسلام مامكن الله لها فى الأرض سابقاً ، ومابلغت مابلغت من رقى وتقدم فى

---

(١) هو عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله أبو محمد زكى الدين المنذرى . الشامى الأصل المصرى الشافعى .
كان إماماً فى الحديث عالماً بالفقه واللغة والقراءات والتاريخ . ومن الحفاظ المؤرخين عكف على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث .
من آثاره : "الترغيب والترهيب" ، "التكملة لوفيات النقلة" ، "شرح التنبيه" ، "مختصر صحيح مسلم" ، "مختصر سنن أبى داود" . توفى سنة ٦٥٦هـ .
انظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣-٣٢٢ ، تذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٤-١٤٣٧ ، البداية والنهاية ٢١٢/١٣ ، معجم المؤلفين ٢٦٤/٥ ، الأعلام ٣٠/٤ .

(٢) السنة النبوية ص١١٤ .

(٣) المرجع السابق ص١١٧ .

عصورها الأولى ، وماغزت مجتمعات الكفر وزلزلت أركانها ، إلا عندما كانت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكنها لما تنكبت الطريق ، وتحللت من دينها حل بها ماحل . فساءت حالها ، وضعفت قوتها ، ولاسعادة لها إلا إذا عادت إلى دينها مرة أخرى .

وهؤلاء الناس إنما يزيدونها بأقوالهم هذه تدهوراً وانحلالاً ، والأولى بهم حين جهلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعجزوا عن فهمه واستيعابه أن يكفوا ألسنتهم ، ويكمموا أفواههم ، ويتركوا المجال لغيرهم ممن هم أولى وأرشد .

وفى الحقيقة لم أقف ـ فيما قرأت ـ على قول أحد ينسب إلى الإسلام أشد جرأة وأكثر هجوماً على السنة وأهلها من الغزالى ، بل لاتطيب نفسه فى كتاب من كتبه إلا إذا نال من الحديث وتعرض لأتباعه بالغمز والطعن .

مثال ذلك من أقواله :

"وأعرضت عن أحاديث أخرى توصف بالصحة ، لأنها فى فهمى لدين الله ، وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام"(١).

ويقول :

"وقد ضقت ذرعا بأناس قليلى الفقه فى القرآن كثيرى النظر فى الأحاديث . يصدرون الأحكام ، ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة .

ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل ، وحديثهم عن الإسلام جرىء . واعتمادهم كله على مرويات لايعرفون مكانها من الكيان الإسلامى المستوعب لشئون الحياة"(٢).

ويقول :

"كل مانحرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها ، مستغرقون فى شئون أخرى تعجزهم

---

(١) فقه السيرة ص١٣ .

(٢) السنة النبوية ص٢٢ .

عن تشرب الوحى"(١).

ويقول :

"السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب ، هنا أغطية للرأس ، وهنا سراويل ، وهنا قمصان . وهنا حلل سابغة ... الخ .

والطبيعى أن من يريد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها ليأخذ مايغطيه من رأسه إلى قدميه ، ولكن يحدث كثيراً أن ترى من يشترى قلنسوتين ويخرج حافياً ، أو من يشترى منديلاً ويخرج عارياً .

إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة ، ثم - بعد طول تطواف - خرجت على الناس ، وفى يديها من السنن سواك ، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام ، وسر ذلك أنهم دخلوا المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله فى حديث أو سنة محدودة ، فأساءوا بذلك إلى القرآن والسنة جميعاً"(٢).

ويقول :

"وشرع أنصاف وأعشار المتعلمين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها .

وانتشر الفقه البدوى ، والتصور الطفولى للعقائد والشرائع . وقد حاولت فى كتابى "دستور الوحدة الثقافية" أن أقف هذا الانحدار ، بيد أن الأمر يحتاج إلى جهود متضافرة وسياسة علمية محكمة .

وفى هذا الكتاب جرعة قد تكون مرة للفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علماً بعد قراءة عابرة أو عميقة .

ولعل فيه درساً لشيوخ يحاربون الفقه المذهبى لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره"(٣).

---

(١) الطريق من هنا ص٦٦ .

(٢) فقه السيرة ص٤٣ .

(٣) السنة النبوية ص١١ .

حرب شعواء لاهوادة فيها على السنة النبوية وأهلها ، الذين تمسكوا بها ودافعوا عنها ، وحافظوا عليها ، وتفقهوا فيها . وذلك أمر لايروق للغزالى ، ولذلك حشد كتبه بالطعن فى الحديث وكيل الشتائم والسباب لأهله .

وأحاديث الآحاد لم تكن أوفر حظاً مع هؤلاء المُحْدَثِين مما كانت عليه مع المعتزلة . فقد ردوها كما ردها سلفهم من أهل الاعتزال ، وطعنوا وقدحوا فيها ، وواجهوها بعقولهم الكليلة وأفهامهم المعوجة ، واستهانوا بأمرها ، فهى معزولة عندهم فلايستدلون بها فى أصول الدين وعقائده ، لأنها تفيد ظناً ، ولامجال للظن فى أمور العقائد .

إنها شقشقة المعتزلة التى عرفناها من قبل والتى ألقت بهم فى مصاف أهل الابتداع . إنها تردد اليوم من قبل دعاة المدنية والحضارة ومواكبة الغرب ، وتهدر بسببها أصح الأحاديث وأقواها دلالة ، إنهم ولاشك معتزلة هذا العصر ، وسوف نقف على هذه الحقيقة عندما نسوق الأمثلة مما سطرته أقلامهم من عبث فى نصوص السنة .

وهذه أقوالهم عن أحاديث الآحاد ليقف عليها من جهل مكر القوم وخفاء أمرهم .

قال الشيخ محمد عبده :

"وأما ماورد فى حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما وحديث إسلام شيطان النبى صلى الله عليه وسلم وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية لأنه من رواية الآحاد ، ولما كان موضوعها عالم الغيب والإيمان بالغيب من قسم العقائد وهى لايؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى : {وإن الظن لايغنى من الحق شيئاً}(١)، كنا غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث فى عقائدنا"(٢).

---

(١) سورة النجم : آية ٢٨

(٢) تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، انظر تخريج الأحاديث ص: ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

"الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التى تتوقف عليها صحة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولايوجد شىء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التى يمكن الارتياب فى بعضها . وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التى لاتتوقف على أحاديث الآحاد . وماثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلاتتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحاً فى نفسه"(١).

وقال :

"أصول العقائد وقضايا الإيمان التى يكون بها المرء مؤمناً ... لايتوقف شىء منها على أحاديث الآحاد"(٢).

وقال الشيخ محمود شلتوت :

"ومتى لحقت (الظنية) الحديث على أى نحو ... فلايمكن أن نثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً فى وروده وفى دلالته"(٣).

وقال :

"نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لايفيد اليقين ، فلاتثبت به عقيدة ، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضرورى لايصح أن ينازع أحد فى شىء منه ... فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن . ومن هنا يتبين أن ماقلناه فى الفتوى من (أن أحاديث الآحاد لاتفيد عقيدة

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٢٧-٢٨ ، أضواء على السنة المحمدية ص٣٥٠ بتصرف

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٢٩ .

(٣) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ ، ١٠ مايو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ، ص٤٤٣ .

ولايصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات) قول مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التى لامجال للخلاف فيها عند العقلاء"(١).

وقال محمود أبو رية :

"أحاديث الآحاد التى لم يعمل بها جمهور السلف ، هى محل اجتهاد فى أسانيدها ومتونها ودلالتها ، لأن ماصح سنده منها يكون خاصاً بصاحبه - ومن صح عنده شىء منها رواية ودلالة عمل به - ولاتجعل تشريعاً عاماً تلزمه الأمة إلزاماً ، تقليداً لمن أخذ به"(٢).

وقال :

"كان الأستاذ والإمام محمد عبده لايأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت درجته من الصحة فى نظر المحدثين ، إذا ماخالف العقل أو القرآن أو العلم"(٣).

وقال المودودى :

"بما أن الأحاديث ظنية ، والشىء الظنى لايثبت ، ولكن كون الشىء غير ثابت لايعنى أنه لايكون إلا جديراً بالرفض"(٤).

وقال :

"إن رفض المظنونات من حيث الكل أيضاً خطأ مثل تلقيها بالقبول من حيث الكل"(٥).

وقال محمد الغزالى :

"والآحاد يفيد الظن ... وكون أحاديث الآحاد لاتستقل بإنشاء عقيدة ،

---

(١) المرجع السابق ص٤٤٣-٤٤٤ .
وقد تبين عدم صحة هذا الإجماع المزعوم فيما سبق . انظر ص ١٢٥ فما بعدها .

(٢) أضواء على السنة ص٣٥١ .

(٣) المرجع السابق ص٢٥٩ .
وهذا يخالف ماسبق من قول محمد عبده انظر ص: ٦٣٨

(٤) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٥٧ .
نقلاً عن التفهيمات للشيخ المودودى ٣٥٠/١-٣٥١ .

(٥) المرجع السابق ص٥٨ ، نقلاً عن التفهيمات ٣٥١/١ .

هذا أيضاً موجود عندنا لأن العقائد تؤخذ من اليقينيات ، ويساعد حديث الآحاد فى التفسير لما أجمل أو أغمض ، ولكن لإنشاء عقيدة فلا"(١).

وقال :

"إن العقائد أساسها اليقين الخالص الذى لايتحمل أثارة من شك . وعلى أى حال فإن الإسلام تقوم عقائده على المتواتر النقلى والثابت العقلى ، ولاعقيدة لدينا تقوم على خبر واحد ، أو تخمين فكر"(٢).

وقال دكتور محمد عمارة :

"لقد رأيت فى أمريكا كثيراً من المكتبات التى تعرض الكتاب المقدس وخدمته بوسائل مدهشة ، فلماذا لانغير من ذلك ، ونهتم بالمصدر الأول لديننا وتشريعاتنا بدلا من التقاتل حول أحاديث الآحاد وهى لاتفيد كثيراً فى مجال العقائد والتشريعات ؟"(٣).

وقد تجرأ بعضهم فأعلن إخضاع أحاديث الآحاد لحكم عقله صراحة ، وإن كان القوم مجمعين على ذلك خفية ، وهو مايتبين من خلال ماردوه من أحاديث صحيحة .

قال محمود أبو رية :

"لما أنشأت أدرس دينى درس العقل والفكر ، بعد أن تلقيته تلقيناً من نواحى العاطفة والتقليد ، رأيت أن أرجع إلى مصادره الأولى وأسانيده الصحيحة ، ولما وصلت من دراستى إلى كتب الحديث ألفيت فيها من الأحاديث مايبعد أن يكون ـ فى ألفاظه أو معانيه أو أسلوبه ـ من محكم قوله ، وبارع منطقه صلوات الله عليه ، ومما راعنى أنى أجد فى معانى كثير من الأحاديث مالايقبله عقل صريح ، ولايثبته علم صحيح ، ولايؤيده حس ظاهر أو كتاب متواتر"(٤).

---

(١) جريدة المسلمون ، السنة السادسة ، العدد ٢٧٦ ، ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ ١٨-٢٤ مايو ١٩٩٠م ، ص١١ .
(٢) السنة النبوية ص٦٥-٦٦ .
وانظر : الطريق من هنا ص٦٢ ، فقه السيرة ص٤٣ .
(٣) جريدة المسلمون ، العدد السابق ص١١ .
(٤) أضواء على السنة ص٦ .

وقال محمد عمارة :

"إذا وجدت حديثاً منسوباً إلى رواة عدول لاألجم عقلى وأمنعه من النظر بحجة أن السند هو كل شىء ، لأنه لابد أن يكون لعقلى مجال فى المتن ولابد أن أحاكم هذا الذى هو ظنى الثبوت إلى ماهو قطعى الثبوت وهو كتاب الله وحقائق العلم"(١).

وقال :

"نحن نطالب أصحاب هذه الموجة التى جعلت حديث الآحاد هو كل شىء وتركت القرآن وراء ظهرها أن تعود إلى تحكيم العقل والتريث والاهتمام بالقرآن أولاً وهو النص اليقينى ثم بالمتواتر من الحديث كذلك لأنه نص يقينى ، ثم بعد ذلك بحديث الآحاد فى بعض الأعمال وليس فى نطاق التشريعات لأنه ظنى"(٢).

وقال الدكتور جمال الدين محمود :

"أحاديث الآحاد لايحاول أحد أن يحجبها لسبب بسيط هو أن أمور الحياة كلها تقوم على الترابط فيما بينها ، فنحن لانرد حديث الآحاد ولانرد غيره ، ولكن إذا اعترض هذا الحديث بعض الظن بعقل أو قياس قطعى فلايصح أن نتركه"(٣).

إنه منهج أهل الاعتزال لم يحد عنه القوم قيد أنملة ، بل كانوا أشد صلفاً وأبلغ جرأة .

وحديث الآحاد سبق أن تناولته بالبحث والتحقيق ، ومازعمه وقاله هؤلاء لايخرج عما تناولته من قبل بالرد .

---

(١)،(٢) جريدة المسلمون ، العدد السابق ص١١ .

(٣) جريدة المسلمون ، نفس العدد والصفحة .

وملخص ماسبق : أن خبر الآحاد الصحيح حجة فى جميع أبواب الدين لافرق بين عقيدة وغيرها ، وهو فى الحجية كالقرآن والحديث المتواتر تماماً . والذى عليه جماهير العلماء من السلف والخلف أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً بموجبه أفاد العلم ، وعلى ذلك أهل الحديث قاطبة(١).

وهذا عرض لجملة من الأحاديث الصحيحة التى ردها هؤلاء المُحْدَثُون وسلطوا عليها عقولهم باعتبار أنها أحاديث آحاد .

---

(١) انظر ص ١٢٨ فما بعدها.

(١) حديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان[1].

---

(١) انظر : جريدة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣م السنة الحادية عشر ، ص٣٦٥ .
والعدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ٧ يونيه ١٩٤٣م من نفس السنة ، ص٤٤٥ .
والعدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ١٤ يونيه ١٩٤٣م من نفس السنة ، ص٤٤٦ .
مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٢٤٥-٢٤٦ ، والمجلد ٢٨ ، ص٧٥٥،٧٥٦،٧٥٧ .
أضواء على السنة المحمدية ص١٤١ ، السنة النبوية ص١٢٥ .
والحديث سوف يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) أحاديث الدجال والجساسة[1].

---

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٢٤٦ ، والمجلد ١٩ ، ص٩٩ .
أضـواء على السنـة المحمدية ص١٤٠،١٤١ ، مـوقف الجماعة الإسلاميـة مـن الحديث النبوى ص٣٩ ، السنة النبوية ص١٢٢-١٢٥ .
وحديث الجسـاسة المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى فـاطمة بنت قيس . وكانت من المهاجرات الأول قالت : ... سمعـت نداء المنـادى ، منـادى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجـد ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت فى صف النساء التى تلى ظهـور القوم ، فلما قضى رسـول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر وهـو يضحك . فقال : "ليلزم كل إنسان مصلاه" . ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم . قـال "إنى واللـه مـاجمعتكـم لـرغبة ولالرهبة . ولكـن جمعتكـم لأن تميمـاً الـدارى ، كـان رجلاً نصرانياً ، فجـاء فبايع وأسلم . وحدثنى حديثـاً وافـق الذى كنـت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثنى أنه ركـب فى سفينـة بحرية مـع ثلاثين رجلاً مـن لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفـؤا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب السفينة ، فدخلـوا الجزيرة ، فلقيهم دابة أهلب كثير الشعر ، لايدرون ماقبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ماأنت ؟ فقالت أنا الجساسة . قالوا : وماالجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير . فإنه إلى خبركـم بالأشواق . قال : لما سمـت لنا رجلاً فرقنا منهـا أن تكون شيطانة . قال فـانطلقنا سراعاً ، حتى دخلنا الـدير ، فإذا فيه أعظم إنسـان رأيناه قط خلقاً ، وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقـه ، مابين ركبتيه إلى كعبيـه بالحديد . قلنـا : ويلـك مـاأنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى ، فـأخبرونى ماأنتم ؟ قالوا : نحن أناس مـن العـرب ، ركبنـا فى سفينة بحرية ، فصـادفنا البحـر حين اغتلم - هـاج - فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هـذه ، فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر ، لايدرى ماقبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا : ويلك ماأنت ؟ فقالت : أنا الجساسـة . قلنا : وماالجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الـدير ، فـإنه إلى خبركـم بالأشـواق ، فـأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبرونى عن نخل بيسان . قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لاتثمر . =

....

= قـال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية . قلنـا عن أى شأنها تستخبر ؟ قـال : هـل فيها ماء قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .
قال : أخبرونى عن عين زغر . قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنـا لـه : نعـم ، هـى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها .
قـال : أخبرونى عن نبى الأميين مـافعل ؟ قالوا : قد خرج مـن مكة ونزل يثرب .
قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعـم . قـال : كيف صنع بهـم ؟فـأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلـك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإنى مخبركم عنى . إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فـأخرج فـأسير فى الأرض فلاأدع قـرية إلا هبطتهـا فى أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة فهما محرمتان على . كلتاهما . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلنى ملك بيده السيف صلتـا . يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .
قـالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعن بمخصـرته فى المنبر : "هـذه طيبـة . هذه طيبة. هذه طيبة" يعنى المدينـة "ألا هل كنـت حدثتكـم ذلك ؟" فقال النـاس : نعم . "فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافـق الـذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن . لابل مـن قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ، ماهو . من قبـل المشرق ماهو" وأومأ بيـده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
صحيـح مسلم ، كتاب الفتن وأشـراط الساعة (٥٢) ، باب قصـة الجسـاسة (٢٤) ، حديث رقم ٢٩٤٢ ، ٤/٢٢٦١-٢٢٦٤ .
وانظـر أحاديث الـدجال فى صحيـح البخـارى ، كتاب فضائل المدينـة (٢٩)، باب لايدخل الـدجال المدينة (٩) ، ٢/٢٢٢-٢٢٣ ، كتاب بدء الخلـق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السمـاء آمين (٧) ، ٤/٨٤-٨٥ ، كتـاب الأنبيـاء (٦٠) ، باب مـاذكر عن بنى إسـرائيل (٥٠) ، ٤/١٤٣ ، كتـاب الفتن (٩٢) ، باب ذكر الدجال (٢٦) ، ٨/١٠١-١٠٣ ، باب لايدخل الدجال المدينة (٢٧) ، ١/١٠٣ ، كتـاب التـوحيد (٩٧) ، باب قـول اللـه تعـالى {ولتصنـع على عينى} (١٧) ، ٨/١٧١-١٧٢ ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ٨/١٩٢ .
وفى صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب ذكـر الدجال وصفته ومامعه (٢٠) ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليـه (٢١) ، باب فى الدجال =

....

= وهو أهون على الله عز وجل (٢٢) ، باب فى خروج الدجال ومكثه فى الأرض (٢٣) ، باب قصة الجساسة (٢٤) ، باب فى بقية من أحاديث الدجال (٢٥) ، ٤/٢٢٤٧-٢٢٦٧ .

قال القاضى عياض :

"هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدروات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلايقدر على قتل ذلك الرجل ولاغيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة" . شرح النووى على مسلم ١٨/٥٨ .

(٣) حديث موسى عليه السلام وملك الموت[١].

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ ، السنة النبوية ص٢٦-٢٩ .
والحديث سوف يأتي تخريجه والكلام عنه مفصلاً .

(٤) حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام[١].

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص٥٣٦،٥٣٧ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٤،١٤٧،١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٧-٩٨ .

والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مامن بنى آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها" ، ثم يقول أبو هريرة : "وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم" .

صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {واذكر فى الكتاب مريم} (٤٤) ، ١٣٨/٤ .

وانظر : كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة آل عمران ، باب {وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} (٢) ، ١٦٦/٥ .

وانظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٠) ، حديث رقم ٢٣٦٦ ، ١٨٣٨/٤ .

(٥) حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم(١).

---

(١) انظر : تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده ص١٨١-١٨٣ ، مجلة المنار ، المجلد١٢ ، ص٦٩٧ ، المجلد ٢٩ ، ص١٠٤ ، جريدة المسلمون ، السنة السادسة، العدد ٢٧٦ ، ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ ، ١٨-٢٤ مايو ١٩٩٠م ، ص١١ ، أضواء على السنة المحمدية ص٢٥٩ .

والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشىء ومافعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال : "أشعرت ياعائشة أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه" . قلت : وماذاك يارسول الله ؟ قال "جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ثم قال أحدهما لصاحبه : ماوجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودى من بنى زريق . قال : فيما ذا ؟ قال : فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذى أروان" . قال : فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال : "والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين" . قلت يارسول الله أفأخرجته ؟ قال : "لاأما أنا فقد عافانى الله وشفانى وخشيت أن أثور على الناس منه شراً وأمر بها فدفنت" .

صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب السحر (٥٠) ،، ٣٠/٧ .

وفى رواية عنها رضى الله عنها أنها قالت : "مكث النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتى أهله ولايأتى" .

صحيح البخارى ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب قول الله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} (٥٦) ، ٨٨/٧ .

وانظر الحديث أيضا فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب صفة إبليس وجنوده (١١) ٩١/٤ ، كتاب الطب (٧٦) ، باب هل يستخرج السحر (٤٩) ، ٢٩/٧-٣٠ ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب تكرير الدعاء (٥٧) ، ١٦٤/٧ .

صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب السحر (١٧) ، حديث رقم ٢١٨٩ ، ١٧١٩/٤-١٧٢١ .

قال الإمام المازرى رحمه الله :

"مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ، وأضاف مايقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله تعالى فى كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لايمكن فيما لاحقيقة له . =

= وهـذا الحديث أيضـا مصرح بإثبـاته وأنه أشياء دفنت..وهـذا كلـه يبطل ماقالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ... وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكـك فيهـا وأن تجويزه يمنـع الثقـة بالشرع وهذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمتـه فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز مـاقام الدليل بخلافه باطل .

فأما مايتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث بسببها ولاكان مفضلا من أجلها وهو مما يعرض للبشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا مالاحقيقة له وقد قيل إنه إنما كـان يتخيل إليه أنه وطء زوجاته وليـس بواطىء ، وقـد يتخيـل الإنسان مثـل هذا فى المنام فلايبعد تخيلـه فى اليقظة ولاحقيقة له . وقيـل إنه يخيل إليه أنه فعلـه ومـافعله ، ولكـن لايعتقـد صحـة مايتخيله فتكون اعتقـاداته على السـداد" .

قال القاضى عياض :

"وقـد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلـط على جسده وظواهر جوارحه لاعلى عقلـه وقلبه واعتقاده . ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظـن أنه يأتى أهله ولايأتيهن" . ويروى : "يخيل إليه" : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهـن أخذته أخذة السحر فلم يأتهـن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور . وكل ماجاء فى الروايات من أنه يخيـل إليه فعل شىء لم يفعلـه ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لالخلل تطرق إلى العقـل ، وليس فى ذلك مايدخل لبسا على الرسالة ولاطعنا لأهل الضلالة" .

شـرح النـووى على مسلم ١٤/١٧٤-١٧٥ . وانظـر : كتـاب الشفـا بتعـريف حقـوق المصطفى ٢/١٨٠-١٨٣ ، ط/دار الكتب العلمية .

وللدكتور أحمد ناصر الحمد بحث قيم فى موضوع سحر النبى صلى اللـه عليه وسلم ضمنـه كتـابه "كتاب السحر بين الحقيقـة والخيـال". وقـد أجاب فيـه عـن شبهات المعتزلـة وغيرهـم حول مـوضـوع هـذا الحديث . انظر ص١١٢-١٢٦ مـن الكتـاب المذكور .

(٦) حديث شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم وإخراج حظ الشيطان منه(١).

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص٥٣١،٥٣٢،٥٣٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٥-١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى أنس بن مالك أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره" .
كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١
وانظر أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم فى :
صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ٩١/١-٩٣ ، كتاب الحج (٢٥) ، باب ماجاء فى زمزم (٧٦) ، ١٦٧/٢ ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٧/٤-٧٨ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ذكر إدريس عليه السلام (٥) ، ١٠٦/٤-١٠٨ ، كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب المعراج (٤٢) ، ٢٤٨/٤-٢٥٠ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قوله {وكلم الله موسى تكليماً} (٣٧) ، ٢٠٣/٨-٢٠٥ .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١-١٥١ .

(٧) حديث إسلام شيطان النبى صلى الله عليه وسلم(١).

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص١٦٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٤٧-١٤٨ ، السنة النبوية ص٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" . قالوا : وإياك ؟ يارسول الله قال : "وإياى إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير" .
كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب تحريش الشيطان (١٦) ، حديث رقم ٢٨١٤ ، ٢١٦٧/٤-٢١٦٨ .
وروى نحوه من حديث عائشة رضى الله عنها برقم ٢٨١٥ ، من نفس الكتاب والباب والجزء ص٢١٦٨ .
قال النووى رحمه الله :
""فأسلم" : برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته . ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام ، وصار مؤمناً لايأمرنى إلا بخير . واختلفوا فى الأرجح منهما . فقال الخطابى : الصحيح المختار الرفع . ورجح القاضى عياض الفتح . وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم : "فلا يأمرنى إلا بخير" .
واختلفوا على رواية الفتح : قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم ، فاستسلم . وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهذا هو الظاهر . قال القاضى عياض : "واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه" .
وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان" .
شرح النووى على مسلم ١٥٨/١٧ .

(٨) حديث المعراج(١).

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٢٣-١٢٤ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء ..." الحديث .
وقد ذكر حديث المعراج الطويل . وفيه التقى النبى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ، وفرضت عليه الصلاة ، وبلغ سدرة المنتهى ، وأدخله الله الجنة .
كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة(١)، ١/٩١-٩٣ .
وقد سبق ذكر مواضع أحاديث المعراج فى الصحيحين . انظر ص ٦٥٣
قال الطحاوى رحمه الله :
"والمعراج حق ، وقد أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ماأوحى ، {ماكذب الفؤاد مارأى} فصلى الله عليه وسلم فى الآخرة والأولى" .
متن العقيدة الطحاوية ص١٠-١١ ، والآية : ١١ من سورة النجم .
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٣-٢٢٦ .

(٩) حديث وقوع الذباب فى الإناء[١].

---

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧-٩٩ ، المجلد ٢٩ ، ص٤٨-٥١ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٩٩-٢٠١ .
وسوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه مفصلاً .

(١٠) حديث : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة(١).

---

(١) انظر : السنة النبوية ص١٤٥-١٤٦،١٥٩ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقى أو سعيد ، فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها" .
كتاب القدر (٨٢) ، باب(١) ، ٢١٠/٧ .
وانظر : كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٨/٤-٧٩ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب خلق آدم وذريته (١) ، ١٠٣/٤-١٠٤ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨/٨
صحيح مسلم ، كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٤٣ ، ٢٠٣٦/٤ .
وروى مسلم بسنده إلى سهل بن سعد الساعدى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة" .
كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٥١ ، ٢٠٤٢/٤ وهو جزء من حديث له قصة أورده فى كتاب الإيمان (١)، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) ، ورقمه ١١٢ ، ١٠٦/١ .
وانظر : صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب لايقول فلان شهيد (٧٧) ، ٢٢٦/٣ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الأعمال بالخواتيم (٣٣) ، ١٨٧/٧-١٨٨ ، كتاب القدر (٨٢) ، باب الأعمال بالخواتيم (٥)، ٢١٢/٧-٢١٣ .
والحديث دال على إثبات قدر الله السابق . وقد سبق بيان ذلك مفصلاً .

(١١) حديث : تحاجت الجنة والنار[١].

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : "تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها . فأما النار فلاتمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ولايظلم الله عز وجل من خلقه أحداً . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً" .
كتاب التفسير (٦٥) ، سورة ق (٥٠) ، باب قوله : {وتقول هل من مزيد} (١)، ٤٨/٦ .
وانظر : كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {إن رحمة الله قريب من المحسنين} (٢٥) ، ١٨٦/٨ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء(١٣) ، حديث رقم ٢٨٤٦،٢٨٤٧ ، ٢١٨٦/٤-٢١٨٧ .
هذا حديث على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل فى الجنة والنار تميزاً تدركان به . انظر : شرح النووى على مسلم ١٨١/١٧ .
أى أن المحاجاة بينهم بلسان المقال لالسان الحال ، وماتقولاه حقيقة ، وأن الله جعل لهما شعوراً ، وتمييزاً ، وعقلاً ، ونطقاً ، والله لايعجزه شىء . وذلك كتسبيح المخلوقات فى قوله تعالى : {تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً} . سورة الإسراء : آية ٤٤ .
انظر : شرح كتاب التوحيد ص١٩٠،١٩١ .
والحديث من أحاديث الصفات لأن فيه إثبات صفة الرجل لله تعالى كما يليق به من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل .

هـذه بعض الأحاديث الصحيحـة الثابتة عن النبى صلى اللـه عليه وسلم والتى ردهـا أولئـك القـوم بعقـولهم وطعنـوا فيها بحجـة إنهـا أحاديث آحاد مفادها الظن فلاتبنى على مثلها العقائد الثابتة .

ولكـى يتضـح لنا منهج هذه المدرسـة فى معاملتها للنصـوص الثـابتة ، وإقحـامها عقولها القاصرة عن فهم النصوص الثابتة ، وجعلهـا حكماً عليها ، وسيرهـم على نهج أهـل الاعتزال فى رد أحاديث الآحاد الصحيحـة . أمثـل بثلاثة أحاديث ممـا سبـق ، مـع إيراد شبههـم حولهـا ودحض تلـك الشبـه وكشفها ، لتكون نماذج لبقية ماذكر من أحاديث .

الحديث الأول :
حديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

قال الشيخ المراغى :

"هذه الأحاديث - أى أحاديث نزول عيسى - لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لاتجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر" .

ثم قال : "وعلى ذلك فلايجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لايعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية"(١).

وذكر الأستاذ محمد عبده للحديث تخريجين ، فقال :

"أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها إلا بالقطع لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ماغلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وماشرعت لأجله ، فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب ، أى ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبراً عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقاً لروحها ذاهباً بحكمتها كان لابد لهم من إصلاح عيسوى يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقى وكل ذلك مطوى فى القرآن الذى حجبوا عنه بالتقليد الذى هو آفة الحق وعدو الدين فى كل زمان .

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ١٤ يونيو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ، ص٤٦٦ .

فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر"(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

" ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء .. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثها فى المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها فى التفسير وهب بن منبه ، الركن الثانى بعد كعب الأحبار(٢) لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات ... والأحاديث الواردة فى نزوله عليه السلام كثيرة فى الصحيحين والسنن وغيرها ، وأكثرها واردة فى أشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال . وفى تلك الأشراط ولاسيما أحاديث الدجال والمهدى اضطراب واختلاف وتعارض كثير " .

ثم قال :

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٠، ص ٢٤٥- ٢٤٦ .

(٢) وكعب الأحبار : هو ابن ماتع الحميرى ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام .
قال الذهبى فى الكاشف : " أسلم زمن الصديق وسمع عمر ، سكن الشام وعنه أبو هريرة وابن المسيب ، مات أيام عثمان " . وقال فى السير : " وكان حسن الإسلام ، متين الديانة ، من نبلاء العلماء " .
انظر : الجرح والتعديل ٧/١٦١، الكاشف ٣/٩، سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٩-٤٩٤، تقريب التهذيب ٢/١٣٥ .

"والخلاصة إنه لايجب على مسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها لأنها ليست من أركان الإيمان ولامن أركان الإسلام ... ولايضره فى إيمانه وإسلامه الاشتباه فى صحتها وعدم القطع برواياتها ودلالتها على ماقال الجمهور"(١).

وقال الشيخ محمود شلتوت :

"إن حياة عيسى ورفعه بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعى يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها"(٢).

وقال :

"ولعل أحقر مارأينا من أسباب الإسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم فى سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى التى لايمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه ، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعانى ... وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لارغبة فى علم ولاغيرة على حق ، ولكن مكابرة وعناداً ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون ... إن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذى لايحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها"(٣).

● لقد دلت الآيات على أن عيسى عليه السلام رفع من الأرض إلى السماء كقوله تعالى : {بل رفعه الله إليه}(٤) وأن اليهود عليهم لعائن الله لم

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٨ ، ص٧٥٥،٧٥٦،٧٥٧ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ص٣٦٥ .

(٣) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ٧ يونيو ١٩٤٣م ، السنة الحادية عشرة ، ص٤٤٥ .

(٤) سورة النساء : آية ١٥٨

يتمكنوا من قتله ولاصلبه كما اعتقد ذلك النصارى ، وأنه رفع عليه السلام بروحه وجسده وأنه حى عند الله تعالى ، وذلك مقتضى الأدلة ، وسوف ينزل بمشيئة الله عز وجل فى آخر الزمان ، دلالة وعلامة على قرب قيام الساعة كما قال سبحانه : {وإنه لعلم للساعة فلاتمرن بها}(١).فينزل حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لاناسخاً لها ، فلاينزل برسالة مستقلة ، وإنما حاكم من حكام هذه الأمة(٢)فيكسر الصليب إبطالاً لما يزعمه النصارى من تعظيمه ، ويضع الجزية فلايقبل من الكفار إلا الإسلام ، ويفيض المال ويكثر وتنزل البركات والخيرات بسبب العدل وعدم التظالم(٣).

روى البخارى(٤)ومسلم(٥)من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لايقبله أحد" .

ويمكن أن نجمل ماأثاره المُحْدَثُون من شبه حول نزوله عليه السلام فى النقاط التالية :

(١) ليس فى القرآن نص صريح فى رفعه إلى السماء بروحه وجسده ليحيا حياة دنيوية يحتاج معها إلى غذاء .

(٢) ليس فيه نص صريح على نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦١

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص١٨٨ ، شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢ ، فتح البارى ٤٩١/٦ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢،١٩١ .

(٤) انظر : كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام(٤٩) ، ١٤٣/٤ .

(٥) كتاب الإيمان (١) ، باب نزول عيسى بن مريم (٧١) ، حديث رقم ١٥٥ ، ١٣٥/١

(٣) أحاديثه لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منهاعقيدة بنزوله، بل هى أحاديث آحاد مضطربة فى متونها ، منكرة فى معانيها ، فى معظمها يشتد ضعف الرواة ، وليست بمحكمة الدلالة ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً .

(٤) لايجب على المسلم أن يعتقد أنه حى بروحه وجسده ومن خالف لايعد كافراً .

ويجاب على ذلك :

(١) لقد جاءت آيات فى كتاب الله عز وجل تدل على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وقد بين العلماء أنه رفع بروحه وجسده .

الآية الأولى :

قوله تعالى : {إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى}(١).

وقد لخص الشيخ محمد خليل هراس آراء المفسرين فى بيان معنى هذه الآية فقال :

"١ ـ رأى الجمهور الذى اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن وهو الرأى الذى يفسر التوفى بالإنامة .

٢ ـ رأى قتادة وهو أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير "إنى رافعك ومتوفيك" أى بعد النزول .

٣ ـ رأى ابن جرير فى أن المراد بالتوفى هو نفس الرفع . والمعنى أنى قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك . وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد(٢).

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد ، شهاب الدين ، أبو العباس . فاضل دمشقى ، من علماء الحنابلة ، عارفاً بالفقه والعربية . مات سنة ٨٧٠هـ .
من آثاره : "محاسن المساعى فى مناقب أبى عمر الأوزاعى" ، "تحفة السارى إلى زيارة تميم الدارى" ، "ديوان خطب" ، "اختصار سيرة ابن هشام" وغير ذلك .
الضوء اللامع ٧١/٢-٧٢ ، الأعلام ٢٣٠/١ .

وهو الذى حكاه ابن كثير عن مطر الوراق (١) .

وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض ، فأصحها الأول وهو قول الجمهور ، ويليه قول قتادة ، ويليه قول ابن جرير " (٢) .

وكلمة " الوفاة " كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً ، لأن معناها فى اللغة من استيفاء الحق وافياً أى كاملاً لانقص فيه . ولذا قال صاحب القاموس :

" أوفى فلاناً حقه : أعطاه وافياً ، كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه " (٣) .

وقد جاءت فى القرآن الكريم بمعنى النوم فى قوله تعالى : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) (٤) .

كما جاءت على المعنيين فى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥) .

فالمراد بالوفاة فى الآية النوم وليس الموت .

---

(١) هو مطر بن طهمان الوراق ، أبو رجاء ، السلمى مولاهم ، الخراسانى ، سكن البصرة ، صدوق كثير الخطأ ، وحديثه عن عطاء ضعيف . روى عن شهر والحسن، وعنه الحمادان وهمام . مات سنة ١٢٥هـ ، ويقال ١٢٩هـ ., انظر : الجرح والتعديل ٨/٢٨٧، الكاشف ٣/١٤٩، تقريب التهذيب ٢/٢٥٢ .
(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٦ .
(٣) القاموس المحيط ص ١٧٣١ .
(٤) سورة الأنعام : آية ٦٠ .
(٥) سورة الزمر : آية ٤٢ .

وانظر : تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٦، مشكلات الأحاديث ص ١٧٥ .

قال ابن كثير رحمه الله :

"فأخبر تعالى أنه رفعه - أى عيسى عليه السلام - بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة فى ذلك الزمان"(١).

الآية الثانية :

قوله تعالى : {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً.بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً}(٢).

قال الهراس رحمه الله :

"فالآية صريحة فى أنه رفعه حياً لأنه ذكر الرفع وأثبته مكان الذى نفاه من القتل والصلب . ولو كان عيسى عليه السلام قد مات فى الأرض ودفن وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته كما يزعم المنكرون لما حسن ذكر الرفع فى مقابل نفى القتل والصلب ، لأن الذى يناسب نفى القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لاموته ، وإلا لقال وماقتلوه وماصلبوه بل الله هو الذى أماته .

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى {بل رفعه الله إليه} هو رفع روحه ، وهو إنما ذكر لإبطال مازعموه من قتله وصلبه ، ورفع الروح لايبطل القتل والصلب بل يجامعهما ، فإنهم لو قتلوه فرضاً لرفعت روحه إلى الله ، على أن فى إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه مايشعر باختصاصه بذلك ، والذى يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه ، لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لافرق بين عيسى وغيره فلاتظهر فيه الخصوصية"(٣).

---

(١) البداية والنهاية ٩١/٢ .

(٢) سورة النساء : آية ١٥٧، ١٥٨

(٣) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧، ١٦٨ .

وحياته عليه السلام ليست كحياة من على الأرض يحتاج إلى الطعام والشراب ويخضع للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء ، وإنما حياته حياة خاصة عند الله عز وجل لايشعر بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما(١).

(٢) وقد جاءت آيات أيضاً تدل على نزوله إلى الأرض فى آخر الزمان . من ذلك :

(أ) قال تعالى :

{ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين}(٢)

وقوله تعالى : {تكلم الناس فى المهد وكهلاً}(٣).

نقل الشيخ الهراس عن ابن جرير؛ أن عيسى عليه السلام كلم الناس فى المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل(٤). ثم قال :

"وهذا الذى نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير كلهم يفسرون الآية به ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى عليه السلام . وهذا هو الحق الذى لامرية فيه ، فإن قوله سبحانه (وكهلاً) معطوف على متعلق الظرف قبله داخل معه فى حكمه ، والتقدير : ويكلم الناس طفلاً فى المهد ويكلمهم كهلاً ، فإذا كان كلامه فى حال الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلابد أن المعطوف عليه وهو كلامه فى حال الكهولة كذلك ، وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد فلايحسن الإخبار به لاسيما فى مقام البشارة، بل لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً ، بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل ثم ينزل فيبقى فى الأرض إلى أن يكتهل ويكلم الناس كهلاً ، وقد ذهب جمهور المحدثين والمؤرخين إلى أنه عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سيمكث فى الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء فى الحديث

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٨١،١٨٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٦

(٣) سورة المائدة : آية ١١٠

(٤) جامع البيان ٣/٢٧٣ .

الصحيح"(١).

(ب) قال الله تعالى :

{وإنه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم}(٢).

الصحيح أن الضمير فى قوله "وإنه" يعود على عيسى عليه السلام ، أى أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينزل قبيل قيامها(٣).

والذى يدل على ذلك أن سياق الآيات فى ذكره ، وصرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره بغير حجة غير جائز ، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنه لَعَلَم للساعة) أى أمارة ودليل على وقوع الساعة(٤).

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٧٠ .
والحديث المشار إليه رواه أبو داود بسنده إلى أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "ليس بينى وبينه نبى - يعنى عيسى - وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون" .
كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، برقم ٤٣٢٤ ، ٤/١١٧-١١٨ .
وأخرج أحمد فى المسند نحوه بزيادة يسيرة . ٢/٤٠٦،٤٣٧ ولم يذكر عدد السنين .
وأخرج الحاكم فى المستدرك نحوه بزيادة يسيرة ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢/٥٩٥ .
وأخرج ابن حبان نحوه وفيه الزيادة السابقة ، فى كتاب التاريخ (٦٠) ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون فى أمته من الفتن (١٠) ، ذكر البيان بأن عيسى ابن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام ، برقم ٦٨٢١ ، ١٥/٢٣٣-٢٣٤ الإحسان .
وأخرج نحوه عبد الرزاق فى مصنفه ، وليس فيه ذكر "الأربعين سنة" ، باب نزول عيسى ابن مريم ، ورقمه ٢٠٨٤٥ ، ١١/٤٠١-٤٠٢ .
وذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح ٦/٤٩٣ ، والشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٢١٤، أن إسناده صحيح . وزاد الثانى :"أنه على شرط مسلم".
وقال فى صحيح سنن أبى داود ٣/٨١٦ : "صحيح" .

(٢) سورة الزخرف : آية ٦١

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٢ .

(ج) قال تعالى :

{وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً}(١).

قوله : "قبل موته" :

ذكر العلماء فيها وجهين فى عود الضمير :

الأول : قبل موت عيسى عليه السلام .

الثانى : قبل موت الكتابى .

قال ابن جرير :

"وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"(٢).

وقال ابن كثير :

"ولاشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية فى تقرير بطلان ماادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة لذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لايتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حى وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعنى لايقبلها من أحد من أهل الأديان بل لايقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولايتخلف عن التصديق به واحد منهم"(٣).

قال عبد الله الغمارى :

---

(١) سورة النساء : آية ١٥٩

(٢) جامع البيان ٢١/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٧٧/١ .

وانظر : البداية والنهاية ٩٢/٢ ، مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٨،٢٧/١٥ فى الهامش ، مشكلات الأحاديث ص١٧٠،١٧١ .

"إن احتمال عود الضمير فى (موته) على الكتابى ضعيف واحتمال عوده فى (به) على غير عيسى باطل ، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لاتنهض للحجية ولاتقوى للاستمساك ، فتكون الآية الكريمة نصاً فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ماذكر . واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى ، وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى نصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول"(١).

وقد روى الإمام أحمد بسنده من حديث أبى هريرة مايؤيد هذا التفسير . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطى المال حتى لايقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء(٢)، فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما ، قال - القائل حنظلة(٣)- : وتلا أبو هريرة {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} . فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موته : عيسى فلاأدرى . هذا كله حديث النبى صلى الله عليه وسلم أو شىء قاله أبو هريرة ؟"(٤).

(٣) وأما أحاديث نزوله عليه السلام فقد نص العلماء على تواترها(٥).

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٦٩ .

(٢) الروحاء : قرية جامعة على بعد أحد وأربعين ميلاً من المدينة .
معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ٦٨١/١ ، وانظر : معجم البلدان ٧٦/٣ .

(٣) هو حنظلة بن على الأسقع الأسلمى المدنى . روى عن أبى هريرة وخفاف، وعنه الزهرى وأبو الزناد . ثقة .
انظر : الكاشف ٢٦١/١ ، تهذيب التهذيب ٦٢/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٦/١ .

(٤) مسند أحمد ٢٩٠/٢-٢٩١ .
قال أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" .
مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٧/١٥ فى الهامش .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٢،٥٧٧/١ ، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٣٣١،٣٣٠/١ ، مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش ، ٢٨/١٥ الهامش .

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره الأحاديث الدالة على نزوله . قال :
"فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبى هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبى العاص وأبى أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن حارثة وأبى شريحة وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم ، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح ... وهذا إخبار من النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك فى ذلك الزمان"(١).

وقال عبد الله الغمارى بعد أن استوعب كل ماورد من أحاديث وآثار ، وذكرها بطرقها وأسانيدها :
"فهذه ستون حديثاً يرويها عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون صحابياً وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحاً لايحتمل تأويلاً ولاروغاناً"(٢).

فأحاديث نزوله عليه السلام ثابتة بالتواتر المعنوى ، ولو كانت آحاداً لوجب علينا التسليم لها والإيمان بمضمونها متى ثبتت صحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك .

وأما زعم شلتوت بأنها أحاديث مضطربة فى متونها منكرة فى معانيها ، أجاب عن ذلك عبد الله الغمارى فى رده عليه فقال :
"وهذا غير صحيح فإن تلك الأحاديث أو الروايات - على حد تعبيره - كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير ، ويكسر الصليب ...الخ ماجاء فيها ، غاية مافى الأمر أن بعضاً منها يفصل ، وآخر يجمل ، وبعضاً يوجز وآخر يطنب ، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة فى سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث لايمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التى ذكرت فيها ، فلعل صاحب

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٨٢/١-٥٨٣ .
(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٧٧-١٧٨ .

الفتـوى ظـن مثل هذا التخـالف الذى يقوى شأن الحديث ويدل على تعـدد مخارجه تعـارضاً فأخطأ ، وأضعـف خطأه حيث ادعى أنه لامجال معـه للجمع بينهـا . وذلـك أنه على فـرض وجود تعـارض فالجمع ممكـن لـو أمعن فكره وأمضـى نظره وأخلص فى بحثه ، لكنه أرسل قوله بتعـذر الجمع دعوى تتعثر فى أذيال الخجل"(١).

والـزعم بأنها ليست محكمة الدلالة ولذا أولها العلمـاء قديماً وحديثاً ، زعم لاأساس له من الصحة .

ودعوة باطلة، ليس لها مايسندها ، كيف وقد نصـت الأحاديث صراحة على نزولـه عليـه السلام ، ولم يأت مـايعارض ذلـك تصـريحاً أو تلميحـاً ، وأجمعت الأمة على مادلت عليه .

وتأويل مـن أولهـا إنما هـو تحريف وتبـديل ورد للنصـوص الثابتة الصريحة ولاحجة فى قوله .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"وقـد لعب المجددون ، أو المجردون فى عصرنا الـذى نحيا فيه ، بهذه الأحاديث الـدالة صـراحة على نزول عيسـى ابن مريم عليـه السلام فى آخر الـزمان ، قبـل انقضـاء الحيـاة الـدنيا بالتـأويل المنطـوى على الإنكـار تارة ، وبالإنكـار الصريح أخرى ! ذلك أنهم - فى حقيقة أمرهـم - لايؤمنون بالغيب أو لايكـادون يؤمنـون . وهـى أحاديث متـواترة المعنى فى مجمـوعها ، يعلم مضمـون مـافيها من الدين بالضـرورة ، فلايجديهم الإنكـار ولاالتـأويل"(٢).

(٤) لاشك أن النصوص من القرآن والسنة دلت على رفعه إلى السماء وأنه حى بروحه وجسـده وأنه سينزل فى آخر الـزمان ، وانعقـد الإجمـاع على ذلك فوجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليـه تلك النصوص وأن يجمع قلبه على إعتقاد ماجاء فيها ، ومن المعلـوم أن إنكار ماثبت من الدين بالضرورة يعد كفراً .

---

(١) مشكلات الأحاديث ص١٧٨ .

(٢) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش .

قال الشيخ الشنقيطى :

"يجب شرعاً إعتقاد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لازال حياً إلى الآن وأنه لابد أن ينزل فى آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام ومجاهداً فى سبيل الله تعالى كما تواتر عن الصادق المصدوق ، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر فى كتابه العزيز ... {وماقتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه}(١). وقد وردت الأحاديث المتواترة كما سبق ... ولم يصح حديث بموته تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله فى آخر الزمان ، وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل وبين النبى صلى الله عليه وسلم لنا أنه سينزل فى آخر الزمان وفصل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال ، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم ، ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة ، لأنه مما علم من الدين ضرورة بلانزاع ، وكل إيراد عليه من الملاحدة والجهلة باطل لاينبغى لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه"(٢)

وقال عبد الله الغمارى فى رده على شلتوت :

"وبعد فإنى أرى أن كل من يمارى فى هذا الأمر بعد هذا البيان فإنه مبتدع ضال إن لم يكن كافراً والعياذ بالله ، فالواجب أن يهجر ويجتنب ، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف ، بل هى مسألة إجماع أجمعت عليه الأمة وتواترت به النصوص ، كما أنها من جنس الأخبار التى لامجال فيها للرأى والاجتهاد"(٣).

---

(١) سورةالنساء : آية ١٥٧،١٥٨

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٣٣١/١-٣٣٢ .

(٣) مشكلات الأحاديث ص١٨٢ .

الحديث الثانى :

حديث موسى عليه السلام وملك الموت .

عد محمود أبو رية حديث موسى وملك الموت من الأحاديث المشكلة ، وزعم أن رائحة الإسرائيلية تفوح منه(١).

وقال الشيخ محمد الغزالى :

"وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالباً سألنى : أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه ، بعدمااستوفى أجله ؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر : وماذا يفيدك هذا الحديث ؟ إنه لايتصل بعقيدة ، ولايرتبط به عمل ! والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى(٢)، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها ! اشتغل بما هو أجدى !

قال الطالب : أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا ؟

فقلت له متبرماً : الحديث مروى عن أبى هريرة ، وقد جادل البعض فى صحته .

وعدت لنفسى أفكر : إن الحديث صحيح السند ، لكن متنه يثير الريبة . إذ يفيد أن موسى يكره الموت ، ولايحب لقاء الله بعدما انتهى أجله ، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى الصالحين من عباد الله كما جاء فى الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"(٣). فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولى العزم ؟ إن كراهيته للموت بعد ماجاء ملكه أمر مستغرب ! ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر من عمى أو عور ؟ ذاك بعيد .

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٨ .

(٢) الرحى : وتكتب بالمد . قال ابن الأثير : "يقال دارت رحا الحرب إذا قامت على ساقها . وأصل الرحا التى يطحن بها" .
النهاية فى غريب الحديث ٢١١/٢ . وانظر القاموس المحيط ص١٦٦٠ .

(٣) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

قلت : لعل متن الحديث معلول ، وأياً ماكان الأمر فليس لدى مايدفعنى إلى إطالة الفكر فيه .

فلما رجعت إلى الحديث فى أحد مصادره ساءنى أن الشارح جعل رد الحديث إلحاداً ! وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزدها إلاقوة"(١).

ثم ذكر قول المازرى(٢)رحمه الله فى بيان الحديث وتوجيهه ثم قال:

"نحن نقول : هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لايساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين . والحق : أن فى متنه علة(٣)قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة .

ورفضه أو قبوله خلاف فكرى ، وليس خلافاً عقائدياً . والعلة فى المتن يبصرها المحققون ، وتخفى على أصحاب الفكر السطحى ، وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة"(٤).

- روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : "أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام . فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت . قال فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه . فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل

---

(١) السنة النبوية ص٢٦-٢٧ .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى أبو عبد الله من فقهاء المالكية ، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية. كان محدثاً ، فقيهاً ، أصولياً ، أديباً ، وله دراية بالطب .
من آثاره : "المعلم بفوائد شرح مسلم" ، "شرح كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكى" ، "الكشف والأنباء" ، "إيضاح المحصول فى برهان الأصول" . توفى عام ٥٣٦هـ .
انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٦١٥/١ ، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٠-١٠٦ ، معجم المؤلفين ٣٢/١١ ، الأعلام ٢٧٧/٦ .

(٣) العلة فى الحديث : سبب غامض خفى . قادح فى الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه . الباعث الحثيث ص٦٢ .

(٤) السنة النبوية ص٢٩ .

شعـرة سنة . قال : أى رب ثم مه ؟ قال : ثم الموت . قـال : فالآن . فسأل اللـه أن يدنيه من الأرض المقـدسة رمية بحجر . فقال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : "فلو كنت ثم ، لأريتكم قبره إلى جانب الطـريق ، تحت الكثيب الأحمر"(١).

هذا حديث صحيح حكم أهل الحديث بصحته ، وقد حمله أهل السنة على ظـاهره ، وأن موسى عليـه السلام فقأ عين ملك الموت المتمثـل فى تلك الصورة حقيقة ، وقد فعل ذلك بإذن من الله تعالى(٢).

---

(١) الحديث أخرجه البخـارى فى صحيحه بلفظ مقارب موقوفاً على أبى هـريرة . كتاب الجنـائز (٢٣) ، باب مـن أحب الـدفن فى الأرض المقـدسـة (٦٩) ، ٢/٩٢-٩٣ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب وفاة موسى (٣١) ، ٤/١٣٠-١٣١ . ثم قـال : "وأخبرنا معمـر عـن همام قال حدثنا أبو هـريرة رضى الله عنه عن النبى صلى اللـه عليـه وسلم نحوه" .
وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له موقوفاً على أبى هريرة برقم ٢٣٧٢ ، وأخرج نحوه مـرفوعاً إلى النبى صلى اللـه عليـه وسلم من طريق معمـر عـن همـام عن أبى هريرة.
كتـاب الفضـائل (٤٣) ، باب مـن فضـائل مـوسى صلى اللـه عليـه وسلم (٤٢) ، ٤/١٨٤٢-١٨٤٣ .
وأخرجه النسائى فى سننه بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة. كتـاب الجنائز ، باب نوع آخر من التعزية ٤/٩٦ .
وأخرج أحمـد فى مسنده نحوه مـن حديث أبى هريرة موقـوفاً عليه ٢/٢٦٩،٣٥١ . ومرفوعاً من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ٢/٣١٥،٥٣٣ .
وأخرج نحوه ابن حبـان فى صحيحـه مـن طريق عبد الرزاق عـن معمـر عـن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٦٢٢٣ . كتاب التاريخ (٦٠) ، باب بدء الخلق (١) ، ١٤/١١٢-١١٣ . الإحسان .
وأخرج نحوه عبـد الـرزاق فى مصنفـه من طريق معمر عـن ابن طـاوس ـ الطريق السابق عند ابن حبان ـ مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٢٠٥٣٠ ثم قال قال معمر : وأخبرنا همام عن أبى هريرة مثله برقم ٢٠٥٣١ . وأشار إلى رواية عن الحسن مرسلة برقم ٢٠٥٣٢ ، باب موسى وملك الموت ١١/٢٧٤-٢٧٥ .
وأخرج ابن قتيبـة نحوه من حديث عمـار بن أبى عمار عـن أبى هـريرة مرفوعاً . تأويل مختلف الحديث ص٢٧٦ .

(٢) انظر : الحجة فى بيان المحجة ٢/٤٠٨ .

وهذا خبر إنما يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .

فإن الله أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام رسالة ابتلاء واختبار ، وهو سبحانه لايريد إمضاء ماأمر به ، كما أمر إبراهيم عليه السلام من قبل بذبح ابنه أمر ابتلاء واختبار . وقد جاءه الملك فى صورة لايعرفه عليها ، وكان موسى عليه السلام غيوراً ، وقد رأى رجلاً فى داره لايعرفه ، فلطمه ففقأ عينه .

ومن المعلوم فى شرعنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته من غير أمره ، لاحرج عليه . فما فعله موسى كان مباحاً له لاحرج عليه فى فعله ، لأن ذلك مما يجوز اتفاق الشرائع فيه .

فرجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما فعل موسى عليه السلام فأمره أمر ابتلاء واختبار آخر لموسى عليه السلام ، بأن يضع يده على متن ثور ، وله بما غطت يده من شعره بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ، وأنه جاء بأمر من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن .

فلو علمه موسى عليه السلام فى المرة الأولى لما فعل معه مافعل .

هذا ماذهب إليه أصحاب الحديث خلافاً لمن زعم أنهم حمالة الحطب ، ورعاة الليل ، يجمعون مالاينتفعون به ، ويروون مالايؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعانى الأخبار ، وترك التفقه فى الآثار ، معتمداً منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس(١).

قال النووى رحمه الله :

"قال المازرى : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره ، قالوا : كيف يجوز على موسى فقوء عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة :

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ١٤/١١٤-١١٦ بتصرف .

أحدها : أنه لايمتنع أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد أذن الله تعالى له فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ماشاء ويمتحنهم بما أراد .

والثانى : أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ، ويقال فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ،ويقال عورت الشىء إذا أدخلت فيه نقصاً ، قال : وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم "فرد الله عينه" فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً .

والثالث : أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لاأنه قصدها بالفقء ، وتؤيده رواية صكه . وهذا جواب الإمام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض ، قالوا : وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه . فإن قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت . فالجواب : أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى"(١).

وبعد هذا يمكن أن نجمل ماأثاره محمود أبو رية ومحمد الغزالى من شبهات حول الحديث فى النقاط التالية :

(١) إنه مروى عن أبى هريرة (وقد جادل البعض فى صحته) ، (فلعل متنه معلول) ، (إن فى متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة) . والعلة فى المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى.

(٢) إنه مشكل وتفوح منه رائحة الإسرائيليات .

(٣) إنه لايفيد شيئاً فهو لايتصل بعقيدة ولايرتبط به عمل . والاشتغال بغيره أجدى . ورفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً عقائدياً .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٥/١٢٩-١٣٠ . وانظر: المعلم بفوائد مسلم : ٣/١٣٢-١٣٣

(٤) متنه يثير الريبة لأنه يفيد أن موسى يكره الموت ، ولايحب لقاء الله ، وهذا معنى مرفوض عند الأنبياء والصالحين لما جاء فى الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" .

(٥) الملائكة لاتعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر من عمى وعور .

(٦) من جعل إنكار الحديث إلحاداً فهو يستطيل فى أعراض المسلمين ، ومن دافع عنه فدفاعه كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لايساغ .

ويجاب على ذلك بالآتى :

(١) أولاً : هذا حديث صحيح تلقاه علماء الحديث بالقبول والتسليم لأنه ورد إليهم عن طريق الثقات الأثبات المأمونين ، ولذا أوردوه فى دواوين الإسلام من صحاح وسنن وجوامع مسلمين بصحته معتقدين بمضمونه (١).

وقد رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، والنسائى فى سننه ، والإمام أحمد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، وعبد الرزاق فى مصنفه ، وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث وغيرهم (٢).

وقد تصدى جمع من علماء الإسلام والأئمة الأعلام للرد على من طعن فيه بالتكذيب ، ودحضوا شبهاتهم وكشفوا عوارهم فلم يبق لدعى حجة بوجه (٣).

ثانياً : لم يبين الغزالى من هؤلاء الذين جادلوا فى صحته ، ولعله يعنى من وصفهم المازرى بالملحدين ؟

فهؤلاء لاحجة فى قولهم ، ولو أجمعوا على ذلك ، كيف وهم ملحدون ، ومن العار بل من الضلال أن يكون سلف الغزالى فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها هؤلاء .

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٧ .
(٢) انظر تخريج الحديث السابق .
(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٧ .

ثالثاً : ماهى العلة القادحة التى ادعاها الغزالى فى متن هـذا الحديث ؟ ومـن سبقـه عليهـا مـن علمـاء الإسلام الـذين يؤخذ بقـولهم ويعتمـد على تصحيحهم وتضعيفهم ؟

ولعلـه يعنى فقهاء الإسلام الذين كثيراً مايتبجح بهـم ، فمن منهم أعل هذا الحديث ، وقدح فى متنه ؟

إنهـا مـزاعم تلقـى على عـواهنها لاسنـد لها ولامـؤيد مـن أهـل الحق وحملـة الشـريعة ، ولاتجد رواجاً إلا عنـد كليلى البصـائر ومعتلى العقـول .

وقـد تناقض الغزالى فى إصدار حكمه على هذا الحديث ، فتردد أولاً فى الحكـم بصحتـه ، ثم ذكر قولاً محتملاً فقـال : "فلعل متنـه معلـول" ثم جزم أخيرا بأن فيه علة قادحة(١). وعلة ذلك أن الأمر عنده خاضع للذوق وليس أمراً علمياً يخضع للقواعد والأصول .

والغـزالى رجل له جهوده فى جانب الفكر ، ولكن لايحق لـه أن يقحم نفسـه فى مجال لاقدرة له على اقتحامه ، ويواجه معركـة حامية وهو مجرد عن السلاح ، وهـو ماعلمته قليـل البضاعة فى الحديث والفقــه أيضـاً ، وأصدق شاهد على ذلك كتبه ، والحديث والفقه لهما رجال يعرفون بهما .

وفـن علل الحديث فن غامـض عميق الجذور لايتصــدى له إلا جهابذة علماء الحديث ، ولايقتحم لجته إلا المتضلعون فى علم الحديث رواية ودراية .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"اعلم أن معـرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقهـا وأشرفها وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب وهى عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه"(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله :

"وهو فن خفى على كثير من علماء الحديث ، حتى قـال بعض حفاظهم معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل .

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٣ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص١١٦ .

وإنما يهتدى إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم ، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه ، ومعوجه ومستقيمه ، كما يميز الصيرفى البصير بصناعته بين الجياد والزيوف ، والدنانير والفلوس . فكما لايتمارى هذا ، كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه ، ومنهم من يظن ومنهم من يقف ، بحسب مراتب علومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث ، وذوقهم حلاوة عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم التى لايشبهها غيرها من ألفاظ الناس"(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكاً ، ولايقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غايصاً واطلاعاًحاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم وإليهم المرجع فى ذلك لما جعل الله فيهم من معرفة ذلك ، والاطلاع على غوامضه دون غيرهم ممن لم يمارس ذلك"(٢).

والذى جعل هذا العلم وعراً حتى على كثير من علماء الحديث ، خفاء العلة فيه وصعوبة الوصول إلى معرفتها ، فهى عبارة عن سبب غامض قادح فى صحة الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع لشروط الصحة ظاهراً ، وتدرك بتفرد الراوى ومخالفته لغيره مع قرائن أخرى .

والطريق إلى معرفة ذلك جمع طرق الحديث والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم . وهى تقع فى الإسناد وهو الأكثر وقد تقع فى المتن(٣).

وماكان للشيخ الغزالى أن يرد هذا المورد وهو لايعد من فرسانه حتى لايتهم بالجهل وقلة العلم ، أو على الأقل عدم المبالاة . ولعله يتشبث بالفقهاء ههنا كما هو ديدنه ، ولكن الفقهاء فى الحقيقة لايشترطون لصحة الحديث

---

(١) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٦٠-٦١ .

(٢) النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/٢ .

(٣) تقريب النووى مع شرحه التدريب ٢٥٢/١-٢٥٣ .

وجود العلة فيه كما لايشترطون وجود الشذوذ أيضاً(١).

بل كانوا رحمهم الله يلجؤون إلى أهل الحديث فى كشف العلل ، لأن المحدثين هم أهل هذا الشأن . ولذا كان الإمام الشافعى رحمه الله مع إمامته وجلالة قدره وسعة علمه يحيل القول على أئمة الحديث فى كتبه فيقول "وفيه حديث لايثبته أهل العلم بالحديث"(٢).

هذا هو شأن العلماء المحققين الذين يتكلمون بعلم وروية .

رابعاً : قوله "العلة فى المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى" .

من هم المحققون الذين يعنيهم الغزالى ؟ لعله يعنى النظام وشيعته الذين كشف ضلالهم ابن قتيبة وابن خزيمة وغيرهم حول هذا الحديث ، أو لعله يعنى من سماهم المازرى بالملحدين ، فإن لم يكونوا هؤلاء فلم لم يكشف لنا عن أسمائهم أو على الأقل اسم واحد منهم ؟

ثم من هم أصحاب الفكر السطحى ؟ أظنه يعنى الإمام أحمد والبخارى ومسلماً والنسائى وابن قتيبة وابن خزيمة والمازرى والقاضى عياض والنووى وغيرهم من أئمة الإسلام وعلمائه ممن روى هذا الحديث وحكم بصحته وآمن به ورد كيد الطاعنين فيه(٣).

إنها إساءة بالغة توجه لعلماء الإسلام وأئمته ممن اعترفت لهم الأمة بالفضل وأجمعت على جلالتهم وعلو قدرهم . وعلى النقيض من هذا يمدح أهل البدع والضلال ويمجدون ، إنه جور وظلم وتجنى على العلم وأهله ، نسأل الله السلامة والعافية .

(٢) الزعم بأنه مشكل وأنه تفوح منه رائحة الإسرائيليات .

لاإشكال فى الحديث كما توهم أبو رية ، وسوف يجاب على مازعم أنه إشكال فيما يأتى .

---

(١) انظر : التقييد والايضاح ص٢٠ ، تدريب الراوى ٦٥/١ .

(٢) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/١ ، وقول الشافعى فى كتابه الأم ١٣/١ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٤ ، حوار هادىء ص٩٥،٩٦ .

والحديث مرفوع ثابت رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى رواية همام بن منبه ، ورواية طاوس أيضاً لها حكم الرفع لأنه مما لامجال للرأى فيه ، وماكان كذلك فله حكم الرفع ، فهذا يبعد كونه من الإسرائيليات(١) .

ولو كان كذلك لما خفى على علماء الأمة وجهابذتها ولسارعوا ببيان ذلك وإيضاحه ، وهم أعلم بذلك وأوعى .

قال الشيخ المعلمى فى رده على أبى رية :

" قد علمنا أن كلام الأنبياء كله حق من مشكاة واحدة ، وأن الرب الذى أوحى إلى أنبياء بنى إسرائيل هو الذى أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكك فى حكم البخارى لأنه أعرف الناس برائحة الحديث النبوى ، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشم أو فاسده " (٢) .

(٣) الزعم بأنه لايفيد شيئاً ، زعم مناف للصواب ، وإلا لما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لايذكر مالافائدة فيه ، وهو الذى يعلم صلوات الله وسلامه عليه أن أقواله وأفعاله وتقريراته شرع للعباد .

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٩٤ .
قال الحافظ : " أورده – أى البخارى – موقوفاً من طريق طاوس عنه ، ثم عقبه برواية همام عنه مرفوعاً . وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد بن يحي عنه رواية طاوس أيضاً أخرجه الإسماعيلى " . فتح البارى ٤٤١/٦ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٩٤ .

وإن جهل الشيخ الغزالى فوائد هذا الحديث فقد علمها غيره وإليك جملة من فوائده :

(أ) ابتلاء الإنسان بالإيمان بالغيب . وذلك من خصائص المؤمنين قال تعالى {الذين يؤمنون بالغيب} الآية(١).

(ب) ربط الإنسان بالأجيال السابقة من خلال تفصيلات النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يذكر لأصحابه كثيراً من قصص الماضين ليربطهم بالسابقين ، وليبين لهم أن أمة الإسلام أمة واحدة .

(ج) الكشف عن طبيعة الإنسان ، وإن كان نبياً مختاراً فإنه لايخرج عن بشريته .

(د) فضل الموت فى الأرض المقدسة ، وهذه فائدة فقهية(٢).

قال النووى رحمه الله :

"قال بعض العلماء : وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس وفى هذا استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة"(٣).

وفيه أيضاً فائدة أخرى وهى سد الذرائع عن الوقوع فى المعاصى وخاصة الشرك بالله تعالى ، ولذا أخفى قبره حتى لايقصده الناس بالعبادة والناس مولعون بالاعتقاد فى قبور الأنبياء والصالحين .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان ، وقد جاء ذلك فى عدة أحاديث . وفيه فضل الدفن فى الأرض المقدسة ... واستدل بقوله "فلك بكل شعرة سنة" على أن الذى بقى من الدنيا كثير جداً لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد قدر المدة التى بين موسى وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مرتين

---

(١) سورة البقرة : آية ٣

(٢) انظر : حوار هادىء ص٩٤،٩٥ .

(٣) شرح النووى على مسلم ١٢٨/١٥ .

وأكثر . واستدل به على جواز الزيادة فى العمر"(١).

وقد ذكر الله تعالى قصصاً كثيرة فى القرآن من أخبار الماضين ، كقصة النملة والهدهد ، وقصة يوسف عليه السلام ، وقصة ذى القرنين وغير ذلك الكثير وهى من قبيل ماجاء فى الحديث . فهل يقال أيضاً أن ذكر هذه لافائدة فيه ؟

والقول بأنه لايتصل بعقيدة ولايرتبط به عمل ، قول يؤدى إلى تهوين أمر الحديث والاستخفاف به ، وهو منفذ يلج من خلاله الملحدون ليشككوا فى دين الله تعالى بالطعن فى كثير مما ورد فى القرآن والسنة النبوية(٢). ولو لم يكن فيه إلا الإيمان بالغيب لكفى ذلك عقيدة لكل مسلم ، واستحباب الدفن فى الأرض المقدسة أمر ينبنى عليه عمل .

وقوله "الاشتغال بغيره أجدى" . فيه تزهيد كامل فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وصد الناس عن تعلمه ومعرفته . وفى ذلك أيضاً استدراك على النبى صلى الله عليه وسلم الذى أخبر بذلك الصحابة ، وكان على هذا الزعم يجب عليه أن يشغلهم بغيره .

والزعم بأن رفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً عقائدياً . زعم فيه استطالة على السنة النبوية ، وإحياء لمذهب النظام وأمثاله من المعتدين عليها ، وعبث يفضى إلى الاستهانة بأمرها والتحقير من شأنها(٣).

ولكى يكون الغزالى دقيقاً فى تعبيراته كان أحرى به أن يقول : "خلاف علمى" ، إذ الخلاف الفكرى أمر تجول فيه خواطر العقل التى لاتلتزم بأصل ولاقاعدة ، وإنما تخضع لقواعد المنطق العام ، التى تتباين وتختلف فيها وجهات النظر فى العموم ، بينما الخلاف العلمى ينبنى على قواعد وأصول ، تتعارض فيه الأدلة فى خصوصيات مضبوطة ، وهذا الأليق بالحديث النبوى ، إذ المفكر لامجال له فى الخوض فى قبول الحديث ورده ،

---

(١) فتح البارى ٤٤٣/٦ .
(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٣ .
(٣) انظر : المرجع نفسه ص١٨٣ .

وإنما ذلك أمر يتعلق بأهل الاختصاص ، وإن خالف فخلافه غير معتبر ولايلتفت إليه(١).

ولايسلم للغزالى بوجود خلاف أصلاً فى صحة الحديث وعدمها ، إذ الحديث صحيح ولاخلاف فى ذلك .

ولايسلم له بنفى الخلاف العقائدى عنه ، وإلا لما رمى العلماء المنكرين المخالفين فيه بالإلحاد .

(٤) إن كراهية الموت أمر فطرى فى البشر ، وقد شرع الله الدفاع عن النفس ، ونهى عن القائها فى التهلكة .

وقد اتخذ الأنبياء - مع أنهم أكثر الناس شجاعة - من الأسباب الواقية المشروعة مايدفعون به الأخطار وغوائل الأعداء .

فالنبى صلى الله عليه وسلم هاجر خفية ، واختفى فى الغار ، وأعمى أخباره عن الأعداء ، واتخذ حراساً يحرسونه حتى نزل قول الله تعالى : {والله يعصمك من الناس}(٢)، فصرفهم عن حراسته ، وظاهر يوم أحد بين درعين .

وقد وقع لموسى عليه السلام من ذلك أمور ، كما قال تعالى : {وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين}(٣).

وقال تعالى : {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين}(٤).

وهذا كله من الأسباب الشرعية المعقولة التى لاتخدش فى مقام الأنبياء ولاامكانتهم(٥).

---

(١) انظر : أزمة الحوار الدينى ص٤١،٤٢ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧

(٣) سورة القصص : آية ٣١

(٤) سورة القصص : آية ٢٠،٢١

(٥) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٨،١٧٩ .

وموسى عليه السلام لم يعلم أن ذلك المعتدى عليه ملك الموت ولذلك لطمه دفاعاً عن نفسه ورداً لغائلته لافراراً من موت ولارغبة فى حياة . ولذا لما علم فى المرة الثانية أنه ملك الموت رغب فى لقاء ربه ، واختار الموت دون الحياة(١).

ولامعارضة بين هذا الحديث وبين حديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" . وهذا بيانه :

روى مسلم بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه" . فقلت : يانبى الله : أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت . فقال : "ليس كذلك . ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه"(٢).

وروى بسنده عنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . والموت قبل لقاء الله"(٣).

وروى بسنده أيضاً عن شريح بن هانىء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" . قال فأتيت عائشة فقلت : ياأم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله حديثاً . إن كان كذلك فقد هلكنا

---

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب من أحب لقاء الله (٥) برقم ٢٦٨٤ ، ٤/٢٠٦٥-٢٠٦٦ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه من حديث عبادة بن الصامت ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب من أحب لقاء الله (٤١) ، ٧/١٩١ .

(٣) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ص٢٠٦٦ .

فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وماذاك؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس بالذى تذهب إليه . ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج (١)الصدر ، واقشعر (٢)الجلد ، وتشنجت (٣)الأصابع . فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(٤).

قال النووى رحمه الله :

"هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقى الأحاديث المطلقة ، من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله ، ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هى التى تكون عند النزع فى حالة لاتقبل توبته ولاغيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وماأعد له ويكشف له عن ذلك"(٥).

ومن هنا يتبين أن حب لقاء الله وكراهيته ليسا على إطلاقهما ، وإنما ذلك مقيد بوقت محدود وزمن معين وهو الذى نص عليه الحديث "إذا شخص البصر ...الخ" وبين ذلك النووى رحمه الله . وليست هى كراهية الموت التى طبع عليها البشر قبل تلك الحال ، وقد خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فهم ذلك . والحال التى جابه فيها موسى ملك الموت

---

(١) الحشرجة : هى الغرغرة عند الموت وتردد النفس . النهاية ٣٨٩/١ .

(٢) اقشعر : أى تقبض وتجمع . انظر : النهاية ٦٦/٤ .

(٣) تشنجت : أى انقبضت وتقلصت . النهاية ٥٠٣/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ص٢٠٦٦ برقم ٢٦٨٥ .
وشريح بن هانىء : هو ابن يزيد الحارثى المذحجى ، أبو المقدام الكوفى ، مخضرم ، ثقة معمر عابد .
صاحب على ، وسمع من عمر ، وروى عنه الحكم بن عتيبة والقاسم بن مخيمرة . قتل سنة ٧٨هـ مع ابن أبى بكرة بسجستان .
انظر : الجرح والتعديل ٣٣٣/٢ ، الكاشف ٩/٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٠/١ .

(٥) شرح النووى على مسلم ٩/١٧-١٠ .

عليهما السلام ليست هى الحال التى عناها النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الحديث (١).

(٥) القول بأن الملائكة لاتعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر ، دعوى تحتاج إلى دليل . ومالمانع فى ذلك ؟

وهم خلق من خلق الله وجدوا من عدم فوهب الله لهم الحياة ، ثم يموتون ويفنون بقدرة الله تعالى ، فمن جاز عليه الموت فغيره مما هو دونه من العاهات أولى بالجواز (٢).

وقد جاء فى القرآن والسنة مايثبت أن الملائكة يتمثلون فى صور البشر كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام (٣)، ولوط عليه السلام (٤)، وكما تمثل الملك لمريم عليها السلام فى صورة رجل كما قال سبحانه : {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً} (٥). وقد كان جبريل عليه السلام يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى ، وفى صورة رجل من الأعراب ، فما المانع أن يتمثل ملك الموت فى صورة رجل ثم يأتى إلى موسى عليه السلام وهو لايعرفه (٦). وقد ظنه عادياً يريد الاعتداء عليه فدافعه عن نفسه ، فلطمه ، ففقأ عينه (٧).

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى ص١٨٠،١٨١ .
(٢) انظر : المرجع نفسه ص١٨١ .
(٣) انظر : سورة هود : آية ٦٩،٧٠ ، الحجر : آية ٥١ فما بعدها ، الذاريات : آية ٢٤ فما بعدها .
(٤) انظر : سورة هود : آية ٧٧ فما بعدها ، الحجر : ٦١ فما بعدها ، العنكبوت : آية ٣٣ .
(٥) سورة مريم : آية ١٧
(٦) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٧٧ ، الحجة فى بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح البارى ٤٤٢/٦ ، الأنوار الكاشفة ص٢١٩ ، مشكلات الأحاديث ص١٩٤ ، دفاع عن السنة ص١٩٤ .
(٧) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٥ ، دفاع عن السنة ص١٩٤ .

وليس ذلك بغريب على موسى عليه السلام ، فقد وكز القبطى فقضى عليه ، ولم يكن يريد ذلك ، كما قال سبحانه : {فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم}(١).

واللطمة إنما أذهبت العين التى هى تخييل وتمثيل وليست حقيقة ، فلما عاد ملك الموت إلى حقيقته ، لم ينتقص منه شىء ، فتأثير اللطمة إنما كان على ذلك الجسد العارض ، وفقء العين عبارة عن عاهة عارضة للصورة التى تمثل بها الملك وليست للصورة التى خلق عليها(٢).

ونفى الحقيقة هنا ليس نفياً لحقيقة اللطمة ، ولالتأثيرها ، وإنما هو نفى لوقوعها على ذات الملك فى خلقته الحقيقية .

(٦) من هم المسلمون الذين أنكروا هذا الحديث واستطال فى عرضهم من وصم منكره بالإلحاد ؟ لماذا لم يذكرهم الغزالى ؟ وهل الاستطالة على السنة النبوية الصحيحة الثابتة المتلقاة بالقبول من الأمة الإسلامية سهل على الغزالى حتى انبرى يدافع ويناضل عن المستطيلين عليها؟(٣)

إن العلماء الذين وصموا أولئك بالإلحاد يعرفون قدر السنة ومقامها ولذلك يأبى عليهم إيمانهم وعقيدتهم السكوت عنهم . إنهم حماة الدين والذابون عنه ، وإن لم يرض ذلك الغزالى .

وكيف جاز له أن يسمى دفاعهم بأنه خفيف الوزن ، تافه ، لايساغ ، أليس هذا قدح واستطالة على علماء أجلاء شهدت لهم الأمة بالفضل والعلم.

إن لحوم العلماء ياشيخ مسمومة ، وأقوالهم محترمة مقدرة وإن لم يؤخذ بها ، فالواجب علينا التأدب معهم وتكريمهم لاالإساءة إليهم وتسفيه أقوالهم .

---

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص١٩٤ ، كشف موقف الغزالى من السنة ص١٧٤ . والآيات هى : ١٦،١٥ من سورة القصص .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٧٨ ، الحجة فى بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح البارى ٤٤٣/٦ ، الأنوار الكاشفة ص٢٢٠ ، دفاع عن السنة ص١٩٥ ، حوار هادىء ص٩٥ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٨٣،١٨٢ .

الحديث الثالث :

حديث وقوع الذباب فى الإناء .

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأى وعن التشريع جميعاً .

أما التشريع فى مثل هذا فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعاً ، وكل ضار ظناً فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفاً .

فغمس الذباب فى المائع الذى يقع فيه لايتفق مع قاعدة تحريم الضار ولامع قاعدة اجتناب النجاسة .

وأما الرأى فلايمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحى الذبابة فى أن أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم .

وإننا لم نر أحداً من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث ، فالظاهر أنهم عدوه مما لادخل له فى التشريع كغيره من الأحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية ...

وإن إخراج البخارى لهذا الحديث فى جامعه لايعصمه من التماس علة فى رجاله تمس مناعة صحته ، فإن مداره عنده على عبيد بن حنين (١) مولى بنى زريق انفرد به وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين

---

(١) هو عبيد بن حنين ، أبو عبد الله المدنى ، روى عن أبى موسى وزيد بن ثابت وطائفة ، وعنه أبو الزناد ويحي بن سعيد ، ثقة قليل الحديث . مات سنة ١٠٥هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤٠٤/٥ ، الكاشف ٢٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٥٤٢/١ .

ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به رشيد رضا . أو أعل هذا الحديث أو غيره بسببه .

وماذكره رشيد رضا مردود بتوثيق العلماء له .

الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع[(١)] عن ابن عمر مثلاً ، ومن الغريب أنه لم يذكر فى تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبى هريرة ، فإن كان بينهما واسطة يكون منقطعاً ، ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل . وفيه أن أبا حاتم قال فيه كان صالح الحديث وهى من أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبى وغيره عليها كلمة لابأس به .

فإذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لايكون قد ضيع من دينه شيئاً ، ولايقتضى ارتيابه هذا أوجزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن فى البخارى لأنه قبل روايته لأنه لم يعلم جارحاً يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذى يجبره حديث أبى سعيد عند النسائى وابن ماجه بمعناه ... وكل من ظهر له علة فى رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعاً ، ولايصح أن يقال فى حقه أنه مكذب لحديث كذا ...

تنبيه : أن ابن حنين راوى حديث الذباب من مسلمة الأعاجم والظاهر أنه من النصارى"[(٢)].

وقال : "وإننى أعلم بالاختيار أيضاً أن ذلك المسلم الغيور - يعنى محمد توفيق صدقى[(٣)] - لم يطعن فى صحة هذا الحديث كتابة إلا لعلمه بأن

---

(١) هو نافع أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، مشهور . وهو من أئمة التابعين وأعلامهم .
روى عن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة ، وعنه أيوب ومالك والليث . قال مالك "إذا سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر لاأبالى أن لاأسمع من غيره" .
مات سنة ١١٧هـ أو بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٤٥٢/٨ ، الكاشف ١٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٩٦/٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٤٨-٥٠ .

(٣) وهو من الذين طعنوا فى حديث الذباب وردوه بالعقل .
انظر مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧ .

تصحيحه من المطاعن التى تنفر الناس عن الإسلام ، وتكون سبباً لردة بعض ضعفاء الإيمان ، وقليلى العلم الذين لايجدون مخرجاً من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة فى المتن تمنع صحته ، وكان هو يعتقد هذا . وماكلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخارى ويؤمن بكل مافيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافى أصول الإسلام ... يكفر مسلم من خيار المسلمين علماً وعملاً ودفاعاً عن الإسلام ودعوة إليه بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد يكون مجهولاً واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلاً فى الإسلام وهو عبد الله بن حنين .

وموضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ولامن شرائعه ولاالتزم المسلمون العمل به"(١).

ويرى محمود أبو رية أن الإنسان وصل فى هذا العصر إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم التى تدهش العقول ، فلاينبغى للإنسان أن؛ يشغل الناس بالأبحاث العقيمة التى لاتنفع ولاتفيد بل هى إلى الإساءة أدنى وإلى ضرر الناس أقرب .

ومثال لذلك بحث حديث الذباب الذى يفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام ، ويتوارى عن ذلك أولياؤه ، بل يجب أن يترك هذا البحث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لايمكن نقضها ولايرد حكمها .

ثم قال :

"وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم مايخالف حديثاً من الأحاديث التى جاءت من طريق الآحاد وبخاصة إذا كان هذا الحديث فى أمر من أمور الدنيا التى ترك النبى صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس . وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٥٠-٥١ .

الأخبار التى جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لاتعطى اليقين وإنما تعطى (الظن) والظن لايغنى من الحق شيئاً . وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك فى صدره شيء منها . وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار)[1] من الحشوية الذين لايقام لهم وزن .

وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث الآحاد وهى التى تفيد الظن - وإذا لم يسعنا ذلك فى رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ماوضعه العلماء من قواعد عامة - ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ماصح سنده يكون متنه صحيحاً ، ولاكل مالم يصح سنده يكون متنه غير صحيح - بل قالوا - إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً فى الواقع . وإن صحيح السند قد يكون موضوعاً فى الواقع . ومن القواعد المشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخارى وهو لايروى إلا ماكان صحيحاً ، فإنا نرد على ذلك بأن البخارى قد روى فى كتابه مااعتبره هو صحيحاً عملاً بظاهر الإسناد لاماثبت فى الواقع أنه صحيح . ومن أجل ذلك لايلزم غيره بما اعتبره هو . وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلماً قد

(١) الزاملة : هى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .
انظر : القاموس المحيط ص١٣٠٦ .
وأسفار : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .
انظر : المرجع السابق ص٥٢٣ .
والمراد أنهم حملة كتب لايفقهون مافيها .

اتفقا على روايته(١).

على إننـا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبى صلوات اللـه عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبـت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس فى الـرجوع عنه ، وعـدم الأخذ به ، لأنه من أمـور الدنيا . ولنا فى ذلـك أسـوة حسنة بما فعل النبى صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخـل فأشار عليهم بأن لايؤبروه"(٢). ثم ذكـر حديث التأبير . وذكر أن الحديث مـن رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

• روى البخـارى بسنده إلى أبى هـريرة رضى الله عنـه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكـم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن فى إحدى جناحيه شفاء وفى الآخر داء"(٣).

---

(١) قـال ابن الصلاح : "أعلاها ـ أى مراتب الصحيح ـ الأول وهـو الذى يقول فيه أهـل الحديث كثيراً صحيح متفـق عليه . يطلقون ذلك ويعنـون به اتفاق البخارى ومسلم لااتفـاق الأمـة عليه .لكـن اتفـاق الأمة عليه لازم مـن ذلـك وحاصـل معه لاتفاق الأمة على تلقى مااتفقا عليه بالقبول" .
مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٤١ .

(٢) أضواء على السنةالمحمدية ص١٩٩-٢٠١ فى الهامش .
وسوف يأتى تخريج حديث تأبير النخل والكلام عنه .
والتأبير : هو التلقيح من أبرت النخلة إذا لقحتها فهى مأبورة ومؤبرة أى ملقحة .
انظر : النهاية فى غريب الحديث ١٣/١ .

(٣) صحيـح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب إذا وقع الذباب فى الإناء (٥٨) مـن رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة ٣٣/٧ .
وأخرج نحوه من رواية عبيد بن حنين أيضاً فى كتاب بدء الخلـق (٥٩) ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم (١٧) ، ١٠٠/٤ .
وأخرج أبو داود فى سننـه نحوه مـن رواية سعيد المقبرى عـن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب فى الذباب يقع فى الطعام ، ورقمه ٣٨٤٤ ، ٣٦٥/٣ .
وأخرج النسـائى فى سننـه نحوه مـن حديث أبى سعيـد الخدرى ، كتـاب الفـرع والعتيرة ، باب الذباب يقع فى الإناء ١٥٨/٧ .
وأخرج ابن مـاجه فى سننـه نحوه مـن رواية عبيد بن حنين عـن أبى هـريرة برقم ٣٥٠٥ ، ومـن حديث أبى سعيـد الخدرى برقم ٣٥٠٤ ، كتـاب الطب (٣١) ، باب يقع الذباب فى الإناء (٣١) ، ١١٥٩/٢ . =

....

= وأخرج الدارمي في سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبي هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب الذباب يقع في الطعام ، ٢/٩٨-٩٩ .
وأخرج البيهقي في سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وسعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة . وأشار إلى رواية أبي صالح عن أبي هريرة .
وأخرج نحوه من حديث أبي سعيد الخدري . كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات في الماء القليل ١/٢٥٢،٢٥٣ .
وأخرج نحوه ابن خزيمة في صحيحه من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة ، باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب في الماء لاينجسه (٨٠) ، ١/٥٥-٥٦ .
وأخرج الإمام أحمد في مسنده نحوه من رواية :
سعيد المقبري عن أبي هريرة ٢/٢٢٩،٢٣٠،٢٤٦،٤٤٣ ، وثمامة بن عبد الله بن أنس عنه ٢/٢٦٣،٣٥٥،٣٨٨ ، وأبي صالح عنه ٢/٣٤٠ ، ومحمد بن سيرين عنه ٢/٣٥٥،٣٨٨ ، وعبيد بن حنين عنه ٢/٣٩٨ ، وأبي سعيد الخدري ٣/٢٤،٦٧ .
وأخرج ابن حبان في صحيحه نحوه من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة برقم ١٢٤٦ ، كتاب الطهارة(٨) ، باب المياه (١٠) ، ذكر مايعمل المرء عند وقوع مالانفس له تسيل ٤/٥٣ .
ومن حديث أبي سعيد الخدري برقم ١٢٤٧ ، في الكتاب والباب السابقين ، ذكر الأمر بغمس الذباب في الإناء ٤/٥٥-٥٦ (الإحسان) .
وأخرج البغوي في شرح السنة نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبي هريرة برقم ٢٨١٣،٢٨١٤ ، ومن رواية سعيد المقبري عنه .
ومن حديث أبي سعيد الخدري برقم ٢٨١٥ ، كتاب الصيد ، باب الذباب يقع في الشراب ، ١١/٢٥٩-٢٦١ .
وأخرج نحوه ابن الجارود في المنتقى من رواية عبيد بن حنين عن أبي هريرة برقم ٥٥ ، باب في طهارة الماء والقدر الذي ينجس ولاينجس ص٢٩ .
وذكر الهيثمي نحوه في مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط" . ٥/٤١ .

هـذا حديث ثابت عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم، وقـد تلقتـه الأمة بالقبول وآمنت بمضمون ماجاء فيه .

وهـو معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم الـذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}(١).

وقد طعن أهل البدع والضلال قديما فى صحته بحجـة أنه مخالف للعقل والـواقع ، وأثاروا الشبـه مـن حولـه فـانبرى للرد عليهـم وكشـف شبههـم ودحضهـا علماء أجلاء فواجهـوهم بالحجج الدامغة والأدلـة البينـة ، فأزالوا تلك الشبه وبينوا فسادها .

مـن أولئك العلماء الأفاضـل الإمام ابن قتيبة الـدينورى رحمه الله ، فقـد ذكـر فى كتـابه "تأويل مختلـف الحديث" أنه حديث صحيـح وأنه روى بألفاظ ، ثم قال :

"إن مـن حمـل أمـر الدين على مـاشاهد ، فجعـل البهيمـة لاتقـول ، والطـائر لايسبح ... والذباب لايعلم مـوضع السم ومـوضع الشفاء ، واعترض على مـاجاء فى الحديث ، مما لايفهمه ... فإنه منسلخ مـن الإسلام ، معطل ... مخالـف لما جاء به الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ولما درج عليـه الخيـار من صحابته والتابعون .

ومـن كذب ببعض ماجاء به رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، كـان كمـن كذب به كله ... وماعلمـت أحدا ينكر هذا إلا قـوما من الدهرية(٢)، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية"(٣).

ومن أولئك أيضا الإمام الطحاوى رحمه الله فى كتابه "مشكل الآثار" فقال بعد ذكره للحديث ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم :

---

(١) سورة النجم : آية ٤

(٢) قـال فى اللسان : "ورجل دهرى : ملحـد لايؤمن بالآخرة ، يقـول ببقـاء الدهر" . لسان العرب ٢٩٣/٤ .

(٣) ص٢٢٩ .

"قال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى ؟

فكان جوابنا فى ذلك له بتوفيق الله عز وجل وعونه أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرأ منه لوجد فيه مايدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وهو قوله عز وجل : {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس}(١)وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ماأمرها به ... فمثل ذلك الذباب ألهمه عز وجل ماألهمه مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيمايقع فيه مما فيه الداء والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء"(٢).

وجاء المحدثون فطعنوا فى هذا الحديث كما طعن فيه أسلافهم أهل الابتداع من قبل ، ولم يتزجروا بردود العلماء السابقين ، فزادوا شبه أولئك شبهاً أخرى انتجتها عقولهم التى جهلت حرمة النصوص وران عليها ظلام قاتم فلم تستوعب ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن كما هو ديدنها ، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

---

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨،٦٩

(٢) ٤/٢٨٣-٢٨٤ .

وهـذا ملخـص مـاسبق مـن عـرض لشبـه هـؤلاء المحْدَثين حول هـذا الحديث :

(١) أخرجه البخـارى ، ولايمنعـه ذلك من التماس علة فى رجالـه تمنـع من صحته ، والعلة هى :

(أ) انفرد به ابن حنين . ثم طعن فيه بأوجه .

(ب) من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

(٢) إنه حديث آحاد يفيـد الظـن ، فلاإشكـال فى رده ، وهـو غـريب عن التشـريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتنـاب النجاسة ، وغريب عن الرأى لأنه يفرق بين جناحى الذباب ، فيدعـى أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع .

(٣) أثبت العلم بطلانه ، لأن العلم يقطع بمضار الذباب .

(٤) موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ، ولامن شرائعه ، ولاالتزم المسلمـون العمل به ، بل لم يعمـل به أحد منهـم لأنه لادخل له فى التشريع ، وإنما هــو فى أمـر مـن أمـور الــدنيا كحـديث "تأبير النخل" ، وبالتالى من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً .

(٥) تصحيحـه مـن المطاعن التى تنفـر عن الإسلام ، وتكـون سببـاً فى ردة بعض ضعفاء الإيمان ، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام .

(٦) البحــث فيـه عقيم ، لايجب أن يشغـل النـاس به ، وقــد وصلـوا إلى مخترعـات ومكتشفـات من العلـوم . ولـذا يجب ترك البحـث فيـه إلى ماوصل إليه العلم من أحكام لاتنقض ولاترد .

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

(١) أولاً : لم ينفرد البخارى رحمه الله بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عـن النبى صلى اللـه عليــه وسلم ، وعبيـد بن حنين لم ينفرد بروايته عن أبى هريرة أيضاً .

فقد أخرجه البخارى وأبو داود وابن ماجه والدارمـى والبيهقى وابن خزيمة وأحمـد وابن حبـان والبغـوى وابن الجارود مــن حديث أبى هـريرة رضى الله عنه .

وأخرجه النسائى وابن ماجه والبيهقى وأحمد وابن حبان والبغوى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه ، وأخرجه البزار والطبرانى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

ورواه عن أبى هريرة جماعة من التابعين[١].

ولو لم يرد هذا الحديث إلا فى صحيح البخارى ، لكان صحيحاً ، مقبولاً ، إذ البخارى هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وأحاديثه فى أعلى درجات الصحة .

ومن العجيب أن هذا الحديث لم يستدركه على البخارى أحد من أئمة الحديث ولم يقدح فى سنده أحد منهم ، بل هو عندهم مما جاء على شرط البخارى فى أعلى درجات الصحة[٢].

ولو تفرد به أبو هريرة رضى الله عنه لما وجدوا إلى الطعن فى صحته سبيلاً .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى بعد إخراجه الحديث :

"فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة ، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة : أبى هريرة وأبى سعيد وأنس ، ثبوتاً لامجال لرده ، ولاللتشكيك فيه كما ثبت صدق أبى هريرة رضى الله عنه فى روايته إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافاً لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين ، ومن تبعهم من الزائغين ، حين طعنوا فيه رضى الله عنه لروايته إياه ، واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه من ذلك، فهذا هو التحقيق العلمى يثبت أنه برىء من كل ذلك ، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه ، لأنهم رموا صحابياً بالبهت ، وردوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة !

---

(١) وهم : عبيد بن حنين وسعيد المقبرى وثمامة بن عبد الله بن أنس وأبو صالح ومحمد بن سيرين .

(٢) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٤/١٢ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت ، وليت شعرى هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبى هريرة بالحديث ، وهو حجة لو تفرد ، أم جهلوا ذلك فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبى هريرة إياه ، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟ وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف ؟ وماأحسن ماقيل :

فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم"(١)

وعبيد بن حنين(٢) ثقة لامطعن فيه ، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى فى مقدمته ، ولم أقف على من طعن فى توثيقه من العلماء. ولعمرى لو تفرد برواية الحديث عن أبى هريرة لقبل تفرده ، فإن تفرد مثله لايقدح فى صحة الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا انفرد الراوى بشىء نظر فيه فإن كان ماانفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ماانفرد به شاذاً مردوداً ، وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما أمر رواه هو لم يروه غيره فينظر فى هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثوقاً بإتقانه وضبطه قبل ماانفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ... وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفراده خارماً له مزحزحاً له عن حيز الصحيح"(٣).

ولو رد الحديث الصحيح بتفرد الراوى الثقة له لرد كثير من الأحاديث ، وتعطلت كثير من المسائل عن دلائلها(٤).

(٢) كونه حديث آحاد ومن أجل ذلك سهل رده ، قول مردود ، وحجة داحضة ، وقد سبق الكلام عن ذلك فلاإعادة ههنا .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .

(٢) عبيد بن حنين سبقت ترجمته . انظر : ص ٦٩٠

(٣) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص١٠٤ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٥٥ .
وانظر : تدريب الراوى ٢٣٤/١ .

وقول رشيد رضا بأنه غريب عن التشريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك ، فذكر أن فى أحد جناحيه داء ، ولكنه زاد ببيان أن فى الآخر شفاء ، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"واعلم أن فى الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم ، والحكة العارضة عن لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله فى الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوة البشرية"(٢).

وقال الشوكانى رحمه الله :

"والفائدة فى الأمر بغمسه جميعاً هى أن يتصل مافيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء ، فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر"(٣).

والقول بنجاسة الذباب لادليل عليه لأنه لاملازمة بين الضرر والنجاسة ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لاينجس بموت مالانفس له سائلة فيه ، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب وحياته عند غمسه(٤).

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) زاد المعاد ١١٢/٤ .

(٣) نيل الأوطار ٧١/١ .

(٤) انظر : فتح البارى ٢٥١/١٠ ، نيل الأوطار ٧١/١ .

قال الخطابى رحمه الله :

"فيه من الفقه : أن أجسام الحيوان طاهرة ، إلا مادلت عليه السنة من الكلب وماالحق به فى معناه .

وفيه دليل : على أن مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه . وذلك أن غمس الذباب فى الإناء قد يأتى عليه ، فلو كان نجسه إذا مات فيه لم يأمره بذلك . لما فيه من تنجس الطعام ، وتضييع المال ، وهذا قول عامة العلماء"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"هذا الحديث فيه أمران : أمر فقهى ، وأمر طبى ، فأما الفقهى ، فهو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات فى ماء أو مائع، فإنه لاينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولايعرف فى السلف مخالف فى ذلك . ووجه الاستدلال به أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمقله ، وهو غمسه فى الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولاسيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفساد الطعام ، وهو صلى الله عليه وسلم إنما أمر بإصلاحه ، ثم عدى هذا الحكم إلى كل مالانفس له سائلة ، كالنحلة والزنبور ، والعنكبوت وأشباه ذلك ، إذ الحكم يعم بعموم علته ، وينتفى لانتفاء سببه ، فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لادم له سائل انتفى الحكم بالتنجس لانتفاء علته"(٢).

والقول بأنه لافرق بين جناحى الذباب بأن يحمل أحدهما سماً والآخر شفاء قول يناهض الحديث ، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات فى الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف .

---

(١) معالم السنن للخطابى مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٥/٣٤٠-٣٤١ .

(٢) زاد المعاد ٤/١١١-١١٢ .
ومقله : أى غمسه فى الماء ونحوه . انظر : النهاية ٤/٣٤٧ .
والأمر الطبى سبق إيراده قريباً .
وانظر : شرح السنة للبغوى ١١/٢٦٠ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء فى السابق ، ولاأدرى أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا - مع سعة اطلاعه - أم تجاهله ؟ وكلا الأمرين ذميم فى حقه ، وقد ذكر ذلك معاصروه(١).

قال الخطابى :

"وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له . وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذباب ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء ، وتؤخر جناح الشفاء ، ومأأربها إلى ذلك ؟

قلت : وهذا سؤال جاهل ، أو متجاهل . وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة ، إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها ، وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها : بجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة ، وجعل لها الهداية أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً ، لما أراد من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف . وفى كل شىء عبرة وحكمة . ومايذكر إلا أولوا الألباب"(٢).

وقال ابن قتيبة رحمه الله :

"فما ينكر من أن يكون فى الذباب سم وشفاء ، إذا نحن تركنا طريق الديانة ، ورجعنا إلى الفلسفة ؟

وهل الذباب فى ذلك إلا بمنزلة الحية ؟ فإن الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها ، إذا عمل منه الترياق الأكبر ، ونافع من لدغ العقارب

---

(١) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٨/١٢ فى الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

(٢) معالم السنن مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤١/٥-٣٤٢ . وأربها - وتكسر الهمزة - أى حاجتها لذلك .
انظر : القاموس المحيط ص٧٥١ ، النهاية ٣٥/١ .

وعض الكلاب الكلبة ... الخ .

وكذلك قالوا فى العقرب : إنها إذا شق بطنها ، ثم شدت على موضع اللسعة نفعت ...

والأطباء القدماء ، يزعمون أن الذباب إذا ألقى فى الإثمد ، وسحق معه ، ثم اكتحل به زاد ذلك فى نور البصر ، وشد مراكز الشعر من الأجفان ، فى حافات الجفون ... وقالوا فى الذباب : إذا شدخ ، ووضع على موضع لسعة العقرب ، سكن الوجع .

وقالوا : من عضه الكلب ، احتاج إلى أن يستر وجهه من سقوط الذباب عليه ، لئلا يقتله .

وهذا يدل على طبيعة فيه شفاء أو سم"(١).

(٣) والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه يقطع بمضار الذباب ، قول من جهل معنى الحديث ، وعجز عن فهمه .

والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة .

وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شىء علما ، حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لايجوز مخالفته . بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور(٢).

وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد ، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات .

بينما الذى نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى من عند الله تعالى ، العليم بخفاء ماغاب عن الخلق جميعا .

ولازال علماء الطب يطلون على العالم فى كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية واقية لم تكن عرفت من قبل .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٣٠-٢٣١ .
قال ابن الأثير : "الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون ، فلايعض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا" . النهاية ١٩٥/٤ . وانظر : لسان العرب ٧٢٣/١ ، الصحاح ٢١٤/١ مادة (كلب) .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٢١ .

فلماذا لايكون مايحمله الذباب على جناحه من شفاء مما خفى علمه عن الأطباء حتى اليوم ؟

إذ عدم العلم بالشىء لايستلزم العلم بعدمه .

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبي عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقه أو بطلانه ؟ وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحى الله إليه ؟

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برهان قائم بنفسه لايحتاج إلى دعم خارج عنه ، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين ، وإن لم يكونوا كذلك فيلزمهم التوقف إن كانوا عقلاء . والمسلم لايهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب مادام ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة .

ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ماجاء فى هذا الحديث من الناحية الطبية ، وهنالك كثير من البحوث والمقالات فى هذا الجانب ، منها المطول ومنها المختصر .

أختار من بينها ماذكره أحدهم فى محاضرة بجمعية الهداية الإسلامية بمصر حيث قال :

"يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضاً ، فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ"مبعد البكتريا" وهى تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ، ولايمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير فى جسم الإنسان فى حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية فى أحد جناحى الذباب ، هى أنه يحول البكتريا إلى ناحيته ، وعلى هذا فإذا

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذى يحمله الذباب فى جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة ، وكاف فى ابطال عملها"(١).

فالعلم الحديث يؤيد ماجاء فى الحديث ويعضده ، فهل بقى للمتشبثين بذلك من حجة يحتجون بها ؟ اللهم إلا الهوى .

(٤) الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ... الخ .

زعم قصد ماوراءه ، من تحقير للحديث وتهوين لأمره ، وتنفير الناس عنه ، وهى دعوى تردد وتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما ، ولذلك يكثرون من ذكر هذه العبارات التى لاتدل إلا على تنصل صاحبها من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمل بها.

والإسلام دين كامل ، بعقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، لايحقر جزء من جزئياته ، ولافرع من فروعه ، ولايستهان به . وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرائع الإسلام من غير تفريط فى جانب منها مع القدرة على ذلك .

قال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين}(٢).

قال ابن كثير رحمه الله فى معنى هذه الآية :

"يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ماستطاعوا من ذلك"(٣).

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٥٥/٤ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠-٢٠١ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/١ .

والقـول بأنه لم يعمل به أحد مـن المسلمين ، قـول عار عن الصحة ، ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها .

روى عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة أنه حدثه قـال : "كنا عند أنس ، فوقع ذباب فى إناء فقال أنس بأصبعه فغمسه فى ذلك الإناء ثلاثا ثم قـال : بسـم اللـه . وقال : إن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أمـرهم أن يفعلـوا ذلك"(١).

---

(١) ذكره الحافظ فى الفتح .

ثم قال :

"ورجالـه ثقات ، ورواه حماد بن سلمة عن ثمامة فقال : "عـن أبى هريرة"ورجحها أبو حاتم ، وأما الدارقطنى فقال : "الطريقان محتملان" . فتح البارى ١٠/٢٥٠-٢٥١

وقوله : قال أنس : يراد به الفعل . لأن العرب تجعل القول عبارة لجميع الأفعال وتطلقه على غير اللسان والكلام فتقول : قال بيده : أى أخذ . وقال برجله : أى مشى ... الخ .

انظر : النهاية ٤/١٢٤ ، القاموس المحيط ص١٣٥٨ .

وعبـد اللـه بن المثنى هو ابن عبـد اللـه بن أنس بن مالك الأنصـارى ، أبو المثنى البصـرى ، روى عن عمومته والحسـن وعنه ابنه محمد ومسـدد وعبـد الواحد بن قياس .

قال ابن معين وأبو زرعة : صالح . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق كثير الغلط .

انظـر : الجرح والتعديل ٥/١٧٧ ، الكـاشف ٢/١٢٣ ، تقـريب التهـذيب ١/٤٤٥ .

وعمه ثمامة هو ابن عبد الله بن أنس بن مالك ، الأنصارى ، البصـرى ، قاضيها .

روى عن جده والبراء وعن أبى هريرة مرسلا . وعنه عبد اللـه بن المثنى ومعمر .

قال أبو حاتم والذهبى : ثقة . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق .

انظـر : الجرح والتعـديل ٢/٤٦٦ ، الكـاشف ١/١٧٤ ، تقـريب التهـذيب ١/١٢٠ .

وروى أحمد من طريق سعيد بن خالد قال : "دخلت على أبى سلمة فأتانا بزبد وكتلة فأسقط ذباب فى الطعام ، فجعل أبو سلمة يمقله بأصبعه فيه فقلت : ياخال ! ماتصنع ؟ فقال : إن أبا سعيد الخدرى حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام ، فأمقلوه ، فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء"(١).

فأنس صحابى ، وأبو سلمة تابعى ، وقد عملا بمضمون هذا الحديث ، فكيف يزعم بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به ؟

هذ دعوى وغيرها الكثير يطلقها أولئك القوم من غير علم ولاتحقيق ليخضعوا بها السذج من الناس ، ويحدث من جرائها شر وفساد عريض .

والقول بأنه لادخل له فى التشريع وأنه من أمور الدنيا قول يحتاج إلى مايدل عليه ، فالحديث فيه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تكليف على العباد بفعل ذلك ، ولم يأت مايخالفه ، وثبت العمل به ، فما الذى يحظر دخوله تحت أمور التشريع ؟

---

(١) مسند أحمد ٦٧/٣ .
وأخرج البيهقى فى سننه نحوه ، كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل ٢٥٣/١ .
قال الشيخ ناصر الدين الألبانى (عن إسناد أحمد) :
"وهذا سند صحيح رجاله ثقات - رجال الشيخين غير سعيد بن خالد وهو القارظى وهو صدوق كما قال الذهبى والعسقلانى" .
سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .
والكتلة : هى ماجمع من التمر والطين واللحم وغير ذلك.
انظر : القاموس المحيط ص١٣٥٩ . وانظر النهاية ١٥٠/٤ .
وسعيد بن خالد : هو ابن عبد الله بن قارظ ، الكنانى ، المدنى ، حليف بنى زهرة روى عن ربيعة بن عباد وابن المسيب ، وعنه ابن أبى ذئب وابن إسحق . صدوق انظر : الكاشف ٣٥٨/١ ، تهذيب التهذيب ٢٠/٤ ، تقريب التهذيب ٢٩٤/١ .
وأبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، المدنى ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل : إسماعيل . أحد الأئمة الثقات المكثرين . روى عن أبيه وعائشة وأبى هريرة ، وعنه ابنه عمر والزهرى ومحمد بن عمرو . مات سنة ٩٤هـ .
انظر : الكاشف ٣٤٢/٣ ، تهذيب التهذيب ١١٥/١٢ ، تقريب التهذيب ٤٣٠/٢ .

والزعم بأن الأمور الدنيوية من الآراء المحضة ، وجعل ذلك قاعدة عامة ، لايصح ، لأن أمور الدنيا منها ماهو خاضع لأحكام الشرع . فهى داخلة تحت الأمر بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنهى عن مخالفته وأمره صلى الله عليه وسلم قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً (١) .

وقياس حديث الذباب بحديث تأبير النخل غير صحيح ، وبيان ذلك :

روى مسلم من حديث طلحة بن عبيد الله قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل . فقال : " مايصنع هؤلاء؟" فقالوا : يلقحونه . يجعلون الذكر فى الأنثى فيتلقح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ماأظن يغنى ذلك شيئاً " . قال : فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه . فإنى إنما ظننت ظناً . فلاتؤاخذونى بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً ، فخذوا به ، فإنى لن أكذب على الله عز وجل " (٢)

وفى حديث رافع بن خديج ، قال صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر إذا أُمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به . وإذا أمرتكم بشىء من رأى فإنما أنا بشر " . قال عكرمة : " أو نحو هذا " (٣).

وفى حديث عائشة وأنس رضى الله عنهما ، قال صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بأمر دنياكم "(٤) .

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٨ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، رقم ٤٣ ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً دون ماذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأى ، رقم ٣٨، حديث رقم ٢٣٦١، ٤/١٨٣٥ .
(٣) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٢، ٤/١٨٣٥-١٨٣٦.
(٤) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٣، ٤/١٨٣٦ .

قال النووى رحمه الله :

"قال العلماء : قوله صلى الله عليه وسلم "من رأى" : أى فى أمر الدنيا ومعايشها لاعلى التشريع ، فأما ماقاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعاً يجب العمل به . وليس أبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله ، مع أن لفظة "الرأى" إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله فى آخر الحديث : قال عكرمة : "أو نحو هذا" فلم يخبر بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم محققاً . قال العلماء : ولم يكن هذا القول خبراً وإنما كان ظناً كما بينه فى هذه الروايات . قالوا : ورأيه صلى الله عليه وسلم فى أمور المعايش وظنه كغيره فلايمتنع وقوع مثل هذا ولانقص فى ذلك،وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها"(١).

فما وقع فى حديث التأبير كان ظناً منه صلى الله عليه وسلم ، وهو صادق فى ظنه ، وخطأ الظن ليس كذباً ، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "فإنى لن أكذب على الله" ، وفى ذلك دليل على امتناع أن يكذب على الله خطأ ، لأن السياق فى احتمال الخطأ(٢).

وقد رجع عن ظنه الذى ظنه فى حديث تأبير النخل وذلك فى قوله : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه" .

وهذا بخلاف ماجاء فى حديث الذباب ، فإنه أخبر بأن فى أحد جناحيه داء والآخر شفاء وهذا لايكون إلا بوحى من الله تعالى ، وهو أمر لايحتمل خلاف ماأخبر به ، ثم أمر بغمس الذباب ، وهذا حكم بنى على العلة السابقة ، ثم لم يأت ماينقض هذا الأمر ولاذاك الخبر فوجب التسليم والإذعان ، وعدم الرد والإنكار .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١١٦/٥ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وهو لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم ، كما غلط من غلط فى ظنه أن (الخيط الأبيض) و(الخيط الأسود) هو الحبل الأبيض والأسود" .

الفتاوى ١٢/١٨ .

(٥) والقول بأن تصحيحه من المطاعن التى تنفر عن الإسلام ... الخ ماذكروا .

قول ساقط يحمل بين طياته استدراكاً على النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان أحرص الناس على دين الله عز وجل ، وأنصح الخلق إلى الخلق ، وأكثر العباد خشية وتقوى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حمى جناب الإسلام وسد كل منافذ الطعن والقدح فيه ، وهو أعلم الناس بذلك ، وأحرص على هدايتهم وإبلاغهم دين الله عز وجل .

وليس فى شريعة الله تعالى ماينفر إذ هى شريعة تقبلها القلوب السليمة وتقتنع بها العقول الصحيحة والتنفير لايكون فيها وإنما يكون فى الحاملين لها القائمين بأمرها .

ففى حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه فى بعض أمره قال : "بشروا ولاتنفروا . ويسروا ولاتعسروا"(١).

ولذلك كان يغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً إذا فعل أحد أصحابه ماينفر .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير (٣) ، برقم ١٧٣٢ ، ١٣٥٨/٣ .
وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا" هذا لفظ البخارى . ورواية مسلم "سكنوا" بدلا من "بشروا" .
صحيح البخارى ، كتاب العلم(٣) ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة (١١) ، ٢٥/١ .
صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ، برقم ١٧٣٤ ، ص١٣٥٩ .
وفيهما من حديث أبى موسى عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن قال : "يسرا ولاتعسرا وبشرا ولاتنفرا ، وتطاوعا ولاتختلفا" .
صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب مايكره من التنازع والاختلاف فى الحرب (١٦٤) ، ٢٦/٤ .
صحيح مسلم ، الكتاب والباب والجزء والصفحة السابقة ، برقم ١٧٣٣ .

من ذلك ماجاء فى حديث أبى مسعود الأنصارى ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ، مما يطيل بنا. فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ . فقال : "ياأيها الناس إن منكم منفرين . فأيكم أم الناس فليوجز . فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة"(١).

هذه حاله صلى الله عليه وسلم إذا حدث من أصحابه ماينفر ، فهل يعقل أن تكون أقواله التى نطق بها ، وأفعاله التى فعلها منفرة للناس ؟

وأين موضع التنفير فى هذا الحديث ؟ ألأنه أثبت أن فى جناح الذباب شفاء ؟ أيكون هذا تنفيراً ؟ يالخفة العقول ! وأين هذه الشبهة التى يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام ؟

وهل وقف أعداء الإسلام فيما يثيرونه من شبه عند حديث الذباب وحده ؟ بل قد أثاروا شبهاً لاحصر لها فى أمور لاتخفى على أحد ، بل حتى القرآن الذى نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر هل سلم وسلمت أحكامه من شبه أعداء الإسلام ؟

وهل إذا رددنا حديث الذباب بل رددنا السنة كلها ، يكف ذلك عنا شبههم ؟ ويستجيبون بعد ذلك لديننا ويلتزمون بشريعتنا ؟

بل لو تتبعنا شبههم ـ قاتلهم الله ـ ورددنا كل أمر اشتبهوا فيه مابقى لنا من ديننا مانتمسك به .

ولماذا هذه المجاملة ، وهذا التنازل لأعداء الإسلام على حساب ديننا ؟ ومالذى يضرنا من شبههم ونحن موقنون بأن ماجاءنا به رسول الله صلى

---

(١) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه ، فى كتاب العلم(٣) ، باب الغضب فى الموعظة والتعليم (٢٨) ، ٣١/١ ، وكتاب الأذان (١٠) ، باب تخفيف الإمام فى القيام (٦١) وباب من شكا إمامه إذا طول (٦٣) ، ١٧٢/١-١٧٣ ، وكتاب الأدب (٧٨) ، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل (٧٥) ، ٩٨/٧ ، وكتاب الأحكام (٩٣) ، باب هل يقضى الحاكم أو يفتى وهو غضبان (١٣) ، ١٠٩/٨ . وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، فى كتاب الصلاة (٤) ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فى تمام (٣٧) ، برقم ٤٦٦ ، ٣٤٠/١ .

الله عليه وسلم هو الحق الذى لامرية فيه ، ومايقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لاقيمة لها من الصحة .

وهل بعد ظهور مايؤيد صدق الحديث من الناحية الطبية ، تظل شبههم عالقة به ؟

وماموقف رشيد رضا وأبى رية ومن على شاكلتهم حينئذ ؟ ألا يصبح رد هذا الحديث والطعن فيه شبهة يستغلها أعداء الإسلام ؟ لأن الطعن فيه حينئذ يكون طعناً فيما ثبت بالعلم الحديث .

(٦) القول بأن البحث فيه عقيم ... الخ .

قول من جهل مقام النصوص وضعف احترامه لها إن لم يكن قد عدم تماماً .

إن مابذله بعض الأطباء الأفاضل من جهود حول تأييد هذا الحديث من الناحية الطبية ، يجب أن يشكروا عليه ولايذموا بما قدموا ، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك دفع الشبه التى ألصقت بهذا الحديث ، وبيان أن العلم الحديث لاينافيه .

والحقيقة إن هذه البحوث وإن كانت تزيد الإنسان إيماناً بصدق الحديث ، إلا أن الإيمان به لايتوقف عليها ، إذ الحديث حجة قائمة بنفسه .

ويكفى فى فضل هذه البحوث أنها نقضت مازعمه أبو رية من وجوب ترك البحث فى هذا الحديث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لايمكن نقضها ولايرد حكمها .

والذى يعجب منه الإنسان أن نظريات الغرب المتناقضة المختلفة التى لاتستقر على حال ، تصبح عند هؤلاء أحكاماً مسلمة لاتنقض ولاترد ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم الصادق الذى لاينطق عن الهوى يطعن فيه ويرد بغير حجة ولادليل .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث ، لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة ، من المكروبات ونحوها ، وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسمى ، فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لايصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا ماخالف مايسمونه "الحقائق العلمية" وأن يردوا من السنة الصحيحة مايظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد"(١).

---

(١) مسند أحمد ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٥/١٢ . الهامش .

الفصل الثانى
تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين
وأثر ذلك فى إثارة الشبه حول السنة

إن الله عز وجل حذر رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وذلك لتنكبهم عن الطريق وانحرافهم عن الحق .

فقال سبحانه : {ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير}(١).

والخطاب له خطاب لأمته ، كماقال الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله : {ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير} قال :

"فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة عياذاً بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمته"(٢).

وقد جاءنا صلى الله عليه وسلم بالهداية التامة والشريعة الكاملة التى لانحتاج بعدها إلى ماعند اليهود أو النصارى ، لأنهم لاهداية عندهم وهم الذين ضلوا الطريق ، وتشعبت بهم الأهواء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من البينات والهدى ، هداية جلت عن وصف الواصفين ، وفاقت معرفة العارفين ، حتى حصل لأمته المؤمنين عموماً ، ولأولى العلم منهم خصوصاً ، من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٣/١ .

مالو جمعت حكمة سائر الأمم ، علماً وعملاً ، الخالصة من كل شوب ، إلى الحكمة التى بعث بها ، لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما ، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى"(١)

ويستحيل على من ضل الطريق ، وتاه فى دياجر الظلمات أن يهدى غيره ، لأن الضلال لاينتج هدى ، والظلام لايبعث نوراً ، والباطل لايقذف حقاً .

وأناس يتربصون بنا الدوائر ، ويحيكون لنا الدسائس ، ويبذلون كل مافى وسعهم ليطفئوا دين الله لايمكن أبداً أن يكون منهم نصرة لهذا الدين، فيجب الحذر من كل كلمة يقولونها وعبارة يتفوهون بها ، لأن هدفهم إضلالنا، وإبعادنا عن إسلامنا كما قال سبحانه : {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم}(٢).

هذا الحسد وذاك الحقد هو الذى دفعهم إلى أن يتطاولوا على الإسلام بشىء من الشبه . فمنذ أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا ، لم تخمد نار عداوتهم ولم ينطف لهيبها ، ولم يتركوا طريقاً إلا وأرادوا أن ينفذوا من خلاله للنيل من الإسلام .

ومما يؤسف له أن يجد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى بين أبناء المسلمين من تفلتت عن قيود الشرع عقولهم فافترسوا تلك العقول الذاهلة عن الحقيقة فانساقت وراءهم ممسكة بأذيالهم ، تتلمس فى ظلامهم أشعة النور ، وفى ضلالهم طريق الهداية ، وصدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم:

"لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم" .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٤/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩

قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن؟"(١).

فقد تتبع هؤلاء خطوات أعداء الإسلام ، وتلقفوا شبهاتهم ، يرددونها كالببغاوات فى كل وقت ويدندنون بها فى كل محفل ، فكانوا ساعداً أيمن لأولئك الحاقدين .

وماهذا إلا لجهلهم بمكائد الغرب التى انطوت عليها نفوسهم .

وفى الحقيقة لايعرف خطر الغرب إلا أصحاب العقول النيرة التى جعلت من الشرع ميزاناً تميز به معالم الحق من بين غياهب الضلال ، ومن لم يستنر عقله بنور الوحى سهل انقياده لكل ناعق ، واستجابته لكل زاعق ، وانخدع ببهارج الغرب وزخارفه ، فظن الحياة عند الموتى ، والسعادة عند الأشقياء ، والنجاة عند الهلكى حيث تهيمن المادة وتنقطع الروح .

قال محمد أسد "ليوبولد فايس" :

"فالمدنية الغربية إذن لايمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الإسلامى من سباته العقلى والاجتماعى ، ذلك السبات الذى أدى إلى انحلال مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لاحياة لها ولاباعث أخلاقياً فيها . فأين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحى والعقلى الذى هم اليوم فى أشد الحاجة إليه؟ إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه ، بل إنه متضمن فى السؤال نفسه .

إن الإسلام ليس اعتقاداً بالجنان فقط ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب من حديث أبى سعيد الخدرى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ١٤٤/٤ .وفى كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن من كان قبلكم (١٤) ، ١٥١/٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً . واللفظ له . كتاب العلم (٤٧) ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٣) برقم ٢٦٦٩ ، ٢٠٥٤/٤ .

ويمكن أن يهدم الإسلام باتخاذ المسلمين ثقافة أجنبية تختلف عنه اختلافاً جوهرياً فى أسسها الأخلاقية ، وكذلك يمكن أن ينتعش حالما يرجع به إلى الحقيقة الخاصةبه ، وتنسب إليه قيمة هى العنصر الذى يقرر ثم يؤلف كياناً الفردى والاجتماعى فى جميع نواحيه"(١).

إن الانبهار بالغرب هو الذى أثر فى تلك العقول فانحرف أصحابها يقلدون دعاة المادية والإلحاد فى كل شىء حتى فى معرفة ديننا ، وبيان إسلامنا .

إن خطر الغرب بين ، وانحرافه واضح ، وإن تعددت أساليبه التى يحارب بها الإسلام ، فهو على كل حال عدو خارج عن نطاق الإسلام ، ولكن يكمن الخطر ويزداد أمره إذا استعملت أسلحةالغرب بأيد تنتمى إلى الإسلام يظن كثير من أبنائه أن أصحابهاحادبون على نصرة الإسلام والذود عنه .

فهؤلاء الذين هجموا على حصن السنة بأسلحة الغرب يريدون تهشيمه إنما يقدمون خدمة جليلة لاتقدر بقيمة لأعداء الإسلام من المستشرقين ، لأنهم يهدمون السنة من داخل حصونها .

يقول محمد أسد :

"إن أمثال هؤلاء الناس من الذين ينكرون السنة ويحاربون المسلمين إنما هم أنصار للمستشرقين والاستشراق بصورة غير مباشرة لأنهم بشهرة التسلط ، وبحكم تجاهلهم لحقيقة الإسلام يخدمون نفس الغرض الذى يسعى إليه المستشرقون والمستعمرون على السواء ، فمن ينكر بعض أركان الإسلام وتعاليمه ومن يعمل على الطعن فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم إنما يعمل ذلك خوفاً على ذهاب سلطانه ، وإن من ينكر السنة إنما مصدره الشعور بالنقص والخذلان مما يدعوه إلى التعالى على دين الله سبحانه وتعالى وعلى شريعته لتظهر نفسه الدنيئة فوق الحق ولكن الحق يظهر أبلج وإن

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص٨٥ .

طال الأمد"(١).

وقال : "ذلك لأن التأثر بأسلوب الحياة ومناهج التفكير فى الغرب يأخذ مكانه فى نفس كل شخص يجهل حقيقة دين الإسلام وحقيقة الحضارة الإسلامية وكل منهم يتأثر بنوع الحياة التى عاشها فى الغرب"(٢).

وقال : "إن الجيل المسلم الحاضر مستعد لأن يكبر كل شىء غربى وأن يتصد لكل مدنية أجنبية لأنها أجنبية ولأنها قوية وبراقة من الناحية المادية . هذا التفرنج كان أقوى الأسباب التى جعلت أحاديث النبى وجعلت جميع نظام السنة معها لاتجد قبولاً فى يومنا هذا . إن السنة تعارض الآراء الأساسية التى تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة ، حتى إن أولئك الذين خلبتهم الثانية لايجدون مخرجاً من مأزقهم هذا إلا برفض السنة على أنها غير واجبة الاتباع على المسلمين ، ذلك لأنها قائمة على أحاديث لايوثق بها . وبعد هذه المحاكمة الوجيزة يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم ، لكى تظهر موافقة لروح المدنية الغربية ، أكثر سهولة"(٣).

فهذاوصف دقيق لرجل خبر ماعند الغرب وعرف موضع الداء ، فكان ناصحاً لأبناء الإسلام حتى لايغتروا بما يقذفه لهم الغرب من شبهات ومطاعن تحت ستار خفى سموها تحقيقاً علمياً .وهى أبعد ماتكون عن العلم ، وقد انخدع بذلك كثيرون فكانوا وبالاً على الإسلام وأهله . ونشروا تلك الشبهات بين المسلمين فانخدع بها ضعاف الأحلام ، قليلوا البضاعة من علم الكتاب والسنة وفقههما ، فروجوا لها ، وشاع أمرها ، حتى أصبح كثير منهامادة تدرس ضمن مناهج التعليم فى كثير من الأقطار الإسلامية ، فيتربى عليها أجيال من أبناء المسلمين ، ونتج عن ذلك شر وفساد عظيم ، وخاصة إذا وسد إلى بعض هؤلاء الذين أشربت أفكارهم وأدمغتهم تلك الشبه ، أمور التوجيه والتربية والتعليم .

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص٧٤-٧٥ .
(٢) المرجع نفسه ص٧٧ .
(٣) المرجع نفسه ص٩٧-٩٨ .

فكان الواجب أن تكشف تلك الشبهات ، ويبين فسادها ، ويحذر من مروجيها والدعاة إليها ، خاصة أولئك الذين حازوا على شهرة وصيت فى بعض الأوساط الإسلامية ، واغتر بهم كثير من شباب الإسلام ، بل ومن عامة المسلمين . ولاشك أنه قد بذلت جهود من علماء أفاضل دحضوا بها ماألصق بالسنة النبوية من شبهات المستشرقين وأذيالهم نقف على بعضها من خلال تتبع تلك الشبه وكشفها .

وسوف يتبين لنا بعد عرض تلك الشبه أن أكثرها تكرار لشبه المستشرقين السابقة وترداد لمزاعمهم الباطلة .

وماكان من هؤلاء المحدثين إلا أن أخذوا شبه الاستشراق فعضدوها وزادوا عليها أموراً غفل عنها أولئك أو جهلوها .

وهؤلاء وإن كانوا ينسبون إلى الإسلام ويعدون من أبنائه إلا إنهم يفكرون بعقول غربية ، ويكتبون بأقلام استشراقية . ولاشك أنهم يعلمون من الإسلام أكثر مما يعلمه المستشرقون ، ولذلك كان خطرهم أعظم ، وشرهم أشد .

وسوف أتناول بالرد الأمور التى لم يسبق الرد عليها ، وأشير إلى المواضع التى سبق التعرض إليها ، خشية الإطالة والتكرار .

عرض شبه المدرسة العقلية الحديثة والرد عليها:ـ

(١) التشكيك فى صحة الحديث بالوضع والاختلاط :

قال محمد توفيق صدقى :

"ولع الناس فى الأعصر الأولى بالروايات القولية ولوعاً ، وتفاخروا بكثرة جمعها جموعاً ، حتى ملأت الأحاديث الآفاق ، وكثر فيها التضارب والاختلافات .

نظر المجتهدون فى الأحاديث نظرة فعلموا مافيها من الاختلاف . وتحققوا أن أكثرها موضوعات ، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ماصح عند غيره . فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لايمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟

فلو كان العمل بما فى الأحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أى شغل آخر ويقضى الليالى الطويلة فى مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث ، ليعرف الضعيف والصحيح ، والموضوع ، والحسن ، والموقوف والمرفوع ، والناسخ والمنسوخ .

فهل فى شرعه الإنصاف أنى   أكلف خطة لاتستطاع"(١)

وقال :

"هل كل ماتواتر عن النبى أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية فى جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر فى القرآن؟ رأيى إنه لايجب"(٢).

وقال : "وخلاصة القول فى هذا الموضوع إننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (الكتاب

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٩ ، ص٥١٦ .
وبيت الشعر يعكس صورة مماثلة لعقيدة المعتزلة فى العدل الإلهى .

(٢) المرجع السابق ، نفس المجلد ، ص٥١٧ .

والقيـاس) وأما السنة فما زاد منهـا عن الكتاب إن شئنـا عملنا به وإن شئنا تركنـاه . ومافيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والـرأس . وكذلك أى حكم من أى مصدر آخر"(١).

وقال سيد أمير على :

"إن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرر العقل من القيود ويجب أن نطـرح التمسـك بالظـواهر تمسكاً صـورياً لأنه أصبح عـديم الأثر ويجب أن تكـون أحكامنا صادرة عن استعمال العقل وعما نستشعـر أنه حق وملائم فى ظرف ما ، للإسلام قدرة على صبـغ ماعداه بصبغته ، وسيبقـى جوهره ، وإن تغير مظهره ـ ولو أن الأئمة كانوا أحراراً فى استعمال رأيهـم ونبذوا بشجاعة خمسمـائة ألف من الأحاديث واستبقـوا منها ثمانية آلاف إذاً لجعلنـا لأنفسنـا مثل هذه الحرية ، ولماذا يظن إنسان أن الإسلام صار مسبوكاً فى قالب لايتغير بعد الإجماع على الكتب الستة؟"(٢).

وقال أحمد أمين :

"فقد روى عن الإمام أحمد بن حنبل : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم ، والمغـازى ... وظـاهر هـذه الجملـة أن الأحاديث التى وردت فى التفسير لاأصل لها وليست بصحيحة ، والظاهر ـ كما قال بعضهم ـ أنه يريد الأحاديث المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى التفسير ، أمـا الأحاديث المنقـولة عـن الصحابة والتـابعين فلاوجه لإنكـارها ، وقـد اعترف هـو نفسـه ببعضها"(٣).

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٩ ، ص٥٢٢ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص١٤٩ الهامش .
نقلاً عـن كتـاب (روح الإسلام) لمحمـد عبـد الهـادى أبو ريدة ص١٢٦ . وهـو ترجمة لكتاب (وجهة الإسلام) لسيد أمير على .
وقد نقل أبو رية هذه الكلمة واستحسنها .

(٣) ضحى الإسلام ١٤١/٢ .

وللإجابة على ذلك :

يمكن أن أجمل ماأثير من شبه حول هذه الحيثية فى النقاط الآتية :

(١) كثر التضارب والاختلاف فى الأحاديث[١].

(٢) إن أكثر الأحاديث موضوعة ، ولو كان الأئمةأحرارا لنبذوا بشجاعة خمسمائة ألف من الأحاديث واستبقوا منها ثمانية آلاف[٢].

(٣) لايدين الله العالمين بشىء لايمكن لأحد أن يميز حقه من باطله[٣].

(٤) يجب الاقتصار على الكتاب والقياس أو الكتاب والعقل . ومازاد من السنة على الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه[٤].

(٥) لايجب العمل بالأحاديث ، ولايجب على الأمة أن تعمل بكل ماتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم .
ولو كان العمل بها واجبا للزم كل مكلف أن يتعرف على الصحيح والضعيف والموضوع ... الخ .

(٦) أراد كل من المجتهدين أن يستخرج مذهبه فاضطر أن يرفض من السنة ماصح عند غيره .

(٧) قول الإمام أحمد : "ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى" .

ويجاب على مالم تسبق الإجابة عنه بالآتى :

أولا : القول بعدم وجوب العمل بالأحاديث ، قول مخالف للحق مجانب للصواب .

فقد جاءت آيات كثيرة فى كتاب الله تأمر بالتمسك بالسنة والالتزام بها[٥]. والقصد من ذلك العمل لاالعلم وحده .

---

(١) انظر ص٤٦٤، ٥٥٨ للجواب عن ذلك .

(٢) انظر ص٥١٢ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٣) انظر ص١٢٢ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٤) انظر ص٢٠ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٥) انظر ص٨ فما بعدها .

كما جاءت الأحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم تأمر بالتمسك بالسنة والعمل بها(١).

والسنة كالكتاب تماماً فى أخذ الأحكام والعمل .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على الاحتجاج بالأحاديث والعمل بها ولو لم يوجد لها أصل فى القرآن ، ولايعلم عن أحد خالف فى ذلك ، فكان أحدهم إذا عرض له أمر طلب حكمه فى القرآن فإن لم يجد ففى السنة ، فإن لم يجد اجتهد فى حدود القرآن والسنة وأصول الشريعة(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى :

"أما مالم يثبت منها - أى الأحاديث - ثبوتاً تقوم به الحجة فلاقائل بوجوب قبوله والعمل به . وأما الثابت فقد قامت الحجج القطعية على وجوب قبوله والعمل به ، وأجمع علماء الأمة عليه .. فمنكر وجوب العمل بالأحاديث مطلقاً تقام عليه الحجة ، فإن أصر بان كفره . ومنكر وجوب العمل ببعض الأحاديث إن كان له عذر من الأعذار المعروفة بين أهل العلم ومافى معناها فمعذور ، وإلا فهو عاص لله ورسوله ، والعاصى آثم فاسق . وقد يتفق مايجعله فى معنى منكر وجوب العمل بالأحاديث مطلقاً"(٣).

ثانياً : الزعم بأن كلاً من المجتهدين رفض من السنة ماصح عند غيره زعم مخالف لما كان عليه أولئك المجتهدون من تعظيم السنة واحترامها وعدم الاستهانة بها .

ومعاذ الله أن يوصف الأئمة العلماء برفض السنة ، وهم حملتها وحماتها ، والذابون عنها كل دخيل وغريب عنها ، وقد سبقت أقوال الأئمة الأربعة فى التمسك بالسنة وعدم تركها لقول كائن من كان(٤).

---

(١) انظر ص: ١١ فما بعدها .

(٢) دفاع عن السنة ص١٥ بتصرف .

(٣) الأنوار الكاشفة ص٨١-٨٢ .

(٤) انظر ص: ٥٨٠ فما بعدها .

وكون أحد العلماء المجتهدين لم يعمل بحديث صحيح عمل به غيره ، أو أنه أفتى بخلافه ، لايدل ذلك على رفضه للحديث ، فلعل الحديث لم يبلغه أو بلغه ولكن لم يصح عنده ، أو صح ولكنه عارضه عنده ماهو أقوى منه ، أو رآه منسوخاً . إلى غير ذلك من الاعتبارات الشرعية ، وهو معذور بذلك(١).

وقد يرى العالم اشتهار حديث ما فيظن أن له أصلاً صحيحاً فيأخذ به فيأتى غيره فيبحث فيه فيجده ضعيفاً فيدعه ، وقد يبلغ العالم حديث فيرى أن أهل العلم خالفوه فيمسك عنه ظاناً أنه ضعيف ، فيأتى آخر فيتبين له صحة الحديث ، وأن هنالك من العلماء من أخذ به ،ومن لم يأخذ به لم يقف عليه فيأخذ به ويفتى بموجبه(٢). وهذا لايسمى رفضاً للسنة أبداً .

ثالثاً : قول الإمام أحمد يجاب عنه بما يلى :

(١) لايطمئن إلى صحة هذا القول ، وذلك أن الإمام أحمد رحمه الله أورد كثيراً من أحاديث التفسير فى مسنده ، فكيف يعقل أن يذكر تلك الأحاديث ويثبتها فى مسنده ثم يزعم بأنه لم يثبت شىء منها؟ ويلزم من عبارته أن يكون كل ماروى من أخبار العرب ومغازى المسلمين مكذوباً ، ولاأحد يقول بذلك .

(٢) على فرض صحته ، لايلزم من نفى الصحة ، الوضع ، فقد تنتفى الصحة ولاينتفى الحسن .
وقد عرف عنه رحمه الله أنه نفى الصحة عن أحاديث وهى مقبولة ، وقيل إن هذا اصطلاح خاص به .

(٣) لم يقل الإمام أحمد لم يصح فى التفسير شىء ، وإنما قال ثلاثة ليس لها أصل ، والظاهر أنه يريد كتباً خاصة بهذه العلوم ، وقد جاء مصرحاً فى رواية : "ثلاثة كتب".

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص٢١٢ .
(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٤٥ .

(٤) يحتمل أن يريد بذلك أن الذى صح فى التفسير من الأحاديث قليل بالنسبة لما لم يصح(١).

نقل السيوطى عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال :

"وأما القسم الذى يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد ، وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازى ، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل"(٢).

وقال بدر الدين الزركشى :

"لطالب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة : الأول : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو الطراز الأول ، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير ...

قال الميمونى(٣): سمعت أحمد بن حنبل يقول : "ثلاث(٤)كتب ليس لها أصول : المغازى والملاحم والتفسير" .

قال المحققون من أصحابه :"ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك الكثير"(٥).

---

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٢٤٤،٢٤٥ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٣٩١/٢ .

(٣) الميمونى : هو عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الجزرى ثم الرقى ، أبو الحسن الميمونى ، ثقة فاضل ، لازم الإمام أحمد أكثر من عشرين سنة ، مات سنة ٢٧٤هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣٥٨/٥ ، تذكرة الحفاظ ٦٠٣/٢-٦٠٤ ، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٣-٩٠ ، تهذيب التهذيب ٤٠٠/٦ ، تقريب التهذيب ٥٢٠/١ .

(٤) هكذا فى المطبوع . والصحيح : "ثلاثة" .

(٥) البرهان فى علوم القرآن ١٥٦/٢ .

(٢) **كتابة الحديث :**

ويمكن أن نجمل أقوالهم فى النقاط التالية :

(١) جاءت أحاديث صحيحة تنهى عن كتابة الأحاديث ، وهى أصح من أحاديث الأمر بالكتابة(١). بل هى ناسخة لها لأنها المتأخرة(٢).

(٢) لو كانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن فى قوله : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} . ولأمر النبى صلى الله عليه وسلم بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن(٣).

(٣) لم تكتب الأحاديث إلا بعد عهده صلى الله عليه وسلم بمدة تكفى لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ماقد حصل(٤).

ولذا حصل فى السنة التبديل والزيادة ككتب أهل الكتاب ، لعدم كتابتها فى عهده ، وعدم حصر الصحابة لها فى كتاب معين ، وعدم تبليغها للناس بالتواتر ، وعدم حفظهم لها جيداً فى صدورهم(٥). ولايمكن بغير كتابة أن يحصر ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثةوعشرين عاماً . مما سهل على قوم أن يستبيحوا الكذب وينسبوه إليه(٦).

(٤) قوله "ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه" :

لو كان صحيحاً لما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابتها ولأمر بتدوينها كما دون القرآن . ولايمكن أن يدع نصف ماأوحى إليه بين الناس بغير كتابة . ولايكون حينئذ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها . ولماذا ترك الصحابة نصف الوحى ولم يدونوه؟ فبإهمالهم إياه يصبحون جميعاً من الآثمين(٧).

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص٢٣-٢٥ .

(٢) انظر : مجلة المنار : المجلد ١٠ ، ص٧٦٧-٧٦٨ .

(٣)،(٤) انظر : المرجع السابق ، المجلد ٩ ، ص٥١٥ .
والآية هى (٩) من سورة الحجر .

(٥) المرجع السابق ، المجلد ٩ ، ص٩١١ .

(٦) انظر : فجر الإسلام ص٢١٠-٢١١ .

(٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص٢٥١-٢٥٢ . والحديث سبق تخريجه ص ؛ ١١

(٥) لم يكتب الصحابة الأحاديث[١]. وماكتبه بعضهم إنما كتبه لنفسه ليحفظه ثم يمحوه[٢]. بل قد رغب كبار الصحابةعن التحديث ونهوا عنه لأنهم لايريدون أن تكون الأحاديث ديناً عاماً[٣].

(٦) تأخر التدوين إلى مابعد المائة الأولى وصدر كبير من المائة الثانية مما أدى إلى اتساع أبواب الرواية ، وبالتالى فاضت أنهار الوضع ، حتى بلغت الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف . وأكثرها مثبت فى كتب السنة المنتشرة بين المسلمين ، ويتعذر التمييز بينها[٤].

(٧) لم يكن لأمر عمر بن عبد العزيز بالتدوين أثر فلعله عوجل عنه ، ولم يأبه لذلك الذين من خلفه[٥].

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص٢٢٣ .
(٢) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٧٦٧-٧٦٨ ، فجر الإسلام ص٢٢٢ .
(٣) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ص٧٦٨ ، أضواء على السنة ص٢٩ .
(٤) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص٨٠،٢٣٣ .
(٥) انظر : فجر الإسلام ص٢٢١-٢٢٢ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن كتابة الحديث وتدوينه بشيء من التفصيل ، وكثير من هذه الشبه أجيب عنها هنالك[١] وبقيت جزئيات تحتاج إلى نقد وبيان.

الأولى : زعمهم أن حديث (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ليس بصحيح ولو كان صحيحاً لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابتها ولأمر بتدوينها كمادون القرآن ... الخ ماجاء في هذه الشبهة .

والجواب عن ذلك :

إن الحديث صحيح ثابت لامطعن فيه لامن جهة نقله وروايته ، ولامن جهة فهمه ودرايته[٢].

أما النقل والرواية فقد سبق تخريجه[٣]. وأما الفهم والدراية فقد دل عليها القرآن الكريم والأحاديث المتكاثرة التي تؤيد هذا المعنى . من ذلك قوله تعالى : {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم}[٤]. وقوله تعالى {وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا}[٥]، وقوله تعالى : {من يطع الرسول فقد أطاع الله}[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم ماإن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي"[٧].

وكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بكتابة السنة كما أمر بكتابة القرآن وتدوينه . أجاب عن ذلك الشيخ عبد الرحمن المعلمي بعد حديثه

---

(١) انظر ص : ٥٦٥ فما بعدها .
(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٣٥٤ .
(٣) انظر ص : ١١
(٤) سورة النحل : آية ٤٤
(٥) سورة الحشر : آية ٧
(٦) سورة النساء : آية ٨٠
(٧) سبق تخريجه ص : ٤٧٤

عن جمع القرآن وكتابته ، ثم قال :

"فأما السنة فمخالفة لذلك فى أمور :

الأول : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعن بكتابتها بل اكتفى بحفظهم فى صدورهم وتبليغهم منها أى بنحو الطريقة الأولى فى القرآن - يعنى طريقة الحفظ - .

الثانى : أنها كانت منتشرة لايمكن جمعها كلها بيقين .

الثالث : أنه لم يتفق لها فى عهد الصحابة مااتفق للقرآن ، إذ استحر القتل بحفاظه من الصحابة قبل أن يتلقاه التابعون ، فإن الصحابة كانوا كثيراً ولم يتفق أن استحر القتل بحفاظ السنة منهم قبل تلقى التابعين .

الرابع : أنهم كانوا إذا هموا بجمعها رأوا أنه لن يكون كما قال عمر فى جمع القرآن : "هو والله خير" ، أى خير محض لايترتب عليه محذور . كانوا يرون أنه يصعب جمعها كلها ، وإذا جمعوا ماأمكنهم خشوا أن يكون ذلك سبباً لرد من بعدهم مافاتهم منها ... وخشوا أيضاً من جمعها فى الكتب قبل استحكام أمر القرآن أن يقبل الناس على تلك الكتب ويدعوا القرآن ... فلذلك رأوا أن يكتفوا بنشرها بطريق الرواية ويكلوها إلى حفظ الله تعالى الذى يؤمنون به"(١).

وأمر القرآن يختلف عن السنة من حيث إنه متعبد بتلاوته ، معجز بنظمه ، ولاتجوز روايته بالمعنى ، بل لابد من الحفاظ على لفظه المنزل ، فلو ترك للحوافظ فقط ماأمن أن يزاد فيه حرف أو ينقص منه ، أو تبدل كلمة بأخرى ، فيختل عند ذلك أحد أركانه وهو النظم . بينما السنة المقصود منها المعنى دون اللفظ ، ولذا لم يتعبد الله الخلق بتلاوتها ، ولم يتحداهم بنظمها، وتجوز روايتها بالمعنى . وفى روايتها بالمعنى تيسير على الأمة وتخفيف عنها فى تحملها وأدائها(٢).

---

(١) الأنوار الكاشفة ص٤٥ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص٢٠٠،٢٠١ .

ومـن المعلوم أن العرب كـانوا أمة أمية ، وكان ينـدر فيهـم الكتبة ، وأدوات الكتـابة عـزيزة ، حتى إن القـرآن كان يكتـب على جريد النخـل ، والعظام ، والجلود كما قال زيد بن ثابت فى جمعه للقرآن : "فتتبعت القرآن أجمعـه من العسب واللخـاف ، وصدور الرجال ..." الحديث(١). ولذا كان التزام كتابة السنة فى عهده صلى الله عليه وسلم فيه مشقة عظيمة لأنها تشمل أقـواله وأفعاله وتقريرياته ، وقـد هيأ الله لها من أسبـاب الحفظ ماهيأ حتى دونت فى الكتب والمؤلفات(٢).

وقـد بلغ صلى الله عليه وسلم الـدين كله وشهد اللـه لـه بهذا البلاغ فقـال : {ياأيهـا الرسول بلـغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعـل فمـا بلغت رسـالته والله يعصمك مـن الناس}(٣). ووجود السنـة بين الأمـة جنبـاً إلى جنـب مع القرآن الكريم فيه أبلـغ دلالة على تبليغ الـرسول صلى اللـه عليه وسلم إياها لأمته .

وبالتـالى لم يضع نصف ماأوحاه الله إليه ـ كما زعـم ـ لأنه صلى الله عليـه وسلم يعلم أن أصحابه يتمتعون بحوافظ قوية ، وقلـوب واعية ، وذكاء مفـرط ، مما يعينهم على حفـظ السنة وتبليغها ، وقد حثهـم على ذلك بقوله

---

(١) وهو جزء من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن (٦٦) ، باب جمع القرآن (٣) ، ٦/٩٨-٩٩ .
وأخرج نحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة براءة (٩) ، باب قوله : {لقد جاءكـم رسـول من أنفسكم} (٢٠) ، ٥/٢١٠-٢١١ . وفى كتـاب الأحكـام (٩٣) ، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً (٣٧) ، ٨/١١٨-١١٩ .
والعســب : جمع عَسِيب وعُسُب : جريدة مـن النخل ، وهـى السعفة مما لاينبت عليه الخوص . النهاية ٣/٢٣٤ .
وانظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٣/٦٦٨ ، الفائق ٢/٤٣١ .
واللخاف : جمع لَخْفَة وهى حجارة بيض رقاق .
انظـر : غـريب الحديث لابن قتيبـة ٣/٦٦٩ ، الفـائق ٢/٤٣١ ، النهـاية ٤/٢٤٤ .
(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٣٢،٣٣ .
(٣) سورة المائدة : آية ٦٧

"نضر الله امرءاً سمع منى مقالة فحفظها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع"(١). وقد تم ماأراده النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ السنة وتبليغها ، ويكون بذلك أيضاً قد بلغ دين الله عز وجل كاملاً ولم ينقص منه شيئاً(٢).

الثانية : زعمهم بأن الصحابة لم يكتبوا الأحاديث ، وماكتبه بعضهم إنما كتبه لنفسه ليحفظه ثم يمحوه . وقد رغب كبارهم عن التحديث ونهوا عنه لأنهم لايريدون أن تكون الأحاديث ديناً عاماً .

والجواب عن ذلك :

لقد كتب بعض الصحابة رضى الله عنهم الأحاديث ، وقد مر طرف من ذلك(٣).

ولو كانت الكتابة من أجل الحفظ فقط ثم محوها لما بقيت بعض الصحف كصحيفة على رضى الله عنه .

ومافعله بعض الصحابة من محو ماكتبوه ، أو أمرهم بذلك ليس لأن الكتابة منهى عنها ، بل إنما فعلوا ذلك خشية أن يشتغل بها الناس عن القرآن فى وقت لم يحفظوا فيه القرآن بعد ، أو لأنهم كانوا يعولون على الحفظ وتنمية ملكتهم فيه شأنهم شأن العرب،أو أن تلك الصحف التى محيت كانت منقولة عن أهل الكتاب فخيف اشتغال الناس بها عن دينهم(٤).

وعلى كل فإن الذين كانوا يكتبون الشىء من أجل حفظه ثم يمحوه . بعض الصحابة ولم يكن ذلك حال الجميع ، فقد كان جماعة منهم يكتبون ويبقون كتبهم .

والصحابة رضى الله عنهم لم يرغبوا عن التحديث ولم ينهوا عنه ، وماجاء محتملاً عن بعضهم ، إنما كان خشية الوقوع فى الخطأ ، أو أن ذلك لعدم تعين وقت الحاجة ، أو أن النهى كان منصباً على الإكثار من التحديث.

ومامن أحد من الصحابة إلا وقد حدث بجملة من الأحاديث منهم المكثر والمقل(٥).

---

(١) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٢

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٢٥٥ .

(٣) انظر ص: ٥٧٠ .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص٢٣٢ .

(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص٤٦ .

وقول الشيخ رشيد إن الصحابة لم يريدوا أن تكون الأحاديث ديناً عاماً . قول لاأساس له ، والقرآن يفضح أمره ويكشف ستره ، بل قد فهم الصحابة من النبى صلى الله عليه وسلم أنه يريد أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً ، وذلك للأدلة الكثيرة من القرآن والسنة الدالة على التمسك بالسنة وعدم مخالفتها كقوله صلى الله عليه وسلم : "فمن رغب عن سنتى فليس منى"(١).

قال الشيخ محمد أبو زهو :

"الحق إن الصحابة فهموا أن السنة دين عام دائم كالقرآن ، وكان هذا أمراً بدهياً عندهم لايحتاج إلى استدلال ، بل هو ضرورة من ضرورات الدين وبدهى عند عامة المسلمين فى جميع الأزمان حتى اليوم"(٢).

وقال :

"فهذه الدعوى من الشيخ ـ عفا الله عنه ـ لاأساس لها بل هى تهدم نفسها بنفسها فضلاً عن أنها تخالف نصوص القرآن الكريم وتتعارض مع ماتواتر من سنة الرسول الأمين ولاتتفق وماأجمع عليه المسلمون فى كافة الأزمان من عهد النبى عليه الصلاة والسلام إلى اليوم"(٣).

الثالثة : الزعم بأن أمر عمر بن عبد العزيز بالتدوين لم يكن له أثر ... الخ زعم لاحقيقة له . وقد بينا من قبل استجابة ابن شهاب الزهرى لأمر عمر بالتدوين ، واعتبار العلماء له بأنه أول من دون الحديث(٤).

---

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (٦٧) ، باب الترغيب فى النكاح (١) ، ١١٦/٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح (١٦) ، باب استحباب النكاح (١) برقم ١٤٠١ ، ١٠٢٠/٢ .

(٢) الحديث والمحدثون ص٢٣٧ .

(٣) المرجع نفسه ص٢٤٢ .

(٤) انظر ص : ٥٧١

وقد ذكر ابن عبد البر أن ابن شهاب قال :

"أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبتها دفتراً دفتراً ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً"(١).

وهذا نص قوى فى دحض هذا الزعم .

(١) جامع بيان العلم ٩١/١-٩٢ .

(٣) رواية الأحاديث بالمعنى :

قال محمود أبو رية ـ بعد أن ذكر أنه بذل جهداً كبيراً فى الدراسة فى المصادر الصحيحة ـ :

".. حتى انتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ، ذلك أنى وجدت أنه لايكاد يوجد فى كتب الحديث كلها مما أسموه صحيحاً ، أو ماجعلوه حسناً ـ حديث ـ قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . كما نطق الرسول به ، ووجدت أن الصحيح على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة! وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها فى بعض الأحاديث القصيرة وذلك فى الفلتة والندرة ، وتبين لى أن مايسمونه فى اصطلاحهم حديثاً (صحيحاً) إنما كانت صحته فى نظر رواته ، لاأنه صحيح فى ذاته . ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته صلوات الله عليه إلا شعاع ضئيل"(١).

وقال :

"لما انكشف لى ذلك كله وغيره ـ مما يحمله كتابنا ـ وبدأت لى حياة الحديث المحمدى فى صورة واضحة جلية تتراءى فى مرآة مصقولة ، أصبحت على بينة من أمر مانسب إلى الرسول من أحاديث ، آخذ ماآخذ منه ونفسى راضية وأدع ماأدع وقلبى مطمئن ، ولاعلى فى هذا أو ذلك أى حرج أو جناح"(٢).

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص٧ ، وانظر : ص٥٤-٥٥،٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص١٣ .

ولكى أجيب على هذه الشبهة لابد من عرض موجز لأقوال أهل العلم فى حكم الرواية بالمعنى .

فقد ذهب كثير من السلف إلى عدم جواز الرواية بالمعنى ، ونصوا على وجوب تأدية الحديث بلفظه ، ولم يوردوا فى ذلك تفصيلاً .

وجوز بعضهم ذلك بشروط(١).

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا أراد رواية ماسمعه على معناه دون لفظه فإن لم يكن عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها خبيراً بما يحيل معانيها بصيراً بمقادير التفاوت بينها فلاخلاف أنه لايجوز له ذلك وعليه أن لايروى ماسمعه إلا على اللفظ الذى سمعه من غير تغيير ، فأما إذا كان عالماً عارفاً بذلك فهذا مما اختلف فيه السلف وأصحاب الحديث وأرباب الفقه والأصول فجوزه أكثرهم ولم يجوزه بعض المحدثين وطائفة من الفقهاء والأصوليين من الشافعيين وغيرهم .

ومنعه بعضهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازه فى غيره ، والأصح جواز ذلك فى الجميع إذا كان عالماً بما وصفناه قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذى بلغه لأن ذلك هو الذى تشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين ، وكثيراً ماكانوا ينقلون معنى واحداً فى أمر واحد بألفاظ مختلفة وماذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ"(٢).

ورواية الحديث بالمعنى بالشروط السابقة هو الذى عليه جمهور الناس سلفاً وخلفاً ، وعليه العمل(٣).

ومع هذافقد أثر عن كثير من الصحابة رضى الله عنهم التشدد فى رواية الحديث بلفظه ، خشية الوقوع فى الخطأ ، وخوفاً من التحريف فكانوا يتحرون ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أعطاهم الله سبحانه وتعالى

---

(١) انظر : كتاب الكفاية ص٣٠٠ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٠٥ .

وانظر : تدريب الراوى ٩٨/٢، ٩٩ .

(٣) انظر : اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص١٣٦ .

حوافظ قوية ، مكنتهم من ضبط الألفاظ النبوية كما هى(١).

والذين أجازوا الرواية بالمعنى إنما أجازوها على أنها رخصة تقدر بقدرها لأنها أصل يتبع ويلتزم فى الرواية(٢).

وهؤلاء الذين أجازوا كانوا عرباً أقحاحاً خلصاً ، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة ، وكانوا على علم بمواقع الخطاب ، ومحامل الكلام ، وقد علموا أن الذى يروونه دين من عند الله تعالى يحرم فيه الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم(٣).

ومع ذلك فان الرواية بالمعنى انما تكون فى الكلمة والكلمتين والثلاث من الحديث وقل أن تقع فى جميعه(٤).

ولم تكن كل الأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم قولية ، بل منها ماهو إخبار عن أفعاله صلى الله عليه وسلم وذلك كثير ، ومنها ماكان أصله قولى ، فيورده الصحابى من غير ذكر القول فيقول : أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا(٥).

وليس كل الأحاديث يجوز روايتها بالمعنى ، بل منها مالايجوز فيه ذلك، كالأحاديث التى من باب التعبد ، كالأذان والتشهد والتكبير والتسليم ، والتى تكون من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، أو التى بها معنى خفى يمكن أن يقع الاختلاف فيه(٦).

كما لاتجوز فى الكتب المدونة ، والصحف المكتوبة ، لأن الترخيص فى ذلك لوقوع الحرج والنصب فى ضبط الألفاظ وذلك لاوجود له فيما اشتملت عليه المصنفات(٧).

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص٧٩ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص١٥٨ .
(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٧٣ .
(٣) انظر : المرجع نفسه ص٣٧ .
(٤) انظر : المرجع نفسه ص٥٢ .
(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص٧٩ .
(٦) انظر : الحديث والمحدثون ص٢٠١ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص١٦٠ .
(٧) انظر : مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٢٢٦ ، تدريب الراوى ١٠٢/٢ .

وحفظ الحديث بلفظه أمر لايستغرب ولايستنكر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وعلماء الأمة الأجلاء ، لما توفر فيهم من الوسائل التى تعينهم على ذلك .

وحفظهم قد اعتمد عليه فى القرآن قبل أن يدون ، وحتى الذى كتب فى تلك القطع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان مفرقاً عند بعض أصحابه لايعرفه إلا من هو عنده ، وسائرهم إنما كان يعتمد على حفظه(١).

ودعوى أبى رية أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى دعوى لاأساس لها من الصحة ، بل كثير من الأحاديث ورد بلفظه ، واتفقت فيه الروايات ، والمتذوق للكثير منها لايشك فى أنها صدرت من كلام أفصح العرب صلى الله عليه وسلم ، وأنها لم تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ولذا أدرك ذلك أئمة اللغة والبيان فألفوا كتباً فى البلاغة النبوية(٢).

وقد ذهب ابن مالك رحمه الله إلى جواز الاحتجاج بما ورد فى الأحاديث على القواعد النحوية ، والاستشهاد بها كشواهد الشعر(٣).

وقول أبى ريةأنه يأخذ مايأخذ من الأحاديث ونفسه راضية ويدع مايدع وقلبه مطمئن ، وجهه الشيخ عبد الرحمن المعلمى توجيهاً يلائم حال أبى رية وموقفه من الأحاديث النبوية فقال :

"فهذه دعوى تحتمل تفسيرين :

الأول : أنه أصبح يعرف بنظرة واحدة إلى الحديث من الأحاديث حقيقة حاله من الصحة قطعاً أو ظناً أو احتمالاً أو البطلان كذلك .

الثانى : أنه ساء ظنه بالحديث النبوى ـ إن لم يكن بالدين كله ـ فصار لايراه إلا أداة يستغلها الناس لأهوائهم ، فأصبح يأخذ منه مايوافق هواه ، ويرد مايخالف هواه ، بدون اعتبار لما فى نفس الأمر من صحة أو بطلان .

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص٧٧ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٥٢ .

(٣) انظر : الباعث الحثيث ص١٣٨ .

مـن الجور أن تزعـم أن مراد أبى ريةهـو ماتضمنه التفسير الأول لأن ذلك باطل مكشوف"[١].

(١) الأنوار الكاشفة ص١١ .

(٤) عرض الحديث على القرآن :

استدلوا على ذلك بحديث : "إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وماخالف فاتركوه"(١).

قال محمد الغزالى :

"انظر موقف عائشة رضى الله عنها عندما سمعت حديث "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"! لقد أنكرته . وحلفت أن الرسول ماقاله . وقالت : - بياناً لرفضها إياه - "أين منكم قول الله سبحانه : {ولاتزر وازرة وزر أخرى}(٢).

إنها ترد مايخالف القرآن بجرأة وثقة . ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة مايزال مثبتاً فى الصحاح بل إن "ابن سعد" فى طبقاته الكبرى كرره فى بضعة أسانيد ... وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامى يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب ، يعتمد على القرآن أولاً ، فإذا وجدوا فى ركام المرويات مايتسق معه قبلوه ، وإلا فالفرقان أولى بالاتباع"(٣).

---

(١) الحديث : يأتى الحديث عنه .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٤ ، سورة الإسراء : آية ١٥ ، سورة فاطر : آية ١٨ ، سورة الزمر : آية ٧ .
وسوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه فى موضعه .

(٣) السنة النبوية ص١٦-١٨ .

والجواب على ذلك :

لقد أجمعت الأمة على أن الحديث الصحيح لايخالف القرآن أبداً ، لأن الحديث بيان للقرآن كما قال تعالى : {لتبين للناس مانزل إليهم}(١)، وهو وحى من عند الله فلايمكن أن يخالف القرآن وإلا فسد الدين بالمعارضة.

وماجاء فى السنة من أحكام ليس لها أصل مستقل غير الآيات الآمرة بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجملة ، لاتكون مخالفة للقرآن ، ولم يدع ذلك أحد من العلماء المجتهدين(١).

ومايدعيه المعارضون من معارضة السنة للقرآن دعوى لاتصح لأن الأحاديث متى ثبتت فلاتخالف القرآن بحال من الأحوال ولاتعارضه .

قال الشافعى رحمه الله :

"كل ماسن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع كتاب الله من سنة فهى موافقة كتاب الله فى النص بمثله ، وفى الجملة بالتبيين عن الله والتبيين يكون أكثر تفسيراً من الجملة ، وماسن مما ليس فيه نص كتاب الله فبفرض الله طاعته عامة فى أمره تبعناه"(٣).

وقال :

"إن سنة رسول الله لاتكون مخالفة لكتاب الله بحال ولكنها مبينة عامة ، وخاصة"(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله فى رده على من يرد السنة بما فهمه من القرآن خطأ :

"والسنة مع القرآن ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن

---

(١) سورة النحل : آية ٤٤

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص٨٠ .

(٣) الرسالة ص٢١٢ .

(٤) المرجع نفسه ص٢٢٨ .

والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها .

الثانى : أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له .

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، ولاتخرج عن هذه الأقسام الثلاثة فلاتعارض القرآن بوجه ما"(١).

ومن المعلوم أن معارضة السنة بالقرآن مذهب ردىء تبناه أهل البدع والضلال من المعتزلة ومن سار على منوالهم ، وأما السلف رحمهم الله فكانوا متزهين عنه(٢).

وذكر الآجرى أن سعيد بن جبير حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : إن الله عز وجل قال فى كتابه كذا وكذا ، فقال : "لاأراك تعارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله عز وجل"(٣).

وقد رد العلماء قديماً على من عارض السنة بالقرآن ، وبينوا فساد منهجه ، وضلاله .

قال الإمام الآجرى رحمه الله :

"باب التحذير من طوائف تعارض سنن النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل وشدة الإنكار على هذه الطبقة" .

ثم قال : "ينبغى لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء قد ثبت عند العلماء ، فعارض إنسان جاهل ، فقال : لاأقبل إلا ماكان فى كتاب الله عز وجل ... قيل له : ياجاهل إن الله عز وجل أنزل فرائضه جملة ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ماأنزل إليه ، قال الله عز وجل : {وأنزلنا إليك الذكر

---

(١) أعلام الموقعين ٢٢٨/٢ .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٢٤ .

(٣) الشريعة ص٥١ .

لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون}"(١).

وتعليل الحديث بمخالفته للقرآن لايسلكه العلماء إلا فى التعامل مع الأحاديث الموضوعة المختلقة ، وقد سبق ذكر ذلك فى قواعد ضبط المتن(٢).

وأما حديث "إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وماخالف فاتركوه" .

فقد بين علماء الحديث أنه موضوع مختلق ، وضعه الزنادقة بغرض إهمال الأحاديث . وقد عارضه بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له ، لأنا وجدنا فى كتاب الله : {وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا}(٣)، ووجدنا فيه {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله}(٤)، وفيه {من يطع الرسول فقد أطاع الله}(٥)، فبان كذبه(٦).

وأما حديث : "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" .

فهو حديث ثابت رواه البخارى(٧)،

---

(١) الشريعة ص٤٩ . والآية ٤٤ من سورة النحل .

(٢) انظر ص : ٦٢٤
وانظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٠٧ .

(٣) سورة الحشر : آية ٧

(٤) سورة آل عمران : آية ٣١

(٥) سورة النساء : آية ٨٠

(٦) دفاع عن السنة ص١٧ بتصرف .
وانظر : إرشاد الفحول ص٣٣ ، ط/مصطفى الحلبى ، الأولى ١٣٥٦هـ ، وانظر تضعيف الحديث فى الفتاوى ٣٨٢/١٨ .

(٧) صحيح البخارى بلفظه من حديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر . إلا أنه قال فى رواية عمر "ببعض بكاء أهله" . كتاب الجنائز (٢٣) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) . وأخرج نحوه من حديث عمر رضى الله عنه فى الكتاب والباب السابقين ٨٠/٢-٨١ .
وأخرجه بمعناه من حديث المغيرة بن شعبة وابن عمر فى الكتاب السابق ،باب مايكره من النياحة على الميت (٣٤) ، ٨١/٢-٨٢ . =

ومسلم[١]، وأبو داود[٢]، والترمذى[٣]، والنسائى[٤]، وابن ماجه[٥]، والإمام أحمد[٦].

= وأخرجه من حديث ابن عمر فى الكتاب نفسه ، باب البكاء عند المريض (٤٥) ، ٨٥/٢ .
وأخرج نحوه من حديث ابن عمر أيضاً ، فى كتاب المغازى (٦٤) ، باب قتل أبى جهل (٨) ، ٩/٥ .

(١) صحيح مسلم بلفظه وبمعناه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه برقم ٩٢٧ وعبد الله بن عمر برقم ٩٢٨،٩٣٠،٩٣١،٩٣٢ .
وبمعناه من حديث المغيرة بن شعبة برقم ٩٣٣ ، كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) ، ٦٣٨/٢-٦٤٤ .

(٢) سنن أبى داود . بلفظه من حديث ابن عمر ، كتاب الجنائز ، باب فى البكاء على الميت برقم ٣١٢٩ ، ١٩٤/٣ .

(٣) سنن الترمذى . بلفظ مقارب من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتاب الجنائز (٨) ، باب ماجاء فى كراهية البكاء على الميت (٢٤) ، برقم ١٠٠٢ .
وقال الترمذى : "وفى الباب عن ابن عمر وعمران بن حصين" . وقال : "حديث عمر حديث حسن صحيح" . ٣٢٦/٣ .
وبلفظ مقارب من حديث ابن عمر فى الكتاب السابق ، باب ماجاء فى الرخصة فى البكاء على الميت (٢٥) ، برقم ١٠٠٤،١٠٠٦ .
وقال : "وفى الباب عن ابن عباس ، وقرظة بن كعب ، وأبى هريرة ، وابن مسعود ، وأسامة بن زيد" . ٣٢٧/٣-٣٢٩ .

(٤) سنن النسائى . نحوه من حديث عمر وعمران بن حصين . كتاب الجنائز ، باب النهى عن البكاء على الميت .
ومن حديث عمر وابنه عبد الله وعمران بن حصين .فى الكتاب السابق ، باب النياحة على الميت ١٣/٤-١٦ .

(٥) سنن ابن ماجه ، نحوه من حديث عمر بن الخطاب برقم ١٥٩٣ ، وأبى موسى الأشعرى برقم ١٥٩٤ ، كتاب الجنائز (٦) ، باب ماجاء فى الميت يعذب بما نيح عليه ٥٠٨/١ .

(٦) مسند أحمد بلفظه من حديث عمر بن الخطاب ٤٥/١،٥٤ ، ونحوه من حديثه رضى الله عنه ٣٦/١،٣٨،٤١،٤٧ ، وبلفظه من حديث ابن عمر ٤١/١،٤٢ ، ٣٨/٢ .
وبنحوه من حديثه رضى الله عنه ٣١/٢،١٣٤ ، ومن حديث عمران بن حصين ٤٣٧/٤ .
وقد عد السيوطى هذا الحديث من الأحاديث المتواترة.
انظر : قطف الأزهار المتناثرة ص١٢٣ .

وهـو مروى عن جماعة من الصحابة وهم : عمر بن الخطـاب ، وعبد اللـه بن عمـر ، وأبو مـوسى الأشعـرى ، والمغيرة بن شعبـة ، وعمـران بن حصين .

وقد قرر عمر رضى الله عنه على سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم صهيباً(١)، وحفصة أم المؤمنين(٢)، وجماعة أخرى من الصحابة(٣).

وأخرج البخـارى بسنـده إلى ابن عبـاس رضى اللـه عنهمـا أنه قال : "فلما مات عمر ـ رضى الله عنه ـ ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقـالت : يرحم الله عمر ، والله ماحدث رسول الله صلى اللـه عليه وسلم : أن اللـه ليعذب المؤمن ببكـاء أهله عليه ، لكن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قـال : إن الله ليزيد الكـافر عذاباً ببكاء أهله عليـه ، وقالت : حسبكم القرآن {ولاتزر وازرة وزر أخرى} ... الحديث(٤).

إن إنكـار عائشة لحديث تعـذيب الميت وتخطئتها لعمـر فى روايتـه إياه لايصـح ، لأنه قد وافق عمـر رضى الله عنه جماعة مـن الصحابة ، ولايمكن أن يهم هؤلاء جميعاً(٥).

---

(١) صحيـح البخـارى ، كتاب الجنـائز (٢٣) ، باب قـول النبى صلى اللـه عليـه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) ، ٨١/٢ .
صحيـح مسلم ، كتـاب الجنائز (١١) ، باب الميـت يعـذب ببكـاء أهلـه عليه (٩) ، ٦٣٩/٢-٦٤٢ .

(٢) المرجع السابق فى الكتاب والباب السابقين ٦٣٨/٢،٦٤٠ .

(٣) المرجع نفسه ، فى الكتاب والباب السابقين ٦٣٩/٢ .

(٤) كتـاب الجنـائز (٢٣) ، باب قـول النبى صلى الله عليه وسلم يعـذب الميـت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) ، ٨٠/٢-٨١ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحـه ، كتـاب الجنـائز (١١) ، باب الميـت يعـذب ببكاء أهله عليه (٩) برقم ٩٢٩ ، ٦٢١/٢-٦٤٢ .

(٥) انظـر : فتـح البـارى ١٥٤/٣ ، كشـف مـوقف الغزالى مــن السنـة ص٨٨ ، حوار هادىء ص٩١ .

ومافعلته عائشة رضى الله عنها اجتهاد منها وهو معارض بالنص الصحيح ، والنص مقدم على اجتهاد الصحابى مهما بلغ من العلم والفقه(١).

واجتهادها رضى الله عنها بنى على ظن منها أن الآية تعارض ذلك ، وهو ظن مردود لمعارضته الحديث الثابت(٢).

وقد جمع العلماء بين حديث عمر وعائشة رضى الله عنهما بضروب من الجمع نص عليها الحافظ ابن حجر فى الفتح ، نلخصها فيما يلى :

الأول : يعذب ببعض بكاء أهله إذا كان النوح من سنته .

الثانى : إذا وصى أهله بذلك .

الثالث : إذا أهمل نهى أهله عن ذلك .

الرابع : "يعذب ببكاء أهله" : أى بنظير مايبكيه أهله به .

الخامس : معنى التعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به .

السادس : معناه تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها.

وهذا الأخير اختاره ابن جرير الطبرى ورجحه جماعة من العلماء منهم القاضى عياض ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد عرضه للأقوال السابقة :

"ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً : من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به ، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهى ، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص١٣٥ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٥٣ .

(٣) انظر : فتح البارى ٣/١٥٢-١٥٥ .

وانظر : شرح النووى على مسلم ٦/٢٢٨-٢٢٩ .

وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم"(١).

وقد حمل الإمام ابن قتيبة قوله تعالى {ولاتزر وازرة وزر أخرى} على أحكام الدنيا ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلبون بثأر القتيل ، فيقتل أحدهم أخاه ، أو أباه ، أو أحداً من أرحامه فإن لم يقدر على ذلك قتل رجلاً من عشيرته(٢).

والحق إن الآية نفت نفياً عاماً أن تحمل نفس مذنبة ذنب أخرى . وهذا فى حق من لم يكن له تسبب فى شىء من ذلك ، أما إن كان له تسبب فى فعل غيره فإنه يشاركه العذاب ، كما دل عليه قوله تعالى : {وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم}(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم : "فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين"(٤)، وهو مادل عليه الحديث(٥).

وقوله "الحديث المرفوض من عائشة" ، تعبير مرفوض ، مناف لاحترام أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وتوقيرها .

ومافعلته عائشة رضى الله عنها إنما هو اجتهاد منها وظن لم تتابع عليه لامن قبل المحدثين ولاالفقهاء ، ولم تجعل ذلك منهجاً لها فى رد الأحاديث والاعتراض عليها كما فهم الغزالى(٦). وهى التى عرفت بشدة ردعها لمن خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى مسلم بسنده عن معاذة قالت : "سألت عائشة فقلت : مابال الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة؟

---

(١) فتح البارى ١٥٥/٣ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٤٩ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ١٣

(٤) وهو جزء من حديث هرقل الطويل . وقد سبق تخريجه ص: ٣٦٤
والأريسيين : هم الخدم والخول . انظر النهاية ٣٨/١ .
وقيل هم : الأكارون . والأكار هو الفلاح .
انظر : غريب الحديث للخطابى ٥٣٦/٢ ، الفائق ٣٦/١ .

(٥) انظر : فتح البارى ١٥٣/٣ .

(٦) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص٨٧ .

فقالت : أحرورية أنت؟ قلت : لست بحرورية ولكنى أسأل . قالت : كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة"(١).

واستنكار الغزالى إثبات الحديث فى الصحاح قول منكر فى حد ذاته ، لأن الحديث صحيح ثابت لاغبار عليه ، ومؤلفوا الصحاح محقون فى إثباتهم إياه فيها ، وأثبتوا معه حديث عائشة أيضاً . وتلك أمانة العلم .

والذى يفهم من استنكار الغزالى هذا أنه لو سلط على هذا الحديث لحذفه من كتب الصحاح ، وذلك أمر له خطورته(٢).

ولعل الباب لو فتح على مصراعيه للغزالى ومن على نهجه لغابت كثير من الأحاديث الصحيحة من دواوين السنة ، لأن هؤلاء لايعتمدون على القواعد السليمة التى وضعها علماء الحديث لتصحيح الأحاديث وتضعيفها ، وإنما يعتمدون على عقول جهلت الكثير من قواعد العلم وأصوله .

وزعمه أن أئمة الفقه كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً ، فإذا وجدوا فى ركام المرويات مايتسق معه قبلوه . زعم مناف لما كان عليه أئمة الفقه ، فما كانوا رحمهم الله ينظرون إلى السنة نظرة الغزالى لها ، تلك النظرة التى تبنى على تهميشها وتهوين أمرها ، وإنما

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص١٤٦ .
والحديث : فى كتاب الحيض (٣) ، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة (١٥) برقم ٣٣٥ ، ٦٥/١ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه : كتاب الحيض (٦) ، باب لاتقضى الحائض الصلاة (٢٠) ، ٨٣/١ .
وحرورية نسبة إلى حروراء وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل على موضع ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً فنسبوا إليها .
معجم البلدان ٢٤٥/٢ .
ومعاذة هى بنت عبد الله العدوية ، أم الصهباء البصرية . ثقة . روت عن عائشة وعلى . وعنها قتادة وأيوب . ماتت سنة ٨٣هـ .
الكاشف ٤٨٢/٣ ، تقريب التهذيب ٦١٤/٢ .

(٢) انظر : أزمة الحوار الدينى ص٤٤ .

كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لاعتقادهم أن السنة الثابتة لاتخالف القرآن(١).

وفى الحقيقة أن علماء الفقه لم يقفوا من هذا الحديث كما وقف الغزالى منه ، وألصق ذلك بهم ، وقد مر آنفاً ماوفقوا به بين الحديث والآية مما دل على أن الغزالى لم يطلع على تلك الأقوال ، ولم يكلف نفسه بالاطلاع عليها ، وذلك تقصير مخل ، ويزداد خلله إذا نسب إلى الإنسان ماهو برىء منه ، وقد جاء عنه مايخالفه .

ولاشك أن عمر رضى الله عنه من أكابر فقهاء الصحابة رضى الله عنهم ، ومن أئمة الاجتهاد ، وهو من رواة هذا الحديث وقد نهل من مدرسته عبد الله بن مسعود الذى نشر العلم والفقه بالكوفة ، وكان أصل فقه الأحناف الذين يعتمد الغزالى على فقههم كثيراً . فأين إذن أهل الفقه هنا؟(٢)

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص٨٩ .

(٢) انظر : حوار هادىء ص٩٣ ، دفاع عن السنة ص١٣٤ .

(٥) **السنة العملية :**

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"إن سنته التى يجب أن تكون أصل القدوة هى ماكان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة فلاتتوقف على الأحاديث القولية ... جعلهم الأحاديث القولية من السنن ، وهو اصطلاح للعلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعم مما كان يريده الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهى الطريقة المتبعة التى جرى عليها العمل"(١).

وقال : "ومن العجائب أن يغبى بعض المحدثين أحياناً عن الفرق بين السنة والحديث فى عرف الصحابة الموافق لأصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذى أحدثوه بعد ذلك"(٢).

وقال :

"فالعمدة فى الدين هو القرآن وسنن الرسول المتواترة وهى السنن العملية كصفة الصلاة والمناسك مثلاً وبعض الأحاديث القولية التى أخذ بها جمهور السلف . وماعدا هذا من أحاديث الآحاد التى هى غير قطعية الرواية أو غير قطعية الدلالة فهى محل اجتهاد"(٣).

وقال محمود أبو رية :

"وسنن الرسول المتواترة - وهى السنن العملية- وماأجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوماً عندهم بالضرورة - كل ذلك قطعى لايسع أحد جحده أو رفضه ، بتأويل ولااجتهاد ككون الصلاة المعروفة خمساً ... هذه هى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأما إطلاقها على مايشمل الأحاديث فاصطلاح حادث"(٤).

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص٨٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ، المجلد السابق ، ص٨٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ، المجلد ٢٧ ، ص٦١٦ .
(٤) أضواء على السنة المحمدية ، ص٣٥١ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق أن بينت أن السنة تشمل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، وهذا الذى عليه أهل العلم قديماً وحديثاً(١) .

كما تطلق على الأحاديث المتواترة والآحاد(٢).

والقول بأن السنة هى السنة العملية المتواترة فقط ، قول لاصحة له ، بل هو اصطلاح حادث لايخفى بطلانه(٣).

ولو قصرت السنة على السنة المتواترة العملية لفرط فى كثير من الأحاديث القولية التى نقلت عنه صلى الله عليه وسلم فى جميع جوانب الدين ، فى الأحكام والأخلاق والمواعظ(٤).

بل وفرط فى السنن العملية التى لم يداوم على فعلها النبى صلى الله عليه وسلم ، أو لم يثبت استمراره عليها ، كصوم يوم عاشوراء(٥)، وصلاة القيام التى صلاها بالناس ثلاث ليالى من رمضان(٦)فقط ، وكالصيغ المختلفة

---

(١) انظر : ص : ٤٦٦

وانظر : موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٦٨-٧٠ فقد نقل فيه مؤلفه سبعة عشر قولاً من أقوال أهل العلم مما يدل على إطلاق السنة على أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢١ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص٥٧ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص٢٩١ .

(٥) حديث صيام عاشوراء سبق تخريجه . انظر ص: ٤١٢

(٦) روى البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة فى المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال : "قد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم وذلك فى رمضان" .

كتاب التهجد (١٩) ، باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل (٥) ٤٤/٢ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب صلاة المسافرين (٦) ، باب الترغيب فى قيام رمضان (٢٥) برقم ٧٦١ ، ٥٢٤/١ .

لدعاء الاستفتاح[١].

وإطلاق السنــة على الأحاديث القــولية ليــس اصطلاحاً حادثاً كمــا يزعمون وإنما هو أمر معهود فى الصدر الأول[٢].

---

(١) انظر : موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٧٥ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٢٩١ .

(٦) **عدالة الصحابة :**

قال محمود أبو رية :

"إنهم - أي العلماء - قد جعلوا جرح الرواة وتعديلهم واجباً تطبيقه على كل راو مهما كان قدره - فإنهم قد وقفوا دون عتبة الصحابة فلم يتجاوزوها إذ اعتبروهم جميعاً عدولاً لايجوز عليهم نقد ، ولايتجه إليهم تجريح ، ومن قولهم في ذلك (إن بساطهم قد طوى) - ومن العجيب أنهم يقفون هذا الموقف ، على حين أن الصحابة أنفسهم قد انتقد بعضهم بعضاً"(١).

وقال : "وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين من الخطأ والسهو والنسيان . فإن هناك كثيراً من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة (المطلقة) لجميع الصحابة وإنما قالوا كما قال العلامة المقبلي(٢): إنها (أغلبية) لاعامة،وأنه يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو ، بل والهوى ، ويؤيدون رأيهم بأن الصحابة إن هم إلا بشر يقع منهم مايقع من غيرهم ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، وأن سيدهم الذى اصطفاه الله صلوات الله عليه و{الله أعلم حيث يجعل رسالته}(٣) قد قال : "إنما أنا بشر أصيب وأخطىء"(٤).

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص٣١٠ .

(٢) هو صالح بن مهدى بن على المقبلي . من علماء اليمن . تفقه على المذهب الزيدى وكان ممن ينبذ التقليد ويحط على بعض الفرق الإسلامية ، وعلى أهل الحديث . رحل إلى مكة واستقر بها حتى مات في سنة ١١٠٨هـ . من آثاره : "العلم الشامخ" ، "الأبحاث المسددة في مسائل متعددة" ، "الإتحاف لطلبة الكشاف" ، "المنار على البحر الزخار" في فقه الزيدية ، "الأرواح النوافخ" .

انظر البدر الطالع ٢٨٨/١-٢٩٢ ، الأعلام ١٩٧/٣ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٢٤

(٤) الحديث جزء من حديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث ابن عباس . كتاب العلم ، باب الاجتهاد . وقال : "رواه البزار وإسناده حسن" ١٨٣/١ . =

ويعـززون حكمهـم بمن كان منهـم فى عهـده صلوات اللـه عليـه مـن المنـافقين والكاذبين وبأن كثيراً منهـم قد ارتد عن دينـه بعـد أن انتقل إلى الـرفيق الأعلى ، بلـه مـاوقـع منهـم من الحروب والفتن التى أهلكـت الحرث والنســل ، ولاتزال آثارهـا - ولـن تزال إلى اليـوم ومــابعد اليـوم وكـأن الرسول صلوات الله عليه قد رأى بعينى بصيرته النافـذة ماسيقع من أصحابه بعـد انتقـاله إلى الرفيق الأعلى ، فقـال فى حجـة الوداع : "لاترجعـوا بعـدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"(١).

= وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث طلحة بن عبيد الله وفيه : "فإنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطىء ويصيب . ولكن ماقلت لكم . قال الله : فلـن أكذب على الله" كتاب الرهون (١٦) ، باب تلقيح النخل (١٥) برقم ٢٤٧٠ ، ٨٢٥/٢ .
وأخرج نحوه الإمـام أحمد من حديث طلحة أيضاً ١٦٢/١-١٦٣ . وإسنـاده صحيح كمـا ذكـر الشيخ أحمد محمد شـاكر . مسنـد أحمد بتحقيـق أحمـد شاكر ٣٦٦/٢ الهامش .
وأورده السيـوطى فى الجامـع الصغير ورمـز له بالصحة . فيـض القـدير ٥٦٧/٢ .
وقال الشيخ ناصر : "صحيح" . صحيح الجامع ٢٨٣/١ ، وأصله عند مسلم ١٨٣٥/٤ برقم ٢٣٦١ .

(١) أخرجه البخـارى فى صحيحـه ، كتـاب العلم (٣) ، باب الإنصـات للعلمـاء (٤٣) ٣٨/١ ، وفى كتاب الحج (٢٥) ، باب الخطبة أيام منى (١٣٢) ١٩١/٢ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب حجة الوداع (٧٧) ١٢٦/٥ ، وفى كتـاب الأضاحى (٧٣) ، باب من قال الأضحى يوم النحر (٥) إلا أنه قال : "ضلالاً" ٢٣٦/٦ . وفى كتاب الأدب (٧٨) ، باب مــاجاء فى قـول الـرجل ويلـك (٩٥) ١١٢/٧ ، وفى كتــاب الحدود (٨٦) ، باب ظهـر المؤمــن حمــى إلا فى حد أو حق (٩) ١٦١/٨ ، وفى كتاب الفتن (٩٢) باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لاترجعوا بعدى كفاراً (٨) ٩١/٨ ، وفى كتـاب التـوحيد (٩٧) ، باب قـول الله تعـالى﴿وجوه يومئـذ ناضرة﴾ (٢٤) ، إلا أنه قال : "ضلالاً" ١٨٦/٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحـه فى كتـاب الإيمان (١) ، باب بيـان معنى قول النبى صلى اللـه عليـه وسلم : "لاترجعوا بعـدى كفاراً" (٢٩) برقم ٦٥،٦٦ ، ٨١/١-٨٢ . وفى كتـاب القسامة (٢٨) ، باب تغليـظ تحريم الدماء والأعـراض والأموال (٩) برقم ١٦٧٩ ، ١٣٠٥/٣-١٣٠٦ .

وروى البخارى عن ابن عباس عن النبى قال : "إنكم تحشرون حفاة عراة وإن ناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابى! أصحابى! فيقول : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : {وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم}(١)(٢).

وقال أحمد أمين :

"ويظهر أن الصحابة أنفسهم فى زمنهم كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد . وينزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض ، فقد رأيت قبل أن منهم من كان إذا روى له حديث طلب من المحدث برهاناً ، بل روى ماهو أكثر من ذلك ، فقد روى أن أبا هريرة حدث بحديث جاء فى الصحيحين وهو : "متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها فى الإناء ، فإن أحدكم لايدرى أين باتت يده" ، فلم تأخذ به عائشة ، وقالت : كيف نصنع بالمهراس"(٣).

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٧

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص٣٢٢-٣٢٣ . وانظر ص١٩٦ .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب واذكر فى الكتاب مريم (٤٨) ٤/١٤٢-١٤٣ .
ولفظه : "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ : {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول : كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم : {وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} .
وأخرج نحو الرواية السابقة فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة المائدة (٥) ، باب "وكنت عليهم شهيدا" (١٤) ٥/١٩١-١٩٢ . وفى تفسير سورة الأنبياء (٢١) ، باب "كما بدأنا أول خلق نعيده" (٢) ٥/٢٤٠ . وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ٧/١٩٥ .

(٣) فجر الإسلام ص٢١٦ . وانظر أضواء على السنة المحمدية ص٤٩ فما بعدها . والحديث يأتى تخريجه والكلام عليه .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن عدالة الصحابة رضى الله عنهم ، وأنهم معدلون من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع من يعتد به فى الإجماع على ذلك(١).

وقد أجبت على شبه المستشرقين هنالك ، وفى الإجابة عنها إجابة على بعض شبه المحْدَثين هنا ، وقد بقى بعض شبه هؤلاء تحتاج إلى جواب هنا .

ويمكن إجمال ذلك فى النقاط التالية :

(١) لم يقبل الجمهور الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه فى سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين . وهناك كثير من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة ، كالمقبلى .

(٢) إنهم بشر يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو بل والهوى ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، علماً بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان بشراً ، وقد قال : "إنما أنا بشر أصيب وأخطىء"(٢)

(٣) ارتد كثير منهم عن دينه ، ووقعت بينهم الحروب والفتن التى أهلكت الحرث والنسل . ومن ذلك مادل عليه حديث الحوض(٣).

(٤) كانوا يضع بعضهم بعضاً موضع النقد ، وينزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض . من ذلك مارواه أبوهريرة "متى استيقظ أحدكم من نومه ..." الحديث . فلم تأخذ به عائشة وقالت : "وكيف نصنع بالمهراس"؟(٤)

والجواب على تلك الشبه :

---

(١) انظر ص: ٥١٩ فما بعدها.

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ٧٥٤، ٧٥٥

(٣) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٤) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(١) المراد بعدالة الصحابة أنهم لايتعمدون الكذب لما اتسموا به من قوة الإيمان ، والتزام التقوى والصدق ، وحسن الأخلاق ، والبعد عن السفاسف مما يخل بالمروءة . لاأنهم معصومون رضى الله عنهم من المعاصى أو من السهو والغلط ، إذ العصمة لاتكون إلا للأنبياء ، ولم يقل أحد من أهل العلم بعصمتهم ، وعدم العصمة لاينافى العدالة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فلايعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان فيهم من له ذنوب لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم"(٢).

ومراده بالعصمة أن الله تعالى حفظهم من تعمد الكذب حفظاً للشريعة وحماية لجنابها ، لأنهم هم الوسائط فى نقلها .

قال عبد الرحمن المعلمى :

"ومن الحكمة فى اختصاص الله تعالى أصحاب رسوله بالحفظ من الكذب عليه أنه سبحانه كره أن يكونوا هدفاً للطعن من بعدهم لأنه ذريعة إلى الطعن فى الإسلام جملة ، وليس هناك سبب مقبول للطعن إلا أن يقال : نحن مضطرون إلى بيان أحوالهم ليعرف من لايحتج بروايته منهم ، فاقتضت الحكمة حسم هذا لقطع العذر عمن يحاول الطعن فى أحد منهم"(٣).

والصحابة رضى الله عنهم لاتقاس حالهم بحال الرواة الآخرين ، لكى تقبل روايتهم أو ترد ، لأن شرطى قبول الرواية متوافران فيهم ، وهما العدالة والضبط(٤).

أما العدالة فلامطعن فيهم من جهتها ، وأما الضبط فإن علماء الحديث نظروا فى رواية من يحتمل أن يتطرق إليه الشك والتهمة ، فوجدوا ذلك

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص١٠٩ .
(٢) الرد على الأخنائى ص١٠٣-١٠٤ ط/المطبعة السلفية .
(٣) الأنوار الكاشفة ص٢٧٤ .
(٤) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١١٦،١١٧ .

موافقاً لرواية من لاتتجه إليه تهمة ويتخلل إليه شك .ووجدوا أن عامة مايرويه هؤلاء قد رواه غيرهم من الصحابة(١).

قال أبو حاتم بن حبان رحمه الله :

"فإن قال قائل : فكيف جرحت من بعد الصحابة؟ وأبيت ذلك فى الصحابة والسهو والخطأ موجود فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟ يقال له : إن الله عز وجل نزه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح ، وصان أقدارهم عن وقيعة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم ... من شهد التنزيل وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وإن من تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيداعهم ماولاه الله بيانه الناس لبالحرى من أن لايجرح ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزو الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ماشهدوا منه ، لأنه لو كان كذلك لكان فيه قدحاً فى الرسالة ، وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً ، وإن من بعد الصحابة ليسوا كذلك ، لأن الصحابى إذا أدى إلى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ إليه منافقاً ، أو مبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه ، ليضل به العالم من الناس ، فمن أجله مافرقنا بينهم وبين الصحابة ، إذ صان الله عز وجل أقدار الصحابة عن البدع والضلال"(٢).

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٧١ .

(٢) كتاب المجروحين ١/٣٣-٣٤ .

والمحققون من علماء الأمة هم الذين قالوا بعدالة الصحابة كالأئمة الأربعة ، وأصحاب الكتب الستة ، وابن معين ، وابن المدينى ، وأبى زرعة وأبى حاتم ، وابن حبان ، وابن تيمية ، وكافة أهل السنة والجماعة ، وقولهم هو الحق ، ومن خالف من المعتزلة والخوارج والرافضة وأفراخ الاستشراق ، لاعبرة بخلافهم ، وهو مردود عليهم(١).

والمقبلى لاحجة فى قوله ، ولايلتفت إلى ماقال ، خاصة إذا علمنا أنه ارتضع ثدى الاعتزال ، الذى نشأ فى بيئته ، وارتمى فى أحضان الفقه الشيعى الذى أثر فى منهجه ، فجاء حكمه على الصحابة ممزوجاً بضلال الاعتزال ، وانحراف التشيع .

قال عبد الرحمن المعلمى :

"والمقبلى نشأ فى بيئة اعتزالية المعتقد ، هادوية الفقه ، شيعية تشيعاً مختلفاً ، يغلظ فى أناس ويخف فى آخرين ، فحاول التحرر فنجح تقريباً فى الفقه ، وقارب التوسط فى التشيع ، أما الاعتزال فلم يكد يتخلص إلا من

---

(١) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٠٥،١٠٦ .

تكفير أهل السنة مطلقاً"(١).

(٢) ولاشك أن الصحابة رضى الله عنهم بشر معرضون للسهو والنسيان والخطأ كغيرهم ، ولايعارض ذلك تعديلهم ولكنهم يمتازون عن غيرهم حيث عاصروا النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا الحوادث ، فتجسدت فى ذاكرتهم ، وطبقوا ذلك عملياً ، إضافة إلى أنهم كانوا يتذاكرون ماسمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم ، مع الاحتياط البالغ الدقة وتجنب رواية ماشكوا فيه من حديث(٢).

قال عبد الله بن الزبير قلت للزبير : "إنى لاأسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال : أما إنى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار"(٣).

وقال أنس : "إنه ليمنعنى أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار"(٤).

ومع هذا فإن نقاد الحديث لم يسلموا للصحابة بكل شىء ، بل نبهوا على ماوقع منهم من خطأ أو وهم ، وبينوا ذلك(٥).

بل ماكان الصحابة رضى الله عنهم يسكت بعضهم عن وهم بعض أو خطئه ، وإنما يبينون ذلك ويوضحونه.

روى البخارى بسنده عن مجاهد قال :"دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة وإذا أناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى . قال : فسألناه عن صلاتهم فقال بدعة ، ثم قال له كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع إحداهن فى رجب فكرهنا أن نرد عليه قال : وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين فى الحجرة فقال عروة :

---

(١) الأنوار الكاشفة ص٢٧٩ .

(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٢٤ .

(٣)،(٤) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١ .

(٥) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص١٢٦ .

ياأماه ألا تسمعين مايقول أبو عبد الرحمن قالت مايقول ؟ قال : يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمرات إحداهن فى رجب . قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن مااعتمر عمرة إلا وهو شاهده ومااعتمر فى رجب قط" (١) .

قال الحافظ ابن حجر :

" وفى هذا الحديث أن الصحابى الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم " (٢) .

(٣) لاشك أن من ارتد من الصحابة عن الإسلام ومات على الردة ، لايعد صحابياً ، لأنه يشترط فى الصحابى أن يلقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ، ويموت على الإسلام (٣) .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العمرة (٢٦) ، باب كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم (٣) ، ٢/١٩٩ .
وأخرج نحوه فى كتاب المغازى (٦٤) ، باب عمرة القضاء (٤٣) ، ٥/٨٥-٨٦ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب إهلال النبى صلى الله عليه وسلم وهديه (٣٤) برقم ١٢٥٥، ٢/٩١٦-٩١٧ .

(٢) فتح البارى ٣/٦٠٢ .

(٣) انظر : التقييد والإيضاح ص ٢٩٢ ، شرح نخبة الفكر ص ١١٤ ، تدريب الراوى ٢/٢٠٩ .

ولاشك أنه قد وقعت بين بعض الصحابة حروب وفتن ، ولكن ذلك لاينفى عدالتهم .

قال ابن الصلاح :

"ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم فى الإجماع إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ماتمهد لهم من المآثر ، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة"(١).

والذين لابسوا الفتن كانوا مجتهدين يعتقد كل منهم أن الحق معه ، وعليه أن يدافع عنه ، والمجتهد مأجور على اجتهاده أخطأ أم أصاب(٢).

ومع ذلك فإن الذين لابسوا الفتن عدد قليل منهم ، وجمهورهم قد تأخر عنها(٣).

قال محمد بن سيرين :

"هاجت الفتن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما خف لها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين"(٤).

والصحابة رضى الله عنهم أعظم حرمة ، وأجل قدراً ، وأنزه أعراضاً وقد ثبت من فضائلهم مالم يثبت لغيرهم ، فلايجوز ذمهم على ماشجر بينهم ، لأن فى ذلك إثماً عظيماً(٥).

وكثير مما نسب إليهم لم يصح عنهم ، وماصح له من المخارج مايدفعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وإن ماينقل عن الصحابة من المثالب نوعان :

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٧ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص١٥١ .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٣٢٦،٣٢٧ .

(٤) المرجع السابق ص٣٢٧ .

(٥) المرجع نفسه ص٢٧٥ .

أحدهما : إما كذب كله وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان مايخرجه إلى الذم والطعن . وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ...

النوع الثانى : ماهو صدق ، وأكثر من هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد التى إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وماقدر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لايقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه فى الآخرة بأسباب متعددة ... فما من ذنب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح ونفى كل ذم ممن بعدهم من الأمة"(١).

أما حديث الحوض فهو حديث متواتر(٢).والمراد بهم من ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء لايعدون من صحابته صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء فى روايات الحديث مايؤيد ذلك ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم"(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى"(٤).

---

(١) المنتقى من منهاج الإعتدال ص٢٧٠-٢٧١ .

(٢) انظر : فتح البارى ٤٦٧/١١ ، قطف الأزهار المتناثرة ص٢٩٧ ، منهج النقد عند المحدثين ص١٢٠ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} (٨) ، ١١٠/٤ ، وفى باب واذكر فى الكتاب مريم (٤٨) ، ١٤٣/٤ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة المائدة (٥) ، باب {وكنت عليهم شهيداً} (١٤) ، ١٩٢/٥ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ، ١٩٥/٧ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب فناء الدنيا (١٤) برقم ٢٨٦٠ ٢١٩٥/٤ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب فى الحوض (٥٣) ، ٢٠٨/٧ .

قال قبيصة :

"هـم المرتدون الذين ارتدوا على عهـد أبى بكر فقـاتلهم أبوبكر رضى الله عنه"(١).

وقال الخطابى :

"لم يرتد مـن الصحـابة أحد وإنما ارتد قـوم من جفـاة الأعـراب ممن لانصـرة له فى الدين ، وذلك لايوجب قدحاً فى الصحابة المشهـورين . ويدل قوله (أصيحابى)(٢):بالتصغير على قلةعددهم"(٣).

وقد يراد بهم المرتدون والمنافقون(٤).

إذ إن المنـافقين كانوا منـدسين بين صفوف الصحابة يشهـدون مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد ، ويحضرون الغزوات لالإعلاء كلمـةالله ، وإنما لأغراض أخرى .

وكـانوا فى الظاهر معدودين مـن الصحابة وفى الواقـع كـانوا كفاراً لم يخلصوا الإيمان . قال تعالى : {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينـة مردوا على النفاق لاتعلمهـم نحن نعلمهم سنعـذبهم مـرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم}(٥).

---

(١) المرجع السابق ١٤٣/٤ .
وقبيصة هو ابن عقبة بن محمد بن سفيان السوائى ، أبو عامر الكوفى . أحد مشايخ البخارى . عابد . صدوق ربما خالف .
الجرح والتعـديل ١٢٦/٧-١٢٧ ، الكـاشف ٣٩٦/٢ ، تقـريب التهـذيب ١٢٢/٢ .

(٢) صحيـح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سـورة المائدة (٥) ، باب وكنـت عليهم شهيداً (١٤) ، ١٩١/٥ . وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ، ١٩٥/٧ .

(٣) فتح البارى ٣٨٥/١١ .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ١٣٦/٣ .
ولكن حمل الحديث على المنافقين فيه نظر ، لأن نفاق المنافقين وقع فى حياته صلى الله عليه وسلم وليس بعد موته .

(٥) انظر : الحديث والمحدثون ص١٥٣ .
والآية هى (١٠١) من سورة التوبة .

فحديث الحوض لايعنى صحابته رضى الله عنهم الذين أخلصوا دينهم لله ، والذين نقلوا لنا شريعة الإسلام ، فهؤلاء لاقدح فىعدالتهم بحال من الأحوال .

(٤) ماكان الصحابة رضى الله عنهم يكذب بعضهم بعضاً ، بل ماكان يتهم أحدهم الآخر بالكذب ، كما جاء عن أنس رضى الله عنه (١). بل كانت الثقةمتوفرة بينهم ، ولايمنع ذلك أن يراجع بعضهم بعضاً فى بعض الأمور إذ الخطأ والنسيان والسهو وارد فيهم ، فهم بشر لم يخرجوا عن بشريتهم .

قال محمد أبو شهبة :

"وفى بعض الأحيان كان يراجع - أى الصحابة - بعضهم بعضاً فيما يرويه ، إما للتثبت والتأكد لأن الإنسان قد ينسى أو يسهو أو يغلط عن غير قصد ، وإما لأنه ثبت عنده مايخالفه أو مايخصصه أو يقيده ، أو لأنه يرى مخالفته لظاهر القرآن أو لظاهر ماحفظه من سنة إلى غير ذلك ، فليس من الإنصاف أن نتخذ من هذه المراجعة دليلاً على اتهام الصحابة بعضهم لبعض وتكذيب بعضهم لبعض ، إلى غير ذلك من الدعاوى الكاذبة التى يطنطن بها المبشرون والمستشرقون ومن تابعهم من الكتاب المعاصرين الذين جعلوا من أنفسهم أبواقاً لترديد كلامهم"(٢).

ومادار بينهم من مراجعات مدون ومحصور فى كتب الحديث ، ومشفوع بأجوبته(٣).

والمحق منهم من كان معه الدليل ، ولايدل ذلك على طعن فيمن أخطأ منهم . بل كلهم عدول رضى الله عنهم .

---

(١) انظر ص : ٥٢٢ - ٥٢٣

(٢) دفاع عن السنة ص١٣٤ .

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٧٧ .

وأما مارواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال : "إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلايغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فإنه لايدرى أين باتت يده" . فهو حديث صحيح أخرجه البخارى (١)، ومسلم (٢)، وأبو داود (٣)، والترمذى (٤)، والنسائى (٥)، وابن ماجه (٦)، والدارمى (٧)، والدارقطنى (٨)، والإمامان مالك (٩)، وأحمد (١٠) وغيرهم .

---

(١) صحيح البخارى . نحوه من حديث أبى هريرة، ولم يذكر العدد . كتاب الوضوء (٤) ، باب الاستجمار وتراً (٢٦) ، ٤٨/١-٤٩ .

(٢) صحيح مسلم ، بلفظه من حديث أبى هريرة . كتاب الطهارة (٢) ، باب كراهة غمس المتوضىء وغيره يده (٢٦) برقم ٢٧٨ .
وأخرج أيضاً نحوه من حديثه رضى الله عنه فى الكتاب والباب السابقين ٢٣٣/١

(٣) سنن أبى داود . نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب الطهارة ، باب فى الرجل يدخل يده فى الإناء قبل أن يغسلها برقم ١٠٣،١٠٤،١٠٥ ، ٢٥/١-٢٦ .

(٤) سنن الترمذى . نحوه من حديث أبى هريرة ، أبواب الطهارة ، باب ماجاء إذا استيقظ أحدكم من منامه . ورقمه ٢٤ . وقال : "وهذا حديث حسن صحيح" . وقال : "وفى الباب عن ابن عمر وجابر وعائشة" . ٣٦/١ .

(٥) سنن النسائى . بلفظ مقارب عن أبى هريرة . كتاب الطهارة ، باب تأويل قوله عز وجل : {إذا قمتم إلى الصلاة} الآية ١٢/١ .

(٦) سنن ابن ماجه . نحوه من حديث أبى هريرة برقم ٣٩٣ . ومن حديث عبد الله ابن عمر برقم ٣٩٤ .ومن حديث جابر بن عبد الله برقم ٣٩٥ . ومن حديث على ابن أبى طالب من فعله صلى الله عليه وسلم برقم ٣٩٦ . كتاب الطهارة (١) ، باب الرجل يستيقظ من منامه (٤٠) ، ١٣٨/١-١٣٩ .

(٧) سنن الدارمى . نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب الصلاة والطهارة ، باب إذا استيقظ أحدكم من منامه ١٩٦/١ .

(٨) سنن الدارقطنى . نحوه من حديث أبى هريرة وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر . كتاب الطهارة ، باب غسل اليدين لمن استيقظ من نومه ٤٩/١-٥٠ .

(٩) الموطأ . نحوه من حديث أبى هريرة ولم يذكر العدد . كتاب الطهارة (٢) ، باب وضوء النائم إذا قام إلى الصلاة (٢) ، ٢١/١ .

(١٠) مسند أحمد . بلفظه من حديث أبى هريرة فى موضعين . إلا أنه قال فى الموضع الأول "فى إنائه" ٢٤١/٢ . وفى الثانى قال : "من منامه" ٤٧١/٢ .
وأخرج نحوه عنه رضى الله عنه فى مواضع : ٢٥٣/٢ ، ٢٥٩/٢ ، ٢٦٥/٢ ، ٢٧١/٢ ، ٢٨٤/٢ ، ٣١٦/٢ ، ٣٤٨/٢ ، ٣٨٢/٢ ، ٣٩٥/٢ ، ٤٠٣/٢ ، ٤٥٥/٢ ، ٤٦٥/٢ ، ٥٠٠/٢ ، ٥٠٧/٢ .

وجاء من رواية أبى هريرة وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وعائشة رضى الله عنهم . فلم ينفرد بروايته أبو هريرة .

وعائشة رضى الله عنها لم تعترض على أبى هريرة فى هذا الحديث أبداً ، ولايعقل ذلك عنها وهى من رواة الحديث[١].

والذى يذكر عنه ذلك رجل من التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود يدعى قيس الأشجعى[٢].

فقد روى الإمام أحمد أنه قال لأبى هريرة لما ذكر الحديث : "ياأبا هريرة فكيف إذ جاء مهراسكم؟" قال : "أعوذ بالله من شرك ياقيس"[٣].

ولعل قيساً كان يريد الاستفسار لاالإنكار ، ولو سلمنا أنه يريد ذلك ، فإنكار التابعى على الصحابى لايقدح فى عدالته[٤].

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٧١ .

(٢) انظر : الإصابة فى تميز الصحابة ٢٨٥/٣ . وذكر أن اسمه قين الأشجعى .
والذى فى مسند أحمد "قيس" .
ولذا قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب :
"قيس بن رافع القيسى ، الأشجعى ، المصرى ، مقبول ، من الثالثة ، وهم من ذكره فى الصحابة" . ١٢٨/٢ .

(٣) مسند أحمد ٣٨٢/٢ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص١٣٨ .

(٧) **أبو هريرة :**

وهذه جملة من الشبه التى ألصقت به :

(١) أكثر أحاديثه لم يسمعها من النبى صلى الله عليه وسلم لتأخر إسلامه ، وإنما سمعها من الصحابة والتابعين[(١)]، ومراسيل الصحابة ليست بحجة[(٢)].

(٢) اعترف بأنه صاحب النبى صلى الله عليه وسلم من أجل ملء بطنه ، فلم يكن مخلصاً فى صحبته له[(٣)].

(٣) جرحه كبار الصحابة وشكوا فى روايته لأجل إكثاره من الحديث[(٤)]. واتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلى[(٥)].

(٤) ضربه عمر بالدرة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقنه بأرض دوس أو بأرض القردة[(٦)]. ولذا لم يحدث إلا بعد قتل عمر[(٧)].

(٥) كان كثير النسيان لضعف ذاكرته ، فاختلق قصة ليسوغ بها كثرة أحاديثه ، ويثبت صحة مايرويه فى أذهان السامعين[(٨)].

(٦) ذكر أبو جعفر الإسكافى فى شرح نهج البلاغة أن معاوية حمله على وضع أحاديث فى على[(٩)].

---

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٤٣ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، المجلد ١٩ ، ص٩٩ .

(٣) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٥٤-١٥٥ .

(٤) انظر : فجر الإسلام ص٢١٩ ، أضواء على السنة المحمدية ص١٩٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص١٦٦ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ص١٦٣ .
والدرة هى التى يضرب بها . عربية معروفة .
انظر : الصحاح للجوهرى ٦٥٦/٢ ، لسان العرب ٢٨٢/٤ .

(٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٩٧ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ص١٧٧ .

(٩) انظر : المرجع نفسه ص١٩٠ . =

(٧) لم يكـن له علم ولافقه ولارأى ولانصيحـة، ولذا لم يجعلـه عمر فى أهل شورته(١).

(٨) كـان مـن عـامة الصحابة ، ولم يكـن بينهـم فى العير ولافى النفير(٢). ولم يذكر فى طبقة من طبقاتهم ، ولم يرد فى فضله حديث(٣).

(٩) كـانت به غفلـة وغرة وسذاجة ، ولـذا استغله أعـداء الإسلام فى بث الخرافات والأوهام فى الدين الإسلامى(٤).

(١٠) انتهز الوضاع كثرة أحاديثه فزوروا عليه أحاديث لاتعد(٥).

(١١) انفـرد بأحاديث كـانت مـوضع الإنكـار لغـرابتها(٦)، فصدقتها قلـوب المسلمين وسيطـرت على عقـولهم ، وجعلوها من تمام دينهـم على مابها من مشكلات تحير العقول ، وشبهـات وخرافـات تتخـذ مطـاعن على الـدين ، وأسـانيد يعتمد عليهـا فى إثبـات الإسرائيليـات والمسيحيـات وغيرها(٧).

وإليك أمثلة لأحاديث طعن بها على أبى هريرة رضى الله عنه :

= وأبو جعفر الإسكافى :

هـو محمـد بن عبد الله أبو جعفـر الإسكـافى . من متكلمى المعتزلـة وأحد أئمتهـم تنسـب إليه الطائفة الإسكافيـة . وهو بغدادى أصله من سمـرقند ، وكان يتشيع . مات سنة ٢٤٠هـ .

مـن آثاره : "نقـد كتاب حسين النجـار" ، "الـرد على مـن أنكـر خلـق القرآن" ، "تفضيل على" .

الأنساب ٢٣٤/١-٢٣٥ ، طبقات المعتزلة ص٧٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٥٠/١٠-٥٥١ ، لسان الميزان ٢٢١/٥ ، الأعلام ٢٢١/٦ .

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص٢٠٣ الهامش .
(٢) انظر : المرجع نفسه ص ١٥٢ .
(٣) انظر : المرجع نفسه ص ١٨٤-١٨٥ .
(٤) انظر : المرجع نفسه ص ١٧٢-١٧٣ .
(٥) انظر : فجر الإسلام ص٢٢٠ .
(٦) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧ .
(٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٥٢ .

الحديث الأول : مثال لكذبه .

أورد أبو رية حديث خلق التربة (١) ثم قال :

" من العجيب أن أبا هريرة قد صرح فى هذا الحديث بسماعه من النبى صلى الله عليه وسلم وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به - وإنى لأتحدى الذين يزعمون فى بلادنا أنهم على شىء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم فى غير بلادنا أن يحلو لنا هذا المشكل ، وإن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التى سقط فيها !

إن الحديث صحيح السند على قواعدهم - لاخلاف فى ذلك - وقد رواه مسلم فى صحيحه ولم يصرح من النبى فقط ، بل زعم أن رسول الله قد أخذ بيده وهو يحدثه به ، وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار وأنه مخالف للكتاب العزيز ، فمثل هذه الرواية تعد ولاريب كذباً صراحاً ، وافتراء على رسول الله ، فما حكم من يأت بها ؟ وهل تدخل تحت حكم حديث الرسول " من كذب على فليتبوأ مقعده من النار "(٢) . أم هنالك مخرج لراوى هذا الحديث بذاته !

إنى والله لفى حاجة إلى الانتفاع بعلمهم فى هذا الحديث وحده الذى يكشف ولاريب عن روايات أبى هريرة التى يجب الاحتياط فى تصديقها" (٣).

---

(١) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) سبق تخريجه ، أنظر : ص : ٥٢١-٥٢٢

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الحديث الثانى : مثال على تدليسه .

ذكر أبو رية أن أبا هريرة كان يدلس .

وبين أن حكم التدليس كله مذموم ، وأن من الحفاظ من جرح من عرف به(١).

---

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص١٦٤،١٦٥ .
التدليس : لغة : من الدلس وهو الظلمة ، أو اختلاط الظلام . سمى بذلك لأن المدلس يظلم أمر الحديث ويغطيه على الواقف عليه .
وفى الاصطلاح : إخفاء عيب فى الإسناد وتحسين لظاهره .
وهو أنواع :
١ ـ تدليس الإسناد :
وهو أن يروى الراوى عمن قد سمع منه مالم يسمع منه من غير أن يذكر أنه سمع منه .
٢ ـ تدليس الشيوخ :
وهو أن يروى الراوى حديثاً عن شيخ سمعه منه فيسميه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لايعرف به كى لايعرف .
٣ ـ تدليس التسوية :
وهو أن يروى الراوى عن شيخه ثم يسقط ضعيفاً بين ثقتين لقى أحدهما الآخر
٤ ـ تدليس العطف :
هو أن يروى الراوى عن شيخين ماسمعاه من شيخ اشتركا فيه ، ويكون قد سمع من أحدهما دون الآخر ، فيصرح عن الأول بالسماع ويعطف الثانى عليه ، فيوهم أنه سمع من الثانى أيضاً .
٥ ـ تدليس السكوت أو القطع :
كأن يقول : "حدثنا" أو "سمعت" . ثم يسكت . ثم يذكر اسم شيخه موهماً أنه سمع منه وليس كذلك .
وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة ترجع إلى تدليس الإسناد .
وأما حكم التدليس :
فتدليس الإسناد مكروه جداً ، ذمه أكثر العلماء ، وذهب فريق منهم إلى أن من عرف به صار مجروحاً مردود الرواية .
والصحيح التفصيل : فما صرح فيه بالسماع فيقبل . ومالأتى فيه بلفظ محتمل فيرد. =

ثم قال :

"لما روى حديث (من أصبح جنباً فلاصوم عليه)[١].. أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : "إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم"[٢]، وبعثت إليه بأن لايحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء! وقال : إنها أعلم منى ، وأنا لم أسمعه من النبى ، وإنما سمعته من الفضل بن العباس فاستشهد ميتاً وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث"[٣].

الحديث الثالث : مثال على ضعف ذاكرته ونسيانه .

قال أبو رية :

كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان لاتكاد ذاكرته تمسك شيئاً مما يسمعه ثم زعم أن النبى دعا له فأصبح لاينسى شيئاً يصل إلى أذنه ، وقد ذكر ذلك لكى يسوغ كثرة أحاديثه ، ويثبت فى أذهان السامعين صحة مايرويه .

روى مسلم عن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول :

= وأما تدليس الشيوخ فكراهته أخف ، والأسباب الحاملة عليه أكثر .
انظر موضوع التدليس فى :
مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٩٥-١٠٠ ، اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص٥٠-٥٣ ، شرح نخبة الفكر ص٧١-٧٤ ، تدريب الراوى ٢٢٣/١-٢٣١ ، تيسير مصطلح الحديث ص٧٩-٨٤ .

(١) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى بلفظ مقارب فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب اغتسال الصائم (٢٥) ، ٢٣٤/٢ .
وأخرجه مسلم بلفظ مقارب فى صحيحه ، كتاب الصوم (١٣) ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٣) برقم ١١٠٩ ، ٧٨٠/٢ .

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص١٦٧-١٦٨ .
وانظر : فجر الإسلام ص٢١٩ .

"إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - والله الموعد - ... - فذكر الحديث[١]... على أن هذه الذاكرة القوية التى اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعاً . بل من دون ماذرأ الله من الطباع الإنسانية ، قد خانته فى مواضع كثيرة وأن ثوبه الذى بسطه قد تمزق فتناثر ماكان قد ضمه بين أطرافه ..

روى الشيخان عن أبى هريرة أن النبى قال : "لاعدوى ولاطيرة ولاهامة"[٢]. قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة . ولكن الصحابة عملوا بما يخالفه ، فقد روى البخارى عن أسامة بن زيد أن رسول الله قال : "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلاتدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلاتخرجوا منها"[٣].

وقد جاء هذا الحديث كذلك عن عبد الرحمن بن عوف[٤]. ولما سمع عمر هذين الحديثين وحديث "لايوردن ممرض على مصح"[٥].

---

(١) سبق تخريجه . انظر ص ٥٣٤-٥٣٥

(٢) يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) الحديث : فى صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب مايذكر فى الطاعون (٣٠) ، ٢١/٧ .
وأخرج نحوه بزيادة فى أوله فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب (٥٤) ، ١٥٠/٤ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب الطاعون والطيرة (٣٢) برقم ٢٢١٨ ، ١٧٣٧/٤-١٧٣٩ .

(٤) وحديث عبد الرحمن بن عوف أخرجه البخارى وهو نحواً من حديث أسامة السابق وفيه قصة رجوع عمر لما أخبر بخبر الطاعون . كتاب الطب (٧٦) ، باب مايذكر فى الطاعون (٣٠) ، ٢١/٧-٢٢ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب الطاعون والطيرة (٣٢) ، برقم ٢٢١٩ ، ١٧٤٠/٤-١٧٤٢ .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الطب (٧٦) ، باب لاهامة (٥٣) ، وبلفظ مقارب فى باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ولاطيرة (٣٣) برقم ٢٢٢١ ، ١٧٤٣/٤-١٧٤٤ .

وهـو مما رواه أبو هريرة وكـان قد خرج إلى الشـام ووجد الـوباء ، عاد بمن معه .

وقـد اضطـر أبو هـريرة إزاء هـذه الأخبـار القوية إلى أن يرجع عمـا حدث ، وأن يعترف بنسيانه ، ثم أنكر روايته الأولى .

وفى رواية يونس . قـال الحارث بن ذباب [١] (ابن عم أبى هريرة) قـد كنـت أسمعـك ياأبا هـريرة تحدثنـا مـع حديث "لايوردن ...الـخ" حديث : لاعـدوى". فأنكر معرفته لذلـك !! ووقع عند الإسماعيلى ـ وكـذا عند مسلم ـ من رواية شعيب فقال الحارث (ابن عـم أبى هريرة) إنك حدثتنـا! فأنكر أبو هريرة وغضب وقال : لم أحدثك ماتقول" [٢].

الحديث الرابع : مثال رد الصحابة لروايته .

قال أحمد أمين :

"روى أنه حدث بحديث جاء فى الصحيحين وهـــو : "متى استيقـــظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها فى الإناء ، فـإن أحدكم لايدرى أين باتت يده" [٣]، فلم تأخذ به عائشة ، وقالت : كيف نصنع بالمهراس" [٤]

الحديث الخامس : رد العلماء لحديثه لعدم فقهه .

قال أحمد أمين :

"والحنفيـة يتركـون حديثه أحيـاناً إذا عارض القيـاس ، كمـا فعلوا فى حديث المصـراة ، فقد روى أبو هـريرة أن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم

---

(١) الحارث بن ذباب : هو الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبى ذباب الدوسى ، المدنى ، صدوق يهم . وقال أبو حاتم : "ليـس بالقوى". روى عن ابن المسيب وجماعة ، وعنه محمد بن فليح وأنس بن عياض .
الجرح والتعديل ٣/٧٩-٨٠ ، الكاشف ١/١٩٥ ، تقريب التهذيب ١/١٤٢ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص١٧٧-١٧٩ .

(٣) سبق تخريجه والكلام عنه انظر ص ٧٦٧-٧٦٨

(٤) فجر الإسلام ص٢١٦ .

قال : "لاتصروا الإبل والغنم ، من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر"(١).

قالوا : "أبو هريرة غير فقيه ، وهذا الحديث مخالف للأقيسة بأسرها فإن حلب اللبن تعد ، وضمان التعدى يكون بالمثل أو القيمة ، والصاع من التمر ليس بواحد منها"(٢).

---

(١) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .
قال الزمخشرى : "التصرية : تفعيل ، من الصرى ، وهو الحبس . يقال : صرى الماء : إذا حبسه ، ومنه المصراة ، وذلك أن يريد بيع الناقة أو الشاة فيحقن اللبن فى ضرعها أياماً لايحتلبه ليرى أنها كثيرة اللبن" . الفائق ٢٩٣/٢ .
وانظر : النهاية ٢٧/٣ .

(٢) فجر الإسلام ص٢٢٠ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه[١]، وأجيب عن مطاعن المستشرقين فيه ، وقد ردد المحدثون كثيراً من تلك المطاعن وافتعلوا غيرها ، وأيدوها ببعض مازعموا أنه يقوى من شأنها ، ويعضد من أمرها .

وفى الحقيقة ماأوردوه من شبه لايقل ضعفاً عما سبق إن لم يكن أشد وأوهى .

وسأتناول مما ذكروه مالم تسبق الإجابة عنه .

أولاً :

زعمهم بأن أكثر أحاديثه لم يسمعها من النبى صلى الله عليه وسلم وإنما سمعها من الصحابة والتابعين .

هذه دعوى لادليل عليها بل الدليل خلافها ، وذلك أن المتتبع لما رواه عن غيره من الصحابة يجده يسيراً ، وأكثر مارواه ولم يصرح فيه بالسماع من النبى صلى الله عليه وسلم يعلم من متنه أنه كان فى المدة التى أدركها ، وقد شهد له الصحابة بكثرة الحديث لملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم وسماعه منه . ولايعرف له حديث رواه عن تابعى . وقد تتبع الحافظ العراقى مارواه الصحابة عن التابعين فجمع عشرين حديثاً ، فيها مالايصح ، وباقيها من رواية صغار الصحابة[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى مرسل الصحابى وأنه مما يحتج به[٣].

ثانياً :

زعمهم أنه اتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلى .

هذا زعم حكاه ابن قتيبة عن النظام المعتزلى[٤]، بعد أن وصفه بقوله "وجدنا النظام شاطراً من الشطار ، يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت

---

(١) انظر ص ٥٣٠ فما بعدها .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢١٧ . وانظر التقييد والإيضاح : ص: ٧٦ - ٧٩

(٣) انظر ص : ٥٢٦ فما بعدها .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٢ .

على جرائرها ، ويدخل فى الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائنات"(١). ثم ذكر آراءه المخالفة للحق ، وطعنه فى كبار الصحابة . وقد أجاب رحمه الله عن ذلك جميعا(٢).

فتلقف أبورية تلك الشبهة الساقطة المردود عليها وأوهم القارىء أن ذلك من كلام ابن قتيبة ، تضليلا عن الحق ومنافاة للأمانة(٣).

وماذكره النظام ونقله أبو رية زعم باطل لاصحة له البتة(٤). ولو كان شيء من ذلك لاشتهر ونقله الثقات الأثبات ، وكونه لايوجد إلا من دعاوى أعداء السنة والصحابة ، دلالة واضحة على بطلانه وعدم ثبوته ، وقد أثنى عليه كبار الصحابة ، وروى كثير منهم عنه ، وأطبق أئمة التابعين على جلالته ، وأكثروا من الرواية عنه والاحتجاج بأخباره ، فلاصحة لما ذكر(٥).

ثالثا :

زعمهم أن عمر ضربه بالدرة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقنه بأرض دوس أو بأرض القردة ، ولذا لم يحدث إلا بعد قتل عمر .

والجواب عن ذلك :

أما ضرب عمر له بالدرة ، فهى رواية ضعيفة ، لاصحة لها ، لأنها من طريق أبى جعفر الإسكافى وهو ضعيف(٦).

وأما وعد عمر له بالنفى ، ذكره ابن كثير رحمه الله فقال : "عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن

---

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث ص١٧ .
والجرائر : واحدتها جريرة وهى الجناية والذنب . انظر : لسان العرب ١٢٩/٤ ، الصحاح ٦١١/٢ ، مادة (جرر) . وانظر النهاية ٢٥٨/١ .

(٢) المرجع السابق ص٣٨-٤٢ .

(٣) انظر : دفاع عن السنة ص١٣٣ .

(٤) انظر : دفاع عن أبى هريرة ص١٢٢،١٢٣ ، السنة قبل التدوين ص٤٥٨-٤٦٠ .

(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٦٦ .

(٦) انظر : السنة قبل التدوين ص٤٥٧ ، دفاع عن أبى هريرة ص١٢٣ .

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة .... وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التى قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على مافيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك فى التحديث "(١).

وكلام ابن كثير فى توجيه الرواية على فرض صحتها ، ولكن دون ذلك مفاوز وقفار تنقطع فيها أعناق المطى(٢).

وفى متنه نكارة ، وذلك إن أرض دوس التى يريد عمر رضى الله عنه أن ينفى إليها أبا هريرة ألا تحتاج من عمر إلى حماية من أحاديث أبى هريرة الضعيفة كغيرها من البلدان؟(٣)

والنفى لايمنع أبا هريرة من التحديث خاصة إذا كان فى موضع أمن فيه من مراقبة عمر كأرض دوس . وكان الأولى بعمر رضى الله عنه أن يحبسه بدلاً من نفيه ، ويفرض عليه مراقبة صارمة تمنعه من التحديث .

---

(١) البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى عقب ذكره للخبر :
"هذا وسند الخبر غير صحيح ، ولفظه فى البداية : "قال أبو زرعة الدمشقى حدثنى محمد بن زرعة الرعينى حدثنا مروان بن محمد حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب ...الخ" .
ومحمد بن زرعة لم أجد له ترجمة ، والمجهول لاتقوم به حجة ، وكذلك إسماعيل إلا أن يكون الصواب إسماعيل بن عبيد الله "بالتصغير" ابن المهاجر فثقة معروف لكن لاأدرى أسمع من السائب أم لا ؟
وفى البداية عقبه : "قال أبوزرعة : وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحواً منه ولم يسنده" .
أقول : وسعيد لم يدرك عمر ولاالسائب . هذا ومخرج الخبر شامى" .
الأنوار الكاشفة ص١٥٤ .

(٣) انظر : دفاع عن أبى هريرة ص١٢٢ .

وأبو رية لم يلتزم بالأمـانة العلميـة فى نقلـه لهـذا الخبر ، وذلـك أن الرواية كما أوردها ابن كثير تبين أن الذى ينفى إلى أرض القردة هو كعب الأحبـار لاأبا هـريرة ، فحـذف أبو رية كعب الأحبار وجمـع الموضعين لأبى هريرة .

ولو ثبتت هذه الرواية أيضاً لاشتهر أمرها ، خاصـة فى المدينة ، وعند الصحـابة الذين أثنوا على أبى هريرة ورووا عنه . وقـد اعترف أبو رية بأن كعبـاً ظل يحدث طيلة حياة عمر رضـى الله عنه(١)، فكيف رخص له ومنـع أبا هريرة وقد أوعدهما جميعاً بالنفى . ومما يدل على عدم صحتها أيضاً أن عمـر رضى الله عنه بعث أبا هريرة فى أواخر أيام إمـارته إلى البحرين على القضاء والصلاة ، ولاشك أن ذلك يفتح لأبى هريرة المجال فيعلمهم ويفتيهم ويحدثهم(٢).

رابعاً :

ماذكره أبو جعفر الإسكافى من أن معاوية حمله على وضع أحاديث فى على .

يجاب عن ذلك :

إنه لاحجة فى قول الإسكافى وهو معتزلى يعادى أهل الحديث ، وشيعى هالك ، ولم يورد لها سنداً ، ولم تذكـر فى مصـدر مـوثوق ، وهـذا كاف فى الدلالة على وضعها(٣).

ومعـاوية رضى الله عنه أرفـع منزلة وأعلى مقامـاً من أن يحمل أحداً على وضع حديث فى على أو غيره ، وهو الذى صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من الدين والأمانة رضى الله عنه بالمكـان الذى يمنعه من القـدوم على ذلك الأمر الخطير والفعل الشنيع ، فيستحـل الكذب على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. والصحـابة أكرم من أن يستجيبـوا لأمـر يعلمون

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٨/١ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٥٥ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص٤٤٣ ، دفاع عن السنة ص١٩٠ .

سوء عاقبته ، وفظاعة جرمه ، وجميع ماورد من ذلك فهـي أخبار باطلة ، لم ترد إلا من طريق أهل الأهواء والضلال[1].

وأبو هـريرة لم يتشيع للأمويين ، ولم يكن على صلـة وثيقة بهم ، وقد كان معاوية يوليه على المدينـة ثم يعـزله كـل ماغضـب عليـه . وقـد ثبتـت معارضته للأمويين فى كثير من تصرفاتهم وموالاته لأهل البيت[2].

وممـا يدل على كذب هذه الفـرية أن أبا هريرة رضـى الله عنه روى كثيراً مـن الأحـاديث فى فضـائل أهل البيت عامة وفضـل على خاصة ، ومنها ماهو فى الصحيحين[3].

ثم أين تلـك الأحـاديث التى رواها أبو هريرة فى ذم على؟ ومـاذا قال علماء الحديث عنها؟ وهل عدوها سبباً للقدح فى أبى هريرة؟

إن مـاذكره الإسكـافى دسيسـة شيعيـة يستهـدف من ورائهـا الطعـن فى صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة معـاوية وأبو هريرة رضى الله عنهما .

وهذا أمر ليس بعجيب فى وروده من شيعى هالك ، ولكن الغريب فيه أن يتلقفـه أبو رية فيسود به صفحـات كتابه ، ويضلل بذكـره من لاعلم له .

وهل التحقيق العلمى الذى يدعيه أبو رية يسمح له بإيراد أمثال هذه الأخبـار الـواضحة السقـوط والبطلان ، فى مـوضع الاستـدلال ، ثم بنـاء الأحكام الجائرة عليها؟

إن التحقيـق العلمـى يفرض على الإنسـان البحث عـن الـدليل أولاً ، والتأكد من صحته ، ثم أخذ مادل عليه من حكم ، بعيـد عن الغلو والجفاء، وقد كان أبو رية بعيداً كل البعد عن ذلك .

---

(١) انظـر : السنة قبل التدوين ص٤٤٣ ، الأنوار الكـاشفة ص٩٣ ، دفـاع عـن السنة ص١٩٠ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص٤٣٩ ، سير أعلام النبلاء ٦٠٥/٢ .

(٣) انظـر : الأنوار الكاشفة ص٢١٢ ، الحديث والمحـدثون ص١٦٩ ، دفـاع عـن السنة ص١٩١ ، دفاع عن أبى هريرة ص١٧١ .

خامسا :

زعمهم بأنه كان من عامة الصحابة ، ولم يذكر فى طبقة من طبقاتهم ، ولم يرد فى فضله حديث .

ويجاب عليه :

لقد كان أبو هريرة رضى الله عنه من حفاظ الصحابة إن لم يكن أحفظهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد له بعض الصحابة بالعلم . وقد مر طرف من ذلك(١). وكان من المفتين فيهم(٢)، وقد ولاه عمر البحرين(٣)لرجاحة عقله ، وولاه معاوية على المدينة كذلك عدة مرات(٤).

والزعم بأنه لم يذكر فى طبقة من طبقات الصحابة ، زعم يدل على ضحالة علم صاحبه ، فإن أبا هريرة ممن هاجر بين الحديبية والفتح فى العام السابع من الهجرة(٥).

والزعم بأنه لافضل له ولم يرد حديث فى فضله ، زعم شبه الريح .

فقد كان صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لازمه مايربو على ثلاث سنين ويكفيه ذلك فضلا . وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم له ولأمه أن يحببهما إلى عباد الله المؤمنين(٦).

---

(١) انظر ص٥٣٦ فما بعدها .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٦٠٧/٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ٦١٢/٢ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٦١٣/٢ .

(٥) انظر : دفاع عن السنة ص١٨٣ .

(٦) الحديث : أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبى هريرة (٣٥) برقم ٢٤٩١ وفيه : قال - أبو هريرة - قلت يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم حبب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين" . فما خلق مؤمن يسمع بى ، ولايرانى إلا أحبنى" . ١٩٣٩/٤ .

وقد كان عريف أهل الصفة[(١)]، وهم أضياف الإسلام ، وأحباب النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا فأمن النبى صلى الله عليه وسلم على دعائه[(٢)]. وذكره مسلم فيمن له فضائل من الصحابة[(٣)]، وعقد له الإمام النووى باباً فى شرحه على مسلم[(٤)]، ونص الحاكم على جملة من مناقبه فى مستدركه[(٥)].

والبخارى مع أنه لم يعقد له ترجمة فى صحيحه إلا أنه ضمن كتاب العلم من صحيحه بعض فضائله[(٦)].

وإليك الأجوبة الصحيحة لما مثلنا به من أحاديث طعن فى أبى هريرة بروايته لها :

الحديث الأول :

حديث خلق التربة .

والحديث كما رواه الإمام مسلم بسنده إلى أبى هريرة أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال :

"خلق الله عزوجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثة ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد

---

(١) الصفة : موضع مظلل فى المسجد النبوى كان يبيت فيه أضياف الإسلام .
انظر : القاموس المحيط ص١٠٧٠ .

(٢) انظر : ص : ٥٣٥

(٣) انظر : صحيح مسلم ٤/١٩٣٨-١٩٤١ .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ١٦/٥٢-٥٤ .

(٥) انظر : المستدرك ٣/٥٠٦-٥١٤ .

(٦) انظر : صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ١/٣٧-٣٨ .
دفاع عن السنة ص١٨٣ بتصرف .
وانظر : الأنوار الكاشفة ص٢٠٥ .

العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق . فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل"(١).

وقد تباينت أقوال أهل العلم فى رفع هذا الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم والحكم بصحة نسبته إليه :

قال ابن كثير رحمه الله :

"وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى وغيرهم من الحفاظ . قال البخارى فى التاريخ : "وقال بعضهم عن كعب وهو أصح" يعنى أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وأكد رفعه بقوله "أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيدى" . ثم فى متنه غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض ومافيها فى سبعة أيام . وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت فى أربعة أيام ثم خلقت السموات فى يومين من دخان"(٢).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٥٠) ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام (١) ، رقم الحديث ٢٧٨٩ ، ٢١٤٩/٤-٢١٥٠ .

(٢) البدايةوالنهاية ١٧/١ .
وانظر : تفسير القرآن العظيم ٩٤/٤ .
والآيات المشار إليها هى قوله سبحانه فى سورة (فصلت) : {قل أإنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طاعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم} (٩-١٢)

وذكر شيخ الإسلام خلاف العلماء فى تصحيح وتضعيف رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ثم أيد قول من ضعفه(١).

وذهب السهيلى إلى صحة هذا الحديث ، وعدم مخالفته للقرآن وأنكر قول من ضعفه ، وبين أنه لادليل فى القرآن ولاالسنة على أن يوم الأحد هو أول أيام الأسبوع وإنما ذلك قول اليهود ، ولادلالة على أن ترتيب الأيام المذكور فى الحديث هو الذى نص القرآن عليه فى شأن خلق السموات والأرض ، لأنه فى القرآن لم يورد أسماء تلك الأيام(٢).

كما ذهب الشيخ عبد الرحمن المعلمى إلى صحته ، وأنه لايعارض ماجاء فى القرآن ، وأجاب على أوجه الإشكال فقال :

"أما الوجه الأول(٣)، فيجاب عنه بأن الحديث وإن لم ينص على خلق السماء ، فقد أشار إليه بذكره فى اليوم الخامس النور وفى السادس الدواب وحياة الدواب محتاجة إلى الحرارة ، والنور والحرارة مصدرهما الأجرام السماوية . والذى فيه أن خلق الأرض نفسها كان فى أربعة أيام ، كما فى القرآن والقرآن إذ ذكر خلق الأرض فى أربعة أيام ، لم يذكر مايدل أن من جملة ذلك خلق النور والدواب ، وإذ ذكر خلق السماء فى يومين لم يذكر مايدل أنه فى أثناء ذلك لم يحدث فى الأرض شيئاً ، والمعقول أنها بعد تمام خلقها أخذت فى التطور بماأودعه الله تعالى فيها ، والله سبحانه لايشغله شأن عن شأن .

ويجاب عن الوجه الثانى(٤): بأنه ليس فى هذا الحديث أنه خلق فى اليوم السابع غير آدم ، وليس فى القرآن مايدل أن خلق آدم كان فى الأيام الستة ، ولافى القرآن ولاالسنة ولاالمعقول أن خالقية الله عز وجل وقفت

---

(١) انظر : الفتاوى ١٨/١٨-١٩ .

(٢) انظر : الروض الأنف ١٥٨/٢ .

(٣) وهو :"أنه لم يذكر خلق السموات ، وجعل خلق الأرض فى ستة أيام". الأنوار الكاشفة ص١٩٠ .

(٤) وهو : "أنه جعل الخلق فى سبعة أيام" . انظر : الأنوار الكاشفة ص١٩٠ .

بعد الأيام الستة ، بل هذا معلوم البطلان . وفى أيات خلق آدم أوائل البقرة(١) . وبعض الآثار مايؤخذ منه أنه قد كان فى الأرض عمار قبل آدم عاشوا فيها دهراً فهذا يساعد القول بأن خلق آدم متأخر بمدة عن خلق السموات والأرض .

فتدبر الآيات والحديث على ضوء هذا البيان يتضح لك إن شاء الله أن دعوى مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت ولله الحمد " (٢) .

وماذكره رحمه الله تخريج جيد للحديث ، وهو أولى من القدح فيه .

ومن هنا يتبين لنا أن أبا هريرة رضى الله عنه برىء من تهمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعلى قول من ضعف الحديث يكون الخطأ ممن هو دون أبى هريرة من الرواة ، فوهم بعضهم فى رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو من قول كعب الأحبار .

ذكر الذهبى وابن كثير عن بسر بن سعيد أنه قال :

" اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وحاصل ذلك أن أبا هريرة ذكر حديثين أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء فيه قوله : " أخذ رسول الله بيدى فقال " . والثانى حديث التربة ، فذكره عن كعب ، فجعل بعض الرواة مقول كعب موضع

---

(١) انظر : الآية (٣٠) فما بعدها من سورة البقرة .
(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٩٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/٦٠٦، البداية والنهاية ٨/١٠٩ .

مقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وعلى القول بصحة الحديث - وهو الذى تطمئن إليه النفس - فلاإشكال حينئذ .

وفيما اطلعت عليه من أقوال العلماء حول هذا الحديث لم أجد أحداً منهم قدح فى أبى هريرة رضى الله عنه بروايته له ، ومن ضعف الحديث إنما وهم من هو دونه كما أسلفت . والذى انفرد بالطعن فى أبى هريرة هو أبو رية ومن على منواله . وقوله مردود ، وزعمه باطل .

وكان عليه قبل أن يتبجح بتلك العبارات التى جانبت الصواب ، والأدب ، أن يطلع على أقوال العلماء المحققين حول هذا الحديث .

فشيخ المحدثين - ياهذا - لم يسقط فى هوة كما زعمت ، ولم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ادعيت ، وقد بين لك العلماء بعلمهم الواسع الذى عجزت أنت وأمثالك عن الوصول إلى معشاره ، الحق فى ذلك. وإن كنت صادقاً فيما زعمت أنك فى حاجة إلى الانتفاع بعلمهم ، ولم تكن مستهزئاً ، فقد نقلت لك ماقالوا فخذ به .

الحديث الثانى :

روى مسلم بسنده إلى أبى بكر بن عبد الرحمن أنه قال :"سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقص ، يقول فى قصصه ، من أدركه الفجر جنباً فلايصم . فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك . فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه . حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فسألهما عبد الرحمن عن ذلك . قال فكلتاهما قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم . قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان . فذكر ذلك له عبد الرحمن . فقال مروان : عزمت عليك إلا ماذهبت إلى أبى هريرة فرددت عليه مايقول . قال فجئنا أبا هريرة . وأبو بكر حاضر ذلك كله . قال : فذكر له عبد الرحمن . فقال أبو هريرة : أهما

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٩٣ .

قالتاه لك ؟ قال : نعم . قال : هما اعلم . ثم رد أبو هريرة ماكان يقول فى ذلك إلى الفضل بن العباس فقال : سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم . قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول فى ذلك"(١) .

لقد رمى أبو رية أبا هريرة رضى الله عنه بالتدليس لروايته هذا الحديث، وبين أن حكم التدليس كله مذموم .

وأبو هريرة رضى الله عنه برىء من التدليس كل البراءة . نعم ! قد ذكر الذهبى وابن كثير عن يزيد بن هارون أنه قال : سمعت شعبة يقول :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٣) حديث رقم ١١٠٩، ٢/٧٧٩-٧٨٠ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه كتاب الصوم (٣٠) ، باب الصائم يصبح جنباً (٢٢) ، ٢/٢٣٢-٢٣٣ .
وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى المدنى ، قيل اسمه محمد ، وقيل المغيرة ، وقيل أبو بكر ، وكنيته أبو عبدالرحمن ، وقيل اسمه كنيته . أحد الفقهاء السبعة . ثقة ، عابد يسمى الراهب لكثرة صلاته .
روى عن أبى هريرة وعائشة ، وعنه بنوه والزهرى . مات سنة ٩٤ هـ .
انظر : الجرح والتعديل : ٩/٣٣٦، الكاشف : ٣/٣١٥، تقريب التهذيب ٢/٣٩٨.
وأبوه هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، أبو محمد المدنى ، له رؤية ، وكان من كبار ثقات التابعين . وكان أحد من ندبهم عثمان لكتابة المصحف . روى عن عمر وعثمان ، وعنه بنوه وأبو قلابة الجرمى . مات سنة ٤٣ هـ .
الجرح والتعديل ٥/٢٢٤، الكاشف ٢/١٦٠ ، تقريب التهذيب ١/٤٧٦.

"كان أبو هريرة يدلس"(١).

زاد ابن كثير : "وكـان شعبـة يشير بهذا إلى حديث "مـن أصبح جنباً فلاصيـام له"فإنه لما حقق عليه قال : أخبرنيه مخبر ولم أسمعـه من رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

وماذكره شعبة مخالف لما جرى عليه عمل أكثر العلمـاء فإنهم لايصفون الصحـابة رضى الله عنهم بالتـدليس ، وإنما ذكر ذلك فئـة قليلة جداً ، ومع ذلك لم يريدوا التدليس المعروف عند علماء الحديث(٢).

ولذا قال الذهبى بعد ذكره لقول شعبة السابق :

"تدليس الصحابة كثير ، ولاعيب فيه ، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم ، والصحابة كلهم عدول"(٣).

والصحـابة رضـى اللـه عنهـم بريئـون مما يؤخذ على المدلسين ، فـإن المدلـس يوهم السماع ممن لم يسمـع منه . وهذا منتـف فى حق الصحـابة ، لأن الصحـابى إذا قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ، فيحتمـل أن يكون سمـع ذلـك من النبى صلى اللـه عليه وسلم أو من صحـابى آخر ، وليـس فى ذلك إيهام .

أو أن المدلس لم يبين لعلمه بأن الواسطة غير مرضى .

وهـذا أيضـاً منتف فى حقهـم رضـى الله عنهم لأنهـم كلهـم عدول .

أو أنه يأنف من الرواية عمن حدثه . وهذا لايعهد فى الصحابة رضى الله عنهم ، لأنه ليس من شأنهم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٨/٢ ، البداية والنهاية ١٠٩/٨ .
ويزيد هـو ابن هـارون بن زاذان، أبو خالـد السلمى مولاهـم الـواسطى ، ثقة ، متقـن ، عابد . أحد الأعلام . قـال ابن المدينى : مارأيت أحفـظ منـه . روى عن حميـد والجريرى . وعنـه الـذهلى والحارث بن أبى أسـامة . مـات سنـة ٢٠٦هـ . الجرح والتعديل ٢٩٥/٩ ، الكاشف ٢٨٧/٣ ، تقريب التهذيب ٣٧٢/٢ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص١٣٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٠٨/٢ .

أو أنه يوهم علو الإسناد . وهذا منتف عنهم أيضاً .

أو أنه يعدل من الكشف إلى الاحتمال . وهذا لاضرر فيه لأن الواسطة إن وجدت فهو صحابى(١).

والدليل على أن شعبة لم يرد بقوله ذلك التدليس المذموم أنه رحمه الله كان من المكثرين من رواية حديث أبى هريرة . ويزيد بن هارون الذى ذكر ذلك عن شعبة لم يعمل بما تقتضيه عبارة شعبة ،وروى من حديث أبى هريرة مالم يصرح فيه بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

والذى عليه المحدثون فى الاصطلاح أن مارواه الصحابى ولم يسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ،لايسمونه تدليساً ، وإنما يسمونه إرسالاً(٣). وهو حجة ، كما سبق بيانه(٤).

وأبو هريرة خرج من العهدة بنسبته الحديث للفضل بن عباس ، وأنه هو الذى حدثه به عن النبى صلى الله عليه وسلم(٥)، فهو لم يغلط فيه كما توهم ذلك بعض العلماء(٦).

وقد أجاب العلماء عن حديث الفضل بأجوبة ، أحسنها جوابان :

الأول : أنه معارض بما هو أقوى منه ، فيترك العمل به إلى الأرجح منه وهو حديث عائشة وأم سلمةرضى الله عنهما(٧).

الثانى : أنه كان عند ابتداء فرض الصوم ، إذ كان يمنع الصائم من الأكل والشرب والجماع بعد النوم ، ثم أباح الله ذلك كله إلى طلوع

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٦٠،١٦١ .
وانظر : الأحوال التى تقتضى ذم المدلس وتوهينه فى الكفاية ص٥١٠-٥١١ .

(٢) انظر : دفاع عن أبى هريرة ص١٢٦،١٢٧ .

(٣) انظر : فتح البارى ١٤٨/٤ ، الأنوار الكاشفة ص١٦٤ ، دفاع عن أبى هريرة ص١٢٦،١٣١ .

(٤) انظر : ص: ٥٢٦ فما بعدها.

(٥) انظر : فتح البارى ١٤٥/٤ ، دفاع عن أبى هريرة ص٢٢٨ .

(٦) انظر : فتح البارى ١٤٧/٤ .

(٧) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٠/٧ ، فتح البارى ١٤٨/٤ ، الحديث والمحدثون ص١٥٥ .

الفجر . فيلزم حينئذ أن يقع اغتسال الصائم بعد طلوع الفجر . فدل ذلك على أن حديث عائشة وأم سلمة ناسخ لحديث الفضل ، ولم يبلغ الفضل ولاأبا هريرة الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا بحديث الفضل . ثم لما بلغه النسخ رجع عنه(١).

وقد استدل على دعوى النسخ بقوله تعالى : {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...}(٢)الآية . حيث إن الآية تتضمن إحلال الجماع فى آخر جزء من الليل حيث ينتهى بانتهاء الليل ، ويلزم حينئذ أن يصبح الصائم جنباً(٣).

ومما يعضد دعوى النسخ بقاء جماعة من علماء التابعين على العمل بحديث الفضل ، ثم ارتفع الخلاف ، واستقر الإجماع على خلافه(٤).

فأبو هريرة رضى الله عنه لم يكن مدلساً فى ذكره لهذا الحديث ، وهو إنما كان يفتى بما أخبره به الفضل ، فلما تبين له الحق ، رجع إليه ، ولذلك عد الحافظ ابن حجر رجوع أبى هريرة من فضائله(٥).

وزعم أبى رية أنه استشهد ميتاً وأوهم أنه سمع الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم كما قال ابن قتيبة.

فيه تدليس منكر من أبى رية ، حيث أوهم أن قائل ذلك هو ابن قتيبة وابن قتيبة إنما أورد ذلك حكاية عن النظام المعتزلى ثم رد عليه(٦).

---

(١) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢١/٧ ، فتح البارى ١٤٧/٤ ، الحديث والمحدثون ص١٥٥ ، دفاع عن السنة ص١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٧

(٣) انظر : فتح البارى ١٤٦/٤ ، الأنوار الكاشفة ص١٦٩ .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٢/٧ ، فتح البارى ١٤٧/٤ ، الأنوار الكاشفة ص١٦٩ .

(٥) انظر : فتح البارى ١٤٨/٤ .

(٦) انظر : تأويل مختلف الحديث ص٢٣ ، الأنوار الكاشفة ص١٧٠ .

الحديث الثالث :

روى مسلم بسنده إلى ابن شهاب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف حدثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لاعدوى" ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لايورد ممرض على مصح".

قال أبو سلمة : كان أبو هريرة يحدثهما كلتيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله "لاعدوى" وأقام على "أن لايورد ممرض على مصح" قال فقال الحارث بن أبى ذباب (وهو ابن عم أبى هريرة) : قد كنت أسمعك ياأبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر . قد سكت عنه . كنت تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاعدوى" فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك . وقال : "لايورد ممرض على مصح" فما رآه الحارث فى ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحبشية . فقال للحارث أتدرى ماذا قلت؟ قال : لا . قال أبو هريرة : قلت : أبيت .

قال أبو سلمة : ولعمرى لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لاعدوى" فلاأدرى أنسى أبوهريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟"(١)

وهنا أمور يجب التنبيه عليها :

أولاً : إن حديث "لاعدوى" : أخرجه البخارى (٢)،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ... الخ (٣٣) حديث رقم ٢٢٢١ ، ١٧٤٣/٤-١٧٤٤ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه ، كتاب الطب (٧٦) ، باب لاهامة (٥٣) ، ٣١/٧ .

(٢) صحيح البخارى : من حديث أبى هريرة ، كتاب الطب (٧٦) ، باب الجذام (١٩) ١٧/٧ ، وباب لاصفر (٢٥) ، ١٨/٧-١٩ ، وفى باب لاهامة (٤٥) ، ٢٧/٧ ، وفى باب لاهامة (٥٣) ، ٣١/٧ ، وفى باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .
ومن حديث ابن عمر : كتاب البيوع ، (٣٤) ، باب شراء الإبل الهيم أوالأجرب (٣٦) ، ١٥/٣-١٦ ، كتاب الطب (٧٦) ، باب الطيرة (٤٣) ، ٢٦/٧-٢٧ ، وفى باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .
ومن حديث أنس بن مالك : كتاب الطب (٧٦) ، باب الفأل (٤٤) ، ٢٧/٧ ، وفى باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧-٣٢ .

ومسلم[١]، وأبو داود[٢]، والترمذى[٣]، وابن ماجه[٤]، والإمام أحمد[٥].

وهو مروى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وهم : أبو هريرة ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ، وجابر بن عبد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

فأبو هريرة لم يخطىء فى رواية هذا الحديث ، وقد شاركه هذا العدد من الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) صحيح مسلم . من حديث : أبى هريرة برقم ٢٢٢٠،٢٢٢١ .
السائب بن يزيد ، وجابر بن عبد الله برقم ٢٢٢٢ ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ولاطيرة (٣٣) ، ١٧٤٢/٤-١٧٤٥ .
ومن حديث أبى هريرة برقم ٢٢٢٣ ، وأنس بن مالك برقم ٢٢٢٤ ، وعبد الله بن عمر برقم ٢٢٢٥ ، فى باب الطيرة والفأل (٣٤) ، ١٧٤٥/٤-١٧٤٧ .

(٢) سنن أبى داود من حديث أبى هريرة برقم ٣٩١١،٣٩١٢ ، وأنس بن مالك برقم ٣٩١٦ ، وسعد بن أبى وقاص برقم ٣٩٢١ ، كتاب الطب ، باب فى الطيرة ١٧/٤-١٩ .

(٣) سنن الترمذى : من حديث أنس بن مالك ، كتاب السير (٢٢) ، باب ماجاء فى الطيرة (٤٧) ، برقم ١٦١٥ . وقال الترمذى : "هذا حديث حسن صحيح" ١٣٨/٤ .
ومن حديث ابن مسعود ، كتاب القدر (٣٣) ، باب ماجاء لاعدوى ولاهامة ولاصفر (٩) ، برقم ٢١٤٣ .
وقال : "وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس وأنس" . ٣٩٢/٤ .

(٤) سنن ابن ماجه : من حديث ابن عمر فى المقدمة ، باب فى القدر (١٠) برقم ٨٦ ، ٣٤/١ .
ومن حديث أنس برقم ٣٥٣٧ ، وابن عباس برقم ٣٥٣٩ ، وابن عمر برقم ٣٥٤٠ كتاب الطب (٣١) باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٤٣) ، ١١٧٠/٢-١١٧١ .

(٥) مسند أحمد : من حديث : سعد بن أبى وقاص ١٧٤/١،١٨٠ ، وابن عباس ٢٦٩/١،٣٢٨ ، وابن مسعود ٤٤٠/١ ، وابن عمر ٢٤/٢،١٥٣ ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ٢٢٢/٢ ، وأبى هريرة ٢٦٧/٢،٣٢٧،٣٩٧،٤٢٠،٤٣٤،٤٨٧،٥٠٧ ، وأنس ابن مالك ١٣٠/٣،١٥٤،١٧٣،١٧٨،٢٥١،٢٧٦،٢٧٨ ،وجابر بن عبد الله ٢٩٣/٣،٣١٢،٣٨٢ ، والسائب بن يزيد ٤٤٩/٣-٤٥٠ .

ثانياً : لقد جمع العلماء بين حديث "لاعدوى"وحديث "لايورد ممرض على مصح" بأوجه كثيرة(١)، أولاها ماذكره الإمام النووى عن جمهور العلماء ، ورجحه . حيث قال :

"قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان . قالوا : وطريق الجمع أن حديث لاعدوى المراد به نفى ماكانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدى بطبعها لابفعل الله تعالى . وأما حديث "لايورد ممرض على مصح" فأرشد فيه إلى مجانبة مايحصل الضرر عنده فى العادة بفعل الله تعالى وقدره . فنفى فى الحديث الأول العدوى بطبعها ، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدرة الله تعالى وفعله وأرشد فى الثانى إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره . فهذا الذى ذكرناه من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذى عليه جمهور العلماء ويتعين المصير إليه"(٢).

ثالثاً : ليس فى الحديث مايدل دلالة صريحة على نسيان أبى هريرة . وإنما كان ذلك ظناً من أبى سلمة(٣).

ولذا تردد فى إثبات النسيان لأبى هريرة بقوله : "لاأدرى أنسى أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر" .

فسكوت أبى هريرة وإعراضه عن رواية حديث "لاعدوى" ليس من قبيل النسيان كما ظن أبو سلمة ، فيحتمل أن سكوته من باب مراعاة حال من يحدثهم كخوفه مثلاً أن يعتقد جاهل بتناقض الحديثين ، فسكت عن أحدهما ، ثم إذا أمن ذلك حدث بهما جميعاً(٤).

---

(١) انظر : فتح البارى ١٠/١٦٠-١٦٢ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٤/٢١٣-٢١٤ .
وانظر : مشكلات الأحاديث ص٢٣٣ ، الحديث والمحدثون ص١٥٦ ، دفاع عن السنة ص١٧٠ .

(٣) انظر : فتح البارى ١٠/٢٤٢ .

(٤) انظر : فتح البارى ١٠/٢٤٣ ، الحديث والمحدثون ص١٥٧ .

ولعل أبا هريرة خشى من وقوع بعض الناس فى الشك والارتياب إذا حدث بالحديثين لعجزهم عن الجمع بينهما ، فاقتصر على رواية مايتعلق به حكم عملى منهما ، وسكت عن الآخر(١).

ولو ثبت النسخ - كما ادعى ذلك بعض العلماء - لكان الأولى بحمل سكوت أبى هريرة عليه- ولكن النسخ لايصار إليه بالاحتمال ، والجمع بين الحديثين لم يتعذر . وقد تم الجمع بينهما ، كما أنه يشترط فى النسخ معرفة التاريخ وتأخر الناسخ وذلك غير موجود هنا(٢).

رابعاً : روى البخارى بسنده إلى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : "قلت يارسول الله ، إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه . قال : ابسط رداءك فبسطته . قال ففرق بيديه ثم قال : ضمه ، فضممته ، فما نسيت شيئاً بعده"(٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"قوله : "فما نسيت شيئاً بعد" ... تنكير شيئاً بعد النفى ظاهر العموم فى عدم النسيان منه لكل شىء من الحديث وغيره . ووقع فى رواية ابن عيينة وغيره عن الزهرى ... "فوالذى بعثه بالحق مانسيت شيئاً سمعته منه"(٤).وفى رواية يونس عند مسلم : "فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٠٠،٢٠١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ٢١٤/١٤ ، فتح البارى ٢٤٢/١٠،٢٤٣ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ٣٨/١ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ١٨٨/٤ .
وسعيد هو ابن أبى سعيد كيسان المقبرى ، أبو سعد المدنى ، ثقة تغير قبل موته بأربع سنين . وقال أحمد : ليس به بأس . روى عن أبيه وأبى هريرة ،وروايته عن عاشة وأم سلمة مرسلة . وروى عنه الليث ومالك . مات سنة ١٢٣هـ وقيل ١٢٥هـ
الجرح والتعديل ٥٧/٤ ، الكاشف ٣٦١/١-٣٦٢ ، تقريب التهذيب ٢٩٧/١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبى هريرة (٣٥) برقم ٢٤٩٢ . إلا أنه قال : "ثم ضممته إلى فما نسيت شيئاً سمعته منه" ١٩٣٩/٤

حدثني به"(١). وهذا يقتضي تخصيص عدم النسيان بالحديث . ووقع في رواية شعيب : "فما نسيت من مقالته تلك من شيء"(٢). وهذا يقتضي عدم النسيان بتلك المقالة فقط ، لكن سياق الكلام يقتضي ترجيح رواية يونس ومن وافقه ، لأن أبا هريرة نبه به على كثرة محفوظه من الحديث فلايصح حمله على تلك المقالة وحدها ، ويحتمل أن تكون وقعت له قضيتان : فالتي رواها الزهري مختصة بتلك المقالة ، والقضية التي رواها سعيد المقبري عامة"(٣).

فعلى تقدير أن عدم نسيان أبي هريرة مقيد بتلك المقالة ، فلامانع عندئذ أن ينسى غيرها . وعلى تقدير أن عدم النسيان يعم تلك المقالة

---

(١) صحيح مسلم ، في الكتاب والباب السابقين برقم ٢٤٩٢ ، ١٩٤٠/٤ .
ويونس هو ابن يزيد بن أبي النجاد ، الأيلي ، أبو يزيد مولى آل أبي سفيان . ثقة .
روى عن الزهري ، وفي روايته عنه وهم قليل ، وعن القاسم وعكرمة . وعنه ابن المبارك وابن وهب . مات سنة ١٥٩هـ .
انظر: الجرح والتعديل ٢٤٧/٩-٢٤٩ ، الكاشف ٣٠٥/٣-٣٠٦ ، تقريب التهذيب ٣٨٦/٢

(٢) صحيح البخاري ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ماجاء في قول الله تعالى : {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض} (١) ، إلا أنه قال : "فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء" . ٣/٣ .
وأخرج نحوه من رواية إبراهيم بن سعد في كتاب الحرث والمزارعة (٤١) ، باب ماجاء في الفرس (٢١) ، ٧٣/٣ .
وشعيب هو ابن أبي حمزة الأموي، مولاهم ، واسم أبيه دينار ، أبو بشر الحمصي حافظ ، ثقة ، عابد .
روى عن نافع والزهري - وكان من أثبت الناس فيه - وعن ابن المنكدر ، وعنه ابنه بشر وأبو اليمان وعلي بن عياش . مات سنة ١٦٢هـ وقيل بعدها .
انظر: الجرح والتعديل ٣٤٤/٤-٣٤٥ ، الكاشف ١٢/٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٢/١ .

(٣) فتح الباري ٢١٥/١ ، وانظر : الأنوار الكاشفة ص١٩٦-١٩٧ .

وغيرها ـ وهو الذى رجحه الحافظ ابن حجر وغيره ـ فلامانع من أن ينسى بعض الأحاديث قبل حادثةبسط الثوب(١).

وفى كلا الحالين لاحجة لأبى رية فيما زعم .

خامساً : دعوى أبى رية أن الصحابة عملوا بما يخالف هذا الحديث ، دعوى ممنوعة ، إذ لادليل عليها ، والمنقول عن عمر رضى الله عنه أنه رجع لخبر عبد الرحمن بن عوف وحده ، ولم ينقل عنه أنه كان على علم بخبر أسامة أو خبر "لايورد ممرض على مصح"(٢).فبطل استدلاله .

الحديث الرابع :

حديث "متى استيقظ أحدكم من نومه ..." الحديث .

وقد سبق الكلام عنه(٣).

الحديث الخامس :

روى البخارى(٤)بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : "لاتصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بين أن يحتلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاع تمر" .

هذا حديث ثابت اتفق على صحته البخارى ، ومسلم(٥).

---

(١) انظر : دفاع عن السنة ص١٦٨ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٩٩ .
وقد سبق تخريج الأحاديث ،انظر ص: ١٢١ ، ٧٧٤

(٣) انظر ص : ٧٦٧، ٧٦٨ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب النهى للبائع أن لايحفل الإبل والبقر والغنم (٦٤) .
وأخرج نحوه عنه رضى الله عنه فى نفس الكتاب والباب السابقين ، وفى باب إن شاء رد المصراة (٦٥) ، ٣/٢٥-٢٦ .
وأخرجه بمعناه من حديثه رضى الله عنه . كتاب الشروط (٥٤) ، باب الشروط فى الطلاق (١١) ، ٣/١٧٦ .

(٥) صحيح مسلم ، بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة . وبمعناه من حديثه رضى الله عنه . كتاب البيوع (٢١) ، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه (٤) ،برقم ١٥١٥ ٣/١١٥٥ .
=

ورواه أبو داود(١)، والترمذى (٢)، والنسائى (٣)، وابن ماجه (٤)، والدارمى (٥)، والإمامان مالك(٦)، وأحمد(٧).

= وأخرج نحوه من حديثه رضى الله عنه فى الكتاب نفسه ، وباب حكم بيع المصراة (٧) برقم ١٥٢٤ ، ٣/١١٥٨-١١٥٩ .

(١) سنن أبى داود . بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع ، باب من اشترى مصراه فكرهها برقم ٣٤٤٣ .
وأخرج نحوه : من حديثه رضى الله عنه برقم ٣٤٤٤،٣٤٤٥ ، ومن حديث عبد الله بن عمر برقم ٣٤٤٦ ، فى الكتاب والباب السابقين ٣/٢٧٠-٢٧١ .

(٢) سنن الترمذى . نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع (١٢) ، باب ماجاء فى المصراة (٢٩) برقم ١٢٥١،١٢٥٢ وقال : "وفى الباب عن أنس ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم" .
وقال : "هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا الحديث عند أصحابنا . منهم الشافعى وأحمد وإسحاق" . ٣/٥٥٣-٥٥٤ .
وأخرجه بمعناه من حديث ابن عباس ـ فى الكتاب السابق ، باب ماجاء فى بيع المحفلات (٤١) برقم ١٢٦٨ .
وقال : "وفى الباب عن ابن مسعود وأبى هريرة . وحديث ابن عباس حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم . كرهوا بيع المحفلة . وهى المصراة لايحلبها صاحبها أياماً أو نحو ذلك ، ليجتمع اللبن فى ضرعها . فيغتر بها المشترى . وهذا ضرب من الخديعة والضرر" . ٣/٥٦٨

(٣) سنن النسائى . نحوه من حديث أبى هريرة. كتاب البيوع ، باب المحفلة ، وباب النهى عن المصراة ٧/٢٢٢-٢٢٣ .

(٤) سنن ابن ماجه . نحوه من حديث : أبى هريرة برقم ٢٢٣٩ ،وعبد الله بن عمر برقم ٢٢٤٠ . وبمعناه من حديث عبد الله بن مسعود برقم ٢٢٤١ ،كتاب التجارات (١٢) ، باب بيع المصراة (٤٢) ، ٢/٧٥٣ .

(٥) سنن الدارمى : نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع ، باب فى المحفلات ٢/٢٥١ .

(٦) موطأ مالك . نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب البيوع (٣١) ، باب ماينهى عنه من المساومة والمبايعة (٤٥) ، برقم ٩٦ ، ٢/٦٨٣-٦٨٤ .

(٧) مسند أحمد . نحوه من حديث أبى هريرة : ٢/٢٤٢،٢٤٨،٢٥٩،٢٧٣،٣١٧،٣٨٦، ٣٩٤،٤٠٦،٤١٠،٤١٧،٤٢٠،٤٣٠،٤٦٣،٤٦٥،٤٦٩،٤٨١،٤٨٣،٥٠٧ .
ومن حديث رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ٤/٣١٤ .

وأبو هريرة لم ينفرد بروايته ، فقد شاركه جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يسم .

قال ابن عبد البر :

"هذا الحديث مجمع على صحته وثبوته من جهة النقل ، واعتل من لم يأخذ به بأشياء لاحقيقة لها"(١).

وقد أخذ بهذا الحديث جمهور أهل العلم وأفتى به ابن مسعود وأبو هريرة ، ولم يخالفهما أحد من الصحابة ، وقال به عدد من التابعين لايحصى . وخالف فى ذلك أكثر الحنفية ، وخالفهم البعض فقالوا بقول الجمهور(٢).

ومن المعلوم أن النص متى ثبتت صحته صار أصلاً من أصول الشرع فلايعارض بقياس ولاعقل .

قال ابن السمعانى :

"متى ثبت الخبر صار أصلاً من الأصول ولايحتاج إلى عرضه على أصل آخر ، لأنه إن وافقه فذاك ، وإن خالفه لم يجز رده ، لأنه رد للخبر بالقياس وهو مردود بالاتفاق ، فإن السنة مقدمة على القياس بلاخلاف"(٣).

وقد نقل عن كبار الصحابة رضى الله عنهم تركهم القياس لخبر الواحد ، وهذا الذى عليه جماهير العلماء سلفاً وخلفاً(٤).

وفى مقدمة أولئك العلماء أئمة المذاهب فإنهم ماكانوا يقدمون على الحديث رأياً أو قياساً . بل كانوا يقدمون الحديث الضعيف على القياس ، ولم يشذ عن ذلك أبو حنيفة رحمه الله(٥).

قال ابن القيم :

---

(١) التمهيد ، ١٨/ ٢٠٨

(٢) انظر : فتح البارى ٣٦٤/٤ ، شرح النووى على مسلم ١٦٧/١٠ .

(٣) فتح البارى ٣٦٦/٤ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص١٤٣ .

(٥) انظر : أعلام الموقعين ٣٢/١، ٣٣ .

"وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى ، وعلى ذلك بنى مذهبه كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى"(١).

وقول بعض الحنفية إن حديث المصراة مخالف للقياس ، ولذا تركوا العمل به ، قول فاسد ، وزعم مردود .

وقد أورد الإمام ابن القيم رحمه الله شبهاتهم حول الحديث ومازعموه من مخالفته القياس ، ثم أجاب عن ذلك بأدلة دامغة تدحض تلك الشبه ، وتبين أن الحديث موافق للقياس ، ليس معارضاً له بحال من الأحوال (٢).

---

(١) اعلام الموقعين ٨١/١ .
وحديث القهقهة : رواه عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية قال :"كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه يوماً ، فجاء رجل ضرير البصر ، فوقع في ركية فيها ماء ، فضحك بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من ضحك فليعد وضوءه ، ثم ليعد صلاته" .
وروى نحوه من طريق معمر عن قتادة عن أبي العالية .
باب الضحك والتبسم في الصلاة برقم ٣٧٦٠،٣٧٦١ ، ٣٧٦/٢ .
وذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط أن إسناده على إرساله صحيح . سير أعلام النبلاء ٦٢١/٢ الهامش .
وقد أخرج الدارقطني مجموعة كبيرة من أحاديث إعادة الوضوء والصلاة من القهقهة ، وبين مافيها من علل .وأنه لم يثبت منها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم .
انظر : سنن الدارقطني ، كتاب الطهارة ، باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها ١٦١/١-١٧٥ .
وذكر الزيلعي أن تلك الأحاديث وردت من طرق مسنده : عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وجابر ، وعمران بن الحصين ، وأبي المليح.
ومرسلة : وأشهرها عن أبي العالية، ومعبد الجهني ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري . ثم بين مافي تلك الأحاديث من علل وضعف . انظر نصب الراية ٤٧/١-٥٤ .

(٢) انظر : أعلام الموقعين ٤٧٤/١-٤٧٧ . وانظر : القياس في الشرع الإسلامي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٦-٣٧ .

وفى جوابه رحمه الله جواب لما استشكله أحمد أمين من أن حلب اللبن تعد ، وضمان التعدى يكون بالمثل أو القيمة ، والصاع من التمر ليس بواحد منها ، وهى شبهة تمسك بها من الأحناف من رد الحديث .

فقال فى جوابه :

"وأما اللبن هاهنا . فإنه كان موجوداً حال العقد ، فهو جزء من المعقود عليه ، والشارع لم يجعل الصاع عوضاً عن اللبن الحادث ، وإنما هو عوض عن اللبن الموجود وقت العقد فى الضرع . فضمانه هو محض العدل والقياس . وأما تضمينه بغير جنسه ففى غاية العدل ، فإنه لايمكن تضمينه بمثله البتة . فإن اللبن فى الضرع محفوظ ، غير معرض للفساد ، فإذا حلب صار عرضة لحمضه وفساده ، فلو ضمن اللبن الذى كان فى الضرع بلبن محلوب فى الإناء ، كان ظلماً تنزه الشريعة عنه .

وأيضاً فإن اللبن الحادث بعد العقد اختلط باللبن الموجود وقت العقد فلم يعرف مقداره حتى يوجب نظيره على المشترى ، وقد يكون أقل منه أو أكثر ...

وأيضاً فلو وكلناه إلى تقديرهما أو تقدير أحدهما لكثر النزاع والخصام بينهما، ففصل الشارع الحكيم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله النزاع وقدره بحد لايتعديانه قطعاً للخصومه ، وفصلاً للمنازعة . وكان تقديره بالتمر أقرب الأشياء إلى اللبن .

... فهو يقتات به بلاصنعة ولاعلاج بخلاف الحنطة والشعير والأرز . فالتمر أقرب الأجناس التى كانوا يقتاتون بها إلى اللبن"(١).

والزعم بأن أبا هريرة غير فقيه، فلايؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس . زعم واه لايقل ضعفاً عما سبق .

ولذا قال الحافظ ابن حجر :

---

(١) أعلام الموقعين ٤٧٦/١-٤٧٧ .
وانظر : شرح النووى على مسلم ١٦٧/١٠ .

"وهو كلام آذى قائله به نفسه ، وفى حكايته غنى عن تكلف الرد عليه"(١).

وفى الحقيقة أن أبا هريرة رضى الله عنه كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم ، وكيف لايكون كذلك وهو الذى لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاث سنوات فحفظ من أقواله وشاهد من أفعاله مالم يحفظه غيره ويشهده سواه ، وقد عمر بعد النبى صلى الله عليه وسلم طويلاً ، مما أتاح له أن يقف على كثير من المسائل والفتاوى التى كان يفتى بها كبار الصحابة رضى الله عنهم .

وقد كان من علماء الصحابة من يرجع إليه فى الفتوى .

روى مالك بسنده إلى معاوية بن أبى عياش الأنصارى ، أنه كان جالساً مع عبد الله بن الزبير ، وعاصم بن عمر بن الخطاب . قال : فجاءهما محمد بن إياس بن البكير . فقال :"إن رجلاً من أهل البادية طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها . فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير : إن هذا الأمر مالنا فيه قول . فاذهب إلى عبد الله بن عباس ، وأبى هريرة . فإنى تركتهما عند عائشة . فسلهما . ثم ائتنا فأخبرنا . فذهب فسألهما . فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته ياأبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة ، فقال أبو هريرة الواحدة تبينها ، والثلاثة تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره . وقال ابن عباس مثل ذلك"(٢).

---

(١) فتح البارى ٣٦٤/٤ .

(٢) الموطأ : كتاب الطلاق (٢٩) ، باب طلاق البكر (١٥) برقم ٣٩ ، ٥٧١/٢ . وذكر الأرناؤوط أن إسناده صحيح . انظر سير أعلام النبلاء ٦٠٧/٢ الهامش . وانظر : جامع بيان العلم ٢٠١/٢ .
ومعاوية : هو ابن أبى عياش الزرقى ، أخو النعمان ، مدنى روى عن محمد بن إياس بن البكير . ووهب بن الجد بن قيس ، وروى عنه بكير بن عبد الله بن الأشج ، ومحمد بن إسحاق .
الجرح والتعديل ٣٨٠/٨ .
وعاصم هو ابن عمر بن الخطاب العدوى . ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم سمع أباه . وعنه ابناه حفص وعبيد الله وعروة . مات سنة سبعين وقيل بعدها =

فقد دفع ابن عباس رضى الله عنهما الفتوى إلى أبى هريرة لما كان يعلمه عنه من فقهه وسعة علمه .

ولذا قال الذهبى :

"احتج المسلمون قديما وحديثا بحديثه ، لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه ، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدب معه ، ويقول : افت يا أباهريرة"(١).

وقد ذكره ابن سعد فى النفر من الصحابة الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة . وهم ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ، وجابر(٢).

كما ذكره ابن حزم فى المتوسطين من الصحابة رضى الله عنهم ممن روى عنهم الفتيا(٣).

وذكر ذلك أيضا ابن القيم(٤).

بل من الأحناف من نص على فقه أبى هريرة .

قال ابن الهمام فى التحرير : "وأبو هريرة فقيه"(٥).

وقال شارحه ابن أمير الحاج :

"لم يعدم شيئا من أسباب الاجتهاد ، وقد أفتى فى زمن الصحابة ، ولم يكن يفتى فى زمنهم إلا مجتهد ، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صحابى وتابعى ، منهم ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وهذا هو الصحيح"(٦).

= الجرح والتعديل ٣٤٦/٦ ، الكاشف ٥١/٢ ، تقريب التهذيب ٣٨٥/١ .
ومحمد هو ابن إياس بن البكير ، الليثى المدنى ، ثقة ، روى عن أبى هريرة وجماعة . وعنه أبو مسلمة وغيره . وهم من ذكره فى الصحابة .
الكاشف ٢٣/٣ ، تقريب التهذيب ١٤٦/٢ .

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٩/٢ .
(٢) انظر : الطبقات الكبرى ٣٧٢/٢ .
(٣) انظر : الإحكام فى أصول الأحكام ٩٢/٥ .
(٤) انظر : أعلام الموقعين ١٣/١ .
(٥) التحرير فى أصول الفقه ص٣١٩ طبعة مصطفى الحلبى .
(٦) تيسير التحرير ٥٣/٣ طبعة مصطفى الحلبى .

وقـد عمل الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وأئمة المذاهـب بحديث أبى هريرة فى كثير من المسائل التى تخالف القياس(١).

والحنفية حين توقفوا فى بعض أحاديث أبى هريرة لم يتهموه بالكذب ، ولاطعنـوا فى عدالته ، وإنما كان توقفهم بناء على أصل من أصولهم لم يكن عنـدهم باتفـاق . وهم مع ذلـك محجـوجون فى هذا . والتفـرقة بين الـراوى الفقيه وغيره أمر مستحدث لاعهد للسلف به(٢).

ومـن أقوى مايستدل به على الأحنـاف هنا أن ابن مسعـود رضى الله عنـه ، وهو ممن قال الأحناف بأنه فقيـه، ذهب إلى القـول بحديث المصراة . ولـذا أورد البخـارى قوله عقـب حديث أبى هريرة . فقـد روى بسنـده إليه رضى الله عنه أنه قال : "من اشترى شاة محفلة فردها فليرد معها صاعاً"(٣).

وذلك ملحظ فقهى دقيق من الإمام البخارى رحمه الله .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٦٢٠/٢،٦٢١ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص١٤٣ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب البيوع (٣٤) ، باب النهى للبائع أن لايحفل الإبل (٦٤) ٢٦/٣ .

وأخرج نحوه فى باب النهى عن تلقى الركبان (٧١) ، ٢٨/٣ .

والمحفلة هى : المصراة .

انظر : الفائق ٢٩٦/١ ، النهاية ٤٠٨/١-٤٠٩ .

(٨) **الصحيحان :**

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"ودعوى وجود أحاديث موضوعة فى أحاديث البخارى المسنده بالمعنى الذى عرفوا به الموضوع فى علم الرواية ممنوعة لايسهل على أحد إثباتها . ولكنه لايخلو من أحاديث قليلة فى متونها نظر قد يصدق عليه بعض ماعدوه من علامات الوضع ...وإن فى البخارى أحاديث فى أمور العادات والغرائز ليست من أصول الدين ولافروعه ... فإذا تأملتم هذا وذاك علمتم أنه ليست من أصول الإيمان ولامن أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث رواه البخارى مهما يكن موضوعه ، بل لم يشترط أحد فى صحة الإسلام ولامن معرفته التفصيلية الاطلاع على صحيح البخارى والإقرار بكل مافيه - وعلمتم أيضاً أن المسلم لايمكن أن ينكر حديثاً من هذه الأحاديث بعد العلم به إلا بدليل يقوم عنده على عدم صحته متناً أو سنداً ، فالعلماء الذين أنكروا صحة بعض تلك الأحاديث لم ينكروها إلا بأدلة قامت عندهم قد يكون بعضها صواباً وبعضها خطأ ، ولايعد أحدهم طاعناً فى دين الإسلام"(١).

وقد تحدث محمود أبو رية عن البخارى ومسلم وصحيحيهما مدللاً على أنه لايعتمد على كل مافيهما وأن بهما أحاديث ضعيفة وأن العلماء انتقدوا كثيراً مما فيهما(٢).

ثم قال :

"إنهم - أى العلماء - أعلوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم وكذلك نجد فى شرح ابن حجر للبخارى والنووى لمسلم استشكالات كثيرة ، وألف عليهما مستخرجات(٣) متعددة ، فإذا كان البخارى ومسلم - وهما

---

(١) مجلة المنار : المجلد ٢٩ ، ص١٠٤-١٠٥ . وانظر ص٥١ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص٢٧٣-٢٨٥ .

(٣) المستخرج : أن يأتى مصنف إلى كتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه فى شيخه أو من فوقه .
انظر : الباعث الحثيث ص٢٥ .

الصحيحان ـ كما يسمونها ـ يحملان كل هذه العلل والانتقادات وقيل فيهما كل هذا الكلام ـ دع ماوراء ذلك من تسرب بعض الإسرائيليات إليهما ، وخطأ النقل بالمعنى ، وغير ذلك فى روايتهما ـ فترى ماذا يكون الأمر فى غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث"(١) .

وقال : "الأحاديث الصحيحة مفيدة لغلبة الظن الذى عليه مدار الصحة ... ولافرق فى ذلك بين الشيخين البخارى ومسلم ، هذا هو الصحيح ، خلافاً لمن قال (إن خبر الواحد يوجب العلم) ... ولايلزم من إجماع الأمة على العمل بما فى البخارى ومسلم ، إجماعهم على القطع بأنه كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، ولاعلى أن مافيهما مجزوم بصحة نسبته إلى النبى ، وأن تقدير مافيهما إنما كان للذين أوتوا بعدهما"(٢).

وقال الشيخ المودودى :

"الكتاب الذى وصلت إلينا محتوياته بأسانيد صحيحة غاية الصحة هو صحيح البخارى ، وذلك لأن مؤلفه قام بتمحيص أسانيده أكثر من تمحيص أى مؤلف آخر . وهذا الحكم عليه بالصحة بناحية الإسناد فقط ، وهو صحيح من هذا الجانب قطعاً . أما نقد أحاديثه بالنظر إلى الدراية فقد أشرت آنفاً إلى أنه لم يكن يتعلق بفن أهل الدراية إلى حد كبير . ولهذا لايصح الادعاء بأن تقبل جميع الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى كما هى من غير النقد والتمحيص"(٣).

وقال فى خطاب له فى (١٥ مايو سنة ١٩٥٥م) :

"لايقول الرجل الشريف إن مجموعة الأحاديث التى وصلت إلينا صحيحة قطعاً حتى إن صحيح البخارى الذى قيل فى حقه أصح الكتب بعد كتاب الله ، لايقول أحد مع غاية علوه فى الحديث أن مجموع ستة آلاف

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص٢٩٠-٢٩١ .
(٢) المرجع نفسه ص٣٥١ .
(٣) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص١٥ .
نقلاً عن "الرسائل والمسائل ٢/٤٣-٤٤ ط/ثالثة بدلهى ١٩٧٩م .

من الأحاديث التى فيه ، كلها صحيحة"(١).

وقال الشيخ محمد الغزالى :

"لو نقينا هذا العدد - أى عدد مافى البخارى من أحاديث - من بضع أحاديث قليلة ماذا سيجرى سواء كان هذا فى البخارى أو مسلم"(٢).

أمثلة لما طعن فيه من أحاديث الصحيحين :

قال أحمد أمين :

"نرى البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث "لايبقى على ظاهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة" ، وحديث "من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولاسحر ذلك اليوم إلى الليل"(٣).

---

(١) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٣٧ .
نقلاً عن جريدة الاعتصام الصادرة فى ٢٧ مايو سنة ١٩٥٥م و٣ يونيو سنة ١٩٥٥م

(٢) جريدة "المسلمون" السنة السادسة - العدد (٢٧٦) ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ / ١٨-٢٤ مايو ١٩٩٠م ص١١ .

(٣) فجر الإسلام ص٢١٨ . يأتى تخريج الحديثين والكلام عنهما .

الجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن الصحيحين من حيث منزلتهما بين كتب السنة الأخرى ، وصحة أحاديثهما ، وأنهما فى أعلى مراتب الصحيح ، وماتفيده تلك الأحاديث من علم(١).

وبقيت شبه فى أقوال هؤلاء المحدثين انتخب منها ماأرى أنه بحاجة إلى رد وإبطال . وأجمل ذلك فيما يلى :

(١) إن العلماء انتقدوا كثيراً من أحاديثهما ، فلايعتمد على كل مافيهما لما ورد بهما من أحاديث ضعيفة .

(٢) يوجد فى شرح ابن حجر والنووى اشكالات كثيرة عليهما .

(٣) ألف عليهما مستخرجات متعددة .

(٤) تسربت بعض الإسرائيليات إليهما .

(٥) صحة البخارى من حيث الأسانيد ، ولايتعلق بفن الدراية ، ولذا تحتاج أحاديثه إلى نقد وتمحيص من ناحية متونها .

ويجاب عن ذلك :

(١) لاشك أن صحيحي البخارى ومسلم أصح كتب الحديث بعد كتاب الله تعالى ، ولامطعن فى صحة حديث فيهما .

وقد تلقت الأمة هذين الكتابين بالقبول علماً وعملاً . وبذلك صرح كثير من العلماء .

قال النووى رحمه الله :

"اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخارى ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

---

(١) انظر ص : ٦٠٧ ، ٦٠٨

(٢) شرح النووى على مسلم ١٤/١ .

"فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخارى ومسلم بعد القرآن"(١) .

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله :

"وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وهما اللذان لامطعن فى صحة حديث من أحاديثهما عند العارفين من أهل العلم"(٢).

ولايحق لأحد أن يقدح فيهما أو يهون من أمرهما ، وإلا كان من أهل الابتداع المخالفين لما عليه أمة الإسلام .

قال الدهلوى رحمه الله :

"أما الصحيحان فقداتفق المحدثون على أن جميع مافيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما ، وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين"(٣).

ومن وجد حديثاً فيهما أو فى أحدهما فعليه أن يأخذه مأخذ التسليم ، ولايبحث فى صحته .

قال النووى رحمه الله :

"وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب فى كون مافيهما صحيحاً لايحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً وماكان فى غيرهما لايعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح"(٤).

ومن المعلوم أن بعض العلماء كالدارقطنى وغيره انتقدوا بعض أحاديث الصحيحين ، وتكلموا فيها(٥).

وانتقادهم لم يكن من قبل الطعن فيها بالضعف وعدم الصحة ، وإنما كان من قبل أنها لم تبلغ الدرجةالعليا فى الصحة التى اشترطها صاحبا الصحيحين .

---

(١) الفتاوى ٧٤/١٨ .

(٢) مشكلات الأحاديث ص١٥٨ .

(٣) حجة الله البالغة ٢٨٢/١ .

(٤) شرح النووى على مسلم ٢٠/١ .

(٥) انظر : مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص٤٢ .

ولذا قال النووى :

"قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ماالتزماه"(١).

وقال الشيخ أحمد شاكر :

"الحق الذى لامرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين ، وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر : أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ، ليس فى واحد منها مطعن أو ضعف . وإنما انتقد الدارقطنى وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث . على معنى أن ماانتقدوه لم يبلغ فى الصحة الدرجة العليا التى التزمها كل واحد منهما فى كتابه . وأما صحة الحديث فى نفسه فلم يخالف أحد فيها . فلايهولنك إرجاف المرجفين . وزعم الزاعمين أن فى الصحيحين أحاديث غير صحيحة . وتتبع الأحاديث التى تكلموا فيها ، وانقدها على القواعد الدقيقة التى سار عليها أئمة أهل العلم ، واحكم عن بينة والله الهادى إلى سواء السبيل"(٢).

وقد أجاب على هذه الأحاديث المنتقدة الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح ، والإمام النووى فى شرحه على مسلم(٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول : لاريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل ... فإذا عرف وتقرر أنهما لايخرجان من الحديث إلا مالاعلة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما ولاريب فى تقديمهما فى ذلك على

---

(١) شرح النووى على مسلم ٢٧/١ .

(٢) الباعث الحثيث ص٣٣ .

وانظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٢٦،١٢٤/١٢ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٧٨ .

(٣) انظر : دفاع عن السنة ص٢٧٨ .

غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة . وأما من حيث التفصيل ..."(١).

ثم أجاب عنها حديثاً حديثاً ثم قال فى الختام :

"هذا جميع ماتعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد ، المطلعون على خفايا الطرق ... وليست كلها قادحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه فى الجواب عنه تعسف كما شرحته مجملاً فى أول الفصل وأوضحته مبيناً أثر كل حديث منها فإذا تأمل المنصف ماحررته من ذلك عظم مقدار هذا المصنف فى نفسه وجل تصنيفه فى عينه وعذر الأئمة من أهل العلم فى تلقيه بالقبول والتسليم وتقديمهم له على كل مصنف فى الحديث والقديم وليست سواء من يدفع بالصدر فلايأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية ، والضوابط المرعية"(٢).

(٢) إن استشكال بعض الأحاديث الصحيحة لايدل على بطلانها ، إذ الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وخاصة إذا كان المستشكل يتعلق بأمر غيبى لقصور علم الناس فى جانب علم الله تعالى وحكمته .

وفى القرآن آيات كثيرة يشكل أمرها على كثير من الناس ، والقرآن كله حق لايتطرق إليه باطل . فهل يعد ذلك طعناً فى القرآن؟

ثم إن الإشكالات التى ترد فى نصوص الكتاب والسنة ، لم تأت عفواً، وإنما هو أمر قصد ، ليبلو الله به عباده فيمحص مافى النفوس ويمتحن مافى الصدور ، ويفتح بذلك باب جهاد علمى لعلماء الأمة ليتسابقوا فى الفوز بحل مايشكل وينالوا بذلك أرفع الدرجات وأعلى المقامات(٣).

وهل مااستشكله النووى أو الحافظ ابن حجر حكما عليه بالضعف وعدم الصحة حتى يتخذ ذلك وسيلة للطعن فى الصحيحين؟ أم هو الادعاء

---

(١) مقدمة فتح البارى ص٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) المرجع نفسه ص٣٨٣ .

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٢٣،٢٥٩ .

الباطل الذى لايمت إلى الحقيقة بصلة؟ وقد رأينا كيف دافع النووى وابن حجر عن أحاديث الصحيحين بحيث لم يدعا لطاعن فيهما مجالاً.

(٣) وجود المستخرجات على الصحيحين لايؤدى إلى طعن فيهما ، ولاقدح فى أحاديثهما .

وقد هدف مؤلفوها إلى تقديم خدمات جليلة للصحيحين ، لما تحويه المستخرجات من فوائد جمة ، ومنافع عدة ، ومن تلك الفوائد :

علوالإسناد ، الزيادة فى الصحيح ، بيان الرواية عن المختلط ، بيان الرواية عن المدلس ، تعيين المبهم[١]، تقوية الحديث بكثرة الطرق للترجيح، تمييز المهمل[٢]، وكل علة أعل بها حديث فى أحد الصحيحين جاءت رواية المستخرج سالمة منها ،وغير ذلك من الفوائد[٣].

فلاأدرى كيف اعتبر أبو رية وجود المستخرجات على الصحيحين عللاً تقدح فى أحاديثهما وتطعن فى صحتهما؟

فلعله جهل موضوع المستخرجات ، أو فهمه فهماً خاطئاً ، ولذلك جاءت عبارته منافية للحق ، مجافية للصواب ، دالة على ضحالة علم صاحبها وقلة معرفته .

(٤) لقد جاء الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث عن بنى إسرائيل ورواية أخبارهم .

روى البخارى بسنده إلى عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولاحرج ، ومن

---

(١) هو من أبهم اسمه فى المتن أو الإسناد من الرواة أو ممن له علاقة بالرواية . تيسير مصطلح الحديث ص٢١٣ .

(٢) هو : أن يروى الراوى عن شخصين متفقين فى الاسم فقط أو مع اسم الأب أو نحو ذلك ، ولم يتميزا بما يخص كل واحد منهما .
تيسير مصطلح الحديث ص٢١٢ .

(٣) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٣٢١/١-٣٢٣ ، تدريب الراوى ١١٤/١-١١٦

كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(١).

قال الحافظ ابن حجر فى معنى قوله : "وحدثوا عن بنى إسرائيل ولاحرج" :

"أى لاضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار"(٢).

وقد عقد الإمام ابن كثير رحمه الله فى كتابه "البداية والنهاية" باباً فى بيان الإذن فى الرواية عن أخبار بنى إسرائيل . ثم ساق مجموعة من الأحاديث التى تدل على ذلك .

ثم قال :

"إذا تقرر جواز الرواية فهو محمول على مايمكن أن يكون صحيحاً ، فأما مايعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذى بأيدينا عن المعصوم فذاك متروك مردود لايعرج عليه ، ثم مع هذا كله لايلزم من جواز روايته أن نعتقد صحته لما رواه البخارى ... عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون"(٣).

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ .

(٢) فتح البارى ٤٩٨/٦ .

(٣) البداية والنهاية ١٣٣/٢ . =

وقد ذكر فى القرآن كثير من أخبار بنى إسرائيل منهاماهو حق ومنها ماهو باطل مع بيان بطلانه[١].

وقد تلقى الصحابة الإسرائيليات ، ولكنهم لم يأخذوها مسلمين بصحة كل ماجاء فيها ، وإنما كانوا يزنونها بميزان الشرع ، فما وافق القرآن والسنة صدقوه ، وماخالفهما كذبوه ، ومالم يأت تصديقه أو تكذيبه فيهما ، لم يكذبوه ولم يصدقوه ووكلوا فيه العلم إلى الله[٢].

وقد كان عمر رضى الله عنه يستمع لكعب الأحبار فيما ينقله عن أهل الكتاب ويستحسن بعض ماينقله ، لما يصدقه من الحق[٣].

ورواية الإسرائيليات لاخطر منها إذا وزنت بميزان الشرع[٤].

وقد بذل علماء الحديث جهداً مشكوراً فى الكشف عن الإسرائيليات وتمييز صحيحها من سقيمها ، واحتاطوا فى روايتها كل الاحتياط ، وبلغوا غاية التحرى فى روايتها ، ومن بالغ احتياطهم وتحريهم أن ذكروا أن قول الصحابى فيما لامجال للرأى فيه له حكم الرفع ، شريطة ألايكون معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب[٥].

ولاشك أن البخارى ومسلماً كان لهما القدح المعلى فى تمييز الصحيح من الضعيف من الأخبار ، فلم يوردا فى صحيحيهما إلا ماثبتت روايته ،

= والحديث : فى صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب [قولوا آمنا بالله] (١١) ، ١٥٠/٥ . وفى كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم "لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء" (٢٥) ، ١٦٠/٨ . وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب مايجوز من تفسير التوراة (٥١) ، ٢١٣/٨ . إلا أنه لم يذكر الآية بتمامها فى هذه المواضع . وأخرج نحوه فى كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٢٩) ، ١٦٣/٣ .

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص١٢١ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص١٨٥ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ١٣٤/٢ .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص١٨٥ .

(٥) انظر : دفاع عن السنة ص٨٤ .

وصح مخرجه ، ووافقه الشرع أو سكت عن إبطاله .

فلايعد ماذكراه قدحاً فى الصحيحين أو طعناً فيهما خلافاً لما زعمه أبو رية ومن كان على شاكلته .

(٥) لم يكن البخارى رحمه الله محدثاً فحسب ، بل كان من الأئمة المجتهدين الذين سلمت الأمة بإمامتهم وسبقهم غيرهم . وأقوى دليل على فقهه واجتهاده كتابه الصحيح الذى بوبه على أبواب العلم والفقه ، وقصد من ذلك أن يبرز فقه الحديث وفوائده ، ولذا قطع الأحاديث على حسب الاستدلالات الفقهية ، وكررها فى مواضع كثيرة حسب الاستنباطات والفوائد وذكر فى تراجم الأبواب كثيراً من الآيات والأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين ، ليبين فقه الباب والاستدلال له ، حتى ذاع بين العلماء أن فقه البخارى فى تراجمه(١).

وقد شهد له معاصروه وشيوخه برسوخ قدمه فى الفقه وبروزه فيه ، وتقدمه على أقرانه .

قال يعقوب بن إبراهيم الدورقى ونعيم بن حماد الخزاعى :
"محمد بن إسماعيل البخارى فقيه هذه الأمة"(٢).

---

(١) انظر : معالم السنةالنبوية ص٢٠٠ ، الحديث والمحدثون ص٣٨٠ .

(٢) مقدمة فتح البارى ص٤٨٣ .

ويعقوب هو ابن إبراهيم بن كثير بن أفلح الدورقى ، البغدادى ، العبدى مولاهم الحافظ ، ثقة ، روى عن هشيم والدراوردى . وعنه المحاملى وأبو زرعة . له مسند مات سنة ٢٥٢هـ .

الجرح والتعديل ٢٠٢/٩ ، الكاشف ٢٩٠/٣ ، تقريب التهذيب ٣٧٤/٢ .

وقال حاشد بن إسماعيل[١]:

"رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على المنبر ، والبخاري جالس معه ، وإسحاق يحدث ، فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق إلى قوله ، وقال : يامعشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان فى زمن الحسن بن أبى الحسن البصرى لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه"[٢].

وأقوال العلماء فى ذلك كثيرة جداً .

ولذا جاء كتابه الصحيح كتاب حديث وفقه واستنباط ، غير مقتصر على سرد الأحاديث بل يتعدى ذلك إلى فقهه وشرحه ودراسته[٣].

ولذا تناوله العلماء بالشروح والتآليف حول رجاله وألفاظه ومعانيه ، حتى فاق ماألف فيه على خمسمائة كتاب[٤].

فزعم المودودى أن مؤلفه قام بتمحيص أسانيده ولم يعتن بفن أهل الدراية ، زعم مجانب للصواب لايلتفت إليه ، ولايعول عليه .

وزعمه أن أحاديثه لاتقبل من غير نقد ولاتمحيص ، زعم أوهى من سابقه . إذ إن الأمة تلقت تلك الأحاديث بالتسليم والقبول . وفى الأمة علماء أجلاء يفوقون المودودى علماً وفقهاً واستنباطاً ، وقد مرت بهم تلك الأحاديث ، ووقفوا عليها ، فلم يكن موقفهم موقف المودودى منها .

وأما ماقدحوا به فى الصحيحين من أحاديث ، يجاب عنها بالآتى :

---

(١) حاشد بن إسماعيل بن عيسى الغزال ، من أقران البخارى ، روى عنه الفربرى ومحمد بن إسحاق السمرقندى وغيرهم . قال أبو جعفر المسدى : حفاظ بلدنا ثلاثة فذكره منهم . مات سنة ٢٠١هـ وقيل ٢٠٢هـ .
لسان الميزان ٢/١٦٢-١٦٣ .

(٢) مقدمة فتح البارى ص٤٨٣ .

(٣) انظر : معالم السنة النبوية ص٢٠٤ .

(٤) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص١٢٧ .

الحديث الأول :

روى البخارى[(١)] بسنده إلى عبد الله بن عمر قال : صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام فقال : "أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد" .

ورواه مسلم عن عبد الله بن عمر[(٢)]، وجابر بن عبد الله[(٣)]، وأبى سعيد الخدرى[(٤)].

والحديث عند أبى داود[(٥)]، والترمذى[(٦)]، والإمام أحمد[(٧)]، وغيرهم

وقد بين مراد النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث ماجاء فى رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب السمر فى العلم (٤١) ، ٣٧/١ ، وكتاب مواقيت الصلاة (٩) ، باب ذكر العشاء والعتمة (٢٠) ، ١٤١/١ ، وبلفظ مقارب فى باب السمر فى الفقه (٤٠) ، ١٤٩/١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم" (٥٣) ، برقم ٢٥٣٧ ، ١٩٦٥/٤ .

(٣) المرجع السابق ، نحوه ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ٢٥٣٨ ، ١٩٦٦/٤-١٩٦٧

(٤) المرجع نفسه ، نحوه ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ٢٥٣٩ ، ١٩٦٧/٤ .

(٥) سنن أبى داود ، بلفظ مقارب من حديث عبد الله بن عمر ، كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة ، برقم ٤٣٤٨ ، ١٢٥/٤ .

(٦) سنن الترمذى ، بلفظ مقارب من حديث ابن عمر ، كتاب الفتن (٣٤) ، باب (٦٤) ، برقم ٢٢٥١ ، ٤٥١/٤ .
وأخرج نحوه من حديث جابر بن عبد الله ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ٢٢٥٠ ، ٤٥٠/٤-٤٥١ .
وقال : "وفى الباب عن ابن عمر وأبى سعيد وبريدة" . وقال عن حديث جابر : "هذا حديث حسن".

(٧) مسند أحمد بلفظ مقارب عن عبد الله بن عمر ١٣١،١٢١،٨٨/٢ .
وبنحوه من حديث على بن أبى طالب ٩٣/١ .
ومن حديث جابر بن عبد الله ٣٨٥،٣٧٩،٣٤٥،٣٢٦،٣٢٢،٣١٤،٣٠٥/٣ .

قال عبد الله : "صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : "أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد" . فوهل الناس فى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مايتحدثون فى هذه الأحاديث عن مائة سنة . وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم : "لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض" يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن"(١).

فالنبى صلى الله عليه وسلم إنما عنى بمقالته تلك من كان على ظهر الأرض حينئذ ، فإنه لايبقى منهم أحد بعد مائة عام . وهذا مادل عليه كلام العلماء أيضاً .

قال ابن قتيبة رحمه الله :

".. "لايبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منفوسة" : يعنى ممن حضره فى ذلك المجلس ، أو يعنى الصحابة"(٢).

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله :

"إن رسول الله عليه السلام إنما كان قصد بكلامه ذلك لمن هو يومئذ على الأرض من الناس ، لالمن سواهم"(٣).

وقال النووى رحمه الله :

"هذه الأحاديث قد فسر بعضها بعضاً وفيها علم من أعلام النبوة ، والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لاتعيش بعدها

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة (٩) ، باب السمر فى الفقه (٤٠) ، ١٤٩/١ .
وأخرج مسلم نحوه فى صحيحه : كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم "لاتأتى مائة سنة ..." (٥٣) ، برقم ٢٥٣٧ ، ١٩٦٥/٤-١٩٦٦ .
وهل : أى ذهب وهمه إلى ذلك . ويجوز أن يكون بمعنى سها وغلط .
انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٤٧٢/٢ ، الفائق ٨٥/٤ ، النهاية ٢٣٣/٥ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٩٩ .

(٣) شرح مشكل الآثار ٣٤٨/١ .

أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا ، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة. ومعنى نفس منفوسة : أى مولودة"(١).

وقال ابن بطال رحمه الله :

"إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه المدة تخترم الجيل الذى هم فيه ، فوعظهم بقصر أعمارهم ، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا فى العبادة"(٢).

وقال الحافظ ابن حجر :

"وقد بين ابن عمر فى هذا الحديث مراد النبى صلى الله عليه وسلم وإن مراده:أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن فلايبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة ، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً ، وغاية ماقيل فيه إنه بقى إلى سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من مقالة النبى صلى الله عليه وسلم"(٣).

هذه بعض أقوال شراح الحديث فيه . وكان على أحمد أمين قبل أن يطلق قوله المشين ذاك ، وفهمه الخاطىء للحديث أن يطلع على أقوال أهل العلم فيه ، وبيانهم له .

فالحديث لم يعن قيام الساعة ولانهاية الدنيا ، كما تبين واتضح ، وإنما يعنى نهاية من كان حياً فى ذاك الوقت .

---

(١) شرح النووى على مسلم ٩٠/١٦ .

(٢) فتح البارى ٢١٢/١ .

(٣) المرجع نفسه ٧٥/٢ .

وانظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٢٧٩-٢٨٢ فيه نقد مستفيض لكلام أحمد أمين السابق حول الحديث .

الحديث الثانى :

روى البخارى ومسلم بسنديهما إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولاسحر"(١).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الأطعمة (٧٠) ، باب العجوة (٤٣) ، ٢١٢/٦ ، وفى كتاب الطب (٧٦) ، باب الدواء بالعجوة للسحر (٥٢) ، ٣٠/٧-٣١ ، وفى باب شرب السم والدواء به (٥٦) ، ٣٣/٧ .
وأخرجه مسلم بلفظه ، وبلفظ مقارب ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) ، برقم ٢٠٤٧ ، ١٦١٨/٣ .
وأخرجه أبو داود فى سننه بلفظه من حديث سعد بن أبى وقاص ، كتاب الطب ، باب فى تمر العجوة برقم ٣٨٧٦ ، ٨/٤ .
وأخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة . ولفظه : "العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم" . وفى رواية أخرى : "وهى شفاء من السم" ، كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الكمأة والعجوة (٢٢) ، برقم ٢٠٦٦،٢٠٦٨ .
وقال : "وفى الباب عن سعيد بن زيد وأبى سعيد وجابر" . ٣٥٠/٤-٣٥١ .
وأخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة ، بمثل رواية الترمذى الثانية ، كتاب الطب (٣١) ، باب الكمأة والعجوة (٨) برقم ٣٤٥٥ ، ١١٤٣/٢ .
وأخرجه الدارمى من حديث أبى هريرة مثل رواية الترمذى وابن ماجه السابقة ، كتاب الرقاق ، باب فى العجوة ٣٣٨/٢ .
وأخرج الإمام أحمد فى مسنده نحوه من حديث سعد بن أبى وقاص ١٦٨/١،١٧٧،١٨١ .
ومن حديث أبى هريرة ولفظه : "والعجوة من الجنة وماؤها شفاء من السم" ٣٠١/٢ .
ومن حديثه أيضاً مثل رواية الترمذى ٣٠٥/٢،٣٢٥،٣٥٦،٣٥٧،٤٢١،٤٨٨،٤٩٠،٥١١ .
ومن حديث جابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى ، مثل رواية الترمذى وابن ماجه ٤٨/٣ .
ومن حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه : "إن فى تمر العالية شفاء أو قال ترياقاً أول بكرة على الريق" ٧٧/٦ . وانظر ١٠٥/٦،١٥٢ .
وفى رواية عنها : "فى عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم" ١٠٥/٦ .

لقد بين النبى صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى أن من أكل صبح كل يوم سبع تمرات من العجوة لن يصاب خلال ذلك اليوم بسحر أو بسم . فوجب الإيمان بذلك وإعتقاد صدق ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهب بعض العلماء على أن ذلك عام فى كل عجوة ، لأن السموم مفرطة فى البرودة والتمر حار ، فيدفع برودتها(١).

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله فوائد التمر الطبية فقال :

"وهو مقو للكبد ، ملين للطبع، يزيد فى الباه ... ويبرىء من خشونة الحلق ... وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب ، وأكله على الريق يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق ، خفف مادة الدود ، وأضعفه وقلله ، أو قتله ، وهو فاكهة وغذاء ، ودواء وشراب وحلوى"(٢).

والأكثرون ذهبوا إلى أن ذلك خاص بعجوة المدينة(٣).

وهو الذى تؤيده الروايات الصحيحة .

من ذلك رواية مسلم : "من أكل سبع تمرات ، مما بين لابتيها - يعنى حرتى المدينة - حين يصبح لم يضره سم حتى يمسى"(٤).

ومنها أيضاً حديث عائشة رضى الله عنها عند مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن فى عجوة العالية - موضع بالمدينة - شفاء ، أو إنها ترياق أول البكرة"(٥).

قال النووى رحمه الله :

---

(١)،(٣) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص٢٨٣ .

(٢) زاد المعاد ٤/٢٩١-٢٩٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) حديث رقم ٢٠٤٧ ، ٣/١٦١٨ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) حديث رقم ٢٠٤٨ ، ٣/١٦١٩ .

"وفى هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التى علمها الشارع ولانعلم نحن حكمتها فيجب الإيمان بها وإعتقاد فضلها والحكمة فيها وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها فهذا هو الصواب فى هذا الحديث"(١).

وقال ابن القيم :

"وقد قيل : إن هذا فى عجوة المدينة ، وهى أحد أصناف التمر بها ، ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق ، وهو صنف كريم ، ملذذ ، متين للجسم والقوة ، مع ألين التمر وأطيبه وألذه"(٢).

ولايقصد بهذا الحديث التحدى والتجربة ، لأن العبد لايمتحن ربه ، وإنما ذلك إخبار من النبى صلى الله عليه وسلم بأن من تصبح بذلك العدد من ذلك النوع من التمر كفاه الله به شر السم والسحر(٣).

والطب لايلجأ إليه فى إثبات صحة حديث النبى صلى الله عليه وسلم أو ضعفه ، لأنه خاضع للتجارب والنظريات ، وفيها مايصيب ، ومنها مايخطىء ، وهل وصل الطب إلى اكتشاف جميع خواص العجوة حتى يعتمد عليه فى رد الحديث؟

وإن زعم أحمد أمين بأن التجارب أثبتت خلو العجوة من ترياق للسحر والسم ، فتلك تجارب خاطئة لاتعتمد ، عارضها غيرها فأثبت أن فى العجوة علاجاً للسم .

قال محمد أبو شهبة رحمه الله :

"إن الحديث يعتبر من المعجزات النبوية فقد اطلعت على بحث قيم للدكتور الكيمائى محمود سلامة عن فائدة العجوة فى مجلة "الدكتور" وأنها

---

(١) شرح النووى على مسلم ٣/١٤ .

(٢) زاد المعاد ٣٤١/٤ .

(٣) انظر : مشكلات الأحاديث ص٢٤٣ .

عامل قوى فى دفع السموم من الجسم والتخلص منها كما كتب غيره فى هذا مؤيداً للحديث فقلت : ياسبحان الله ، لقد قال الرسول الكريم هذا ولم يكن طبيباً ولامتطبباً ، وفى وقت لم تكن تقدمت فيه المباحث الطبية إلى إدراك هذا ، ألا فاعتبروا ياأولى الأبصار!! فما رأى المعترضين على هذا الحديث فيما قاله العلم اليوم فى خواص العجوة؟"[١].

---

(١) دفاع عن السنة ص٢١٨ .

(٩) **منهج المحدثين :**

(أ) اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه :

إن علماء الحديث وقفوا مع الإسناد ولم يتعدوه إلى غيره ، فقد اهتموا اهتماماً بالغاً بنقد الأسانيد وتمحيصها ، ولكنهم لم يعتنوا بنقد المتون ، ولو فعلوا لقضى نقد المتون على كثير من الأحاديث التى ثبتت صحة أسانيدها(١).

مثال لعدم نقد المحدثين للمتن :

قال أحمد أمين :

"وفى الحق أن المحدثين عنوا عناية بالنقد الخارجى ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلى ، فقد بلغوا الغاية فى نقد الحديث من ناحية رواته جرحاً وتعديلاً ... ولكنهم لم يتوسعوا كثيراً فى النقد الداخلى ، فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا ؟ مثال ذلك مارواه الترمذى عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الكمأة من المن ، وماؤها شفاء العين ، والعجوة من الجنة ، وهى شفاء من السم"(٢) فهل اتجهوا فى نقد الحديث إلى امتحان الكمأة؟ وهل فيها مادة تشفى العين؟ أو العجوة وهل فيها ترياق؟ نعم إنهم رووا أن أبا هريرة قال : "أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعاً فعصرتهن فى قارورة وكحلت به جارية لى عمشاء فبرأت"(٣) ولكن هذا لايكفى لصحة الحكم ، فتجربة جزئية نفع فيها شىء

---

(١) انظر : تفسير المنار ١٤١/٣ ، مجلة المنار : المجلد ٩ ، ص٤٨٦ ، المجلد ١٩ ، ص٣٤٨ المجلد ٢٩ ، ص٤٠ ، فجر الإسلام ص٢١٧-٢١٨ ، ضحى الإسلام ١٣٠/٢، ١٣٢/٢ ظهر الإسلام ٤٨/٢ ، أضواء على السنة المحمدية ص٤-٥ ، ٣٠٠، ٣٤٢ ، السنة النبوية ص١٥-١٦، ٢٤ .

(٢) يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة ولفظه : "أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعاً فعصرتهن فجعلت ماءهن فى قارورة فكحلت به جارية لى فبرأت" .
كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الكمأة والمن (٢٢) ، ٣٥١/٤ .

مرة لاتكفى منطقياً لإثبات الشىء فى ثبت الأدوية ، إنما الطريقة أن تجرب مراراً ، وخير من ذلك أن تحلل لتعرف عناصرها ، فإذا لم يكن التحليل فى ذلك العصر ممكناً فلتكن التجربة مع الاستقراء . فكان مثل هذا طريقاً لمعرفة صحة الحديث أو وضعه"(١).

(ب) قلة فقه علماء الحديث بالمرويات :

قال الغزالى :

"وقد ضقت ذرعاً بأناس قليلى الفقه فى القرآن كثيرى النظر فى الأحاديث ، يصدرون الأحكام ، ويرسلون الفتاوى ، فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة"(٢).

وقال :

"وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمى هم القادة الموثقين للأمة ، الذين أسلمت لهم زمامها عن رضاً وطمأنينة ، وقنع أهل الحديث بتقديم مايتناقلون من آثار كماتقدم مواد البناء للمهندس الذى يبنى الدار ، ويرفع الشرفات"(٣).

ويعرض بأهل الحديث فى موضع آخر فيقول :

"إن أهل الفقه هم الذين يتحدثون عن الإسلام ، ويشرحون المرويات التى حفلت بها الكتب ووقع عليها الدهماء كما يقع الذباب على العسل .

وقد كان أهل الفقه قديماً هم المتحدثين عن الإسلام ، وأعرف الناس بتراث النبوة"(٤).

ثم ذكر مثالاً لذلك فقال :

---

(١) ضحى الإسلام ٢/١٣٠-١٣١ .
(٢) السنة النبوية ص٢٢ .
(٣) المرجع نفسه ص٢٤ .
(٤) المرجع نفسه ص١١١ .
وانظر : مجلة المنار : المجلد ٣٤ ، ص٦٢٠ .

"إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر لايعرفون حقيقته ولاأبعاده ، ثم يشغبون به على الدين كله دون وعى . خذ مثلاً مايقطع الصلاة .

فقد تشبثوا بحديث يقول : "إن الصلاة تقطعها المرأة ، والحمار ، والكلب الأسود"!(١)

وجمهرة الفقهاء رفضت هذا الحديث ، واستدلت بأحاديث أخرى تفيد أن الصلاة لايقطعها شىء ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصلى وزوجته عائشة مضطجعة أمامه(٢)، كما أن ابن عباس مر بحمار كان يركبه أمام جماعة تصلى ، فلم تفسد لها صلاة(٣)، والكلاب أبيضها وأسودها سواء!

عندما كتبت فى أحد مؤلفاتنا أنه لاسنة بلافقه كنا نريد أن نمنع أناساً يشترون أحد كتب الحديث ، ثم يطالعون أثراً لايدرون ماقبله ولامابعده ،

---

(١) يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) الحديث : أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (٨) ، باب الصلاة إلى السرير (٩٩) وفى باب الصلاة خلف النائم (١٠٣) ، باب التطوع خلف المرأة (١٠٤) ، باب من قال لايقطع الصلاة شىء (١٠٥) ، باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود (١٠٨) ، ١/١٢٨-١٣١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٤) ، باب الاعتراض بين يدى المصلى (٥١) برقم ٥١٢ ، ١/٣٦٦-٣٦٧ .

(٣) روى البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال :
"أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدى بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع ودخلت الصف فلم ينكر ذلك على" . كتاب العلم (٣) ، باب متى يصح سماع الصغير (١٨) ، ١/٢٧ .
وأخرج نحوه فى كتاب الصلاة (٨) ، باب سترة الإمام سترة من خلفه (٩٠) ، ١/١٢٦ ، وفى كتاب الأذان (١٠) ، باب وضوء الصبيان (١٦١) ، ١/٢٠٩ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة (٤) ، باب سترة المصلى (٤٧) ورقمه ٥٠٤ ، ١/٣٦١-٣٦٢ .

ثم يحدثون فوضى قد تراق فيها الدماء"(١).

(ج) اختلاف المحدثين فى جرح الرواة وتعديلهم ، وفى الحكم على الحديث :

قال أحمد أمين :

"إن أحكام الناس على الرجال تختلف كل الاختلاف ، فبعض يوثق رجلاً وآخر يكذبه ، والبواعث النفسية على ذلك لاحصر لها ، ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون فى قواعد التجريح والتعديل ، فبعضهم يرفض حديث المبتدع مطلقاً كالخارجى والمعتزلى ، وبعضهم يقبل روايته فى الأحاديث التى لاتتصل ببدعته ، وبعضهم يقول إن كان داعياً لها لاتقبل روايته وإن كان غير داع قبلت ... إلى غير ذلك من أسباب يطول شرحها ، ومن أجل هذا اختلفوا اختلافاً كبيراً فى الحكم على الأشخاص ، وتبع ذلك اختلافهم فى صحة روايته والأخذ عنه"(٢).

وقال الشيخ المودودى :

"وبما أن هذا الشىء - يعنى الحكم على الأحاديث - ذوقى محض ، ولم ولن يندرج تحت أى ضابط ، لأجل هذا مازالت فيه فسحة للاختلاف ولاتزال"(٣).

وقال :

"لايمكن أن يعتبر علم الإسناد ، وعلم الجرح والتعديل صحيحاً بالكلية ، وبالضرورة يعتمد على مواد هذا العلم إلى أن يستمد به ويراعى فى تحقيق السنة النبوية وآثار الصحابة ،ولكن لايجدر أن يعتمد عليه بالكلية"(٤).

---

(١) السنة النبوية ص١٢٨-١٢٩ .

(٢) ضحى الإسلام ١١٧/٢-١١٨ .
وانظر : أضواء على السنة المحمدية ص٣٠٧-٣٠٩ .

(٣) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص٦٢ .
نقلاً عن التفهيمات ٣٦٢/١ .

(٤) المرجع السابق ص٦٣ الهامش .
نقلا عن التفهيمات ٣٥٩/١-٣٦٠ .

الجواب على ذلك :

(أ) اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه :

هذه شبهة استقاها هؤلاء القوم من أساتذتهم المستشرقين ، وقد رددت عليها من قبل(١)، وبينت أن ذلك زعم خاطىء ، وتجنى سافر على منهج المحدثين ، الذين تناولوا الحديث من كل جوانبه ، ولم يفرطوا فى دراسة أى جزء من جزئياته ، سواء كان ذلك يتعلق بالإسناد أو المتن . وهذه مؤلفاتهم أعظم شاهد على ذلك .

والقول بأنهم لو نقدواالمتون لقضى ذلك على كثير من الأحاديث التى ثبتت صحة أسانيدها . قول يحتاج إلى مايؤيده ، بل هى دعوى جريئة صادرة من غير تعقل وروية .

وأمثال هذه المجازفات فى الأحكام التى لاتستند إلى دليل لاتصلح فى الأمور العلمية ، وخاصة إذا كان ذلك فى موضع النقد ، لأن صاحبها يصبح حينئذ مكشوفاً أمام المنقود لتهافت زعمه وضعف قوله . مثاله هذه الدعوى التى أطلقها هؤلاء قاطعين بها من غير احتمال ، وهى تعكس صورة حقيقية لضحالة علمهم وتضعضع أحكامهم ، وعدم تثبتهم وتحريهم . فالعبرة بمن يعتد بأقوالهم ويثق فى بحوثهم الفجة .

ومع ضعف هذا الزعم يمكن أن يقال لهم : إن ماوضعه علماء الحديث من شروط دقيقة لإثبات صدق الراوى وسلامته من الغلط من حيث توفر العدالة فيه بشروطها ، مع الضبط والحفظ والأمانة ، والأمن من الزيادة والتغيير . كان احتمال الكذب والضعف فى متن الحديث والاختلاف فيه بعيداً جداً ، إن لم يكن معدوماً ، وصحة الإسناد فى الغالب تغنى عن التنقيب فى المتن(٢).

---

(١) انظر ص ٦٢٠ فما بعدها .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص٤٨،٤٩ .

وأما الحديث الذى ذكره أحمد أمين للاستدلال به على عدم اعتناء المحدثين بنقد المتون ، فقد رواه البخارى ومسلم بسنديهما إلى سعيد بن زيد رضى الله عنه قال :

"سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : "الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين"(١).

ورواه أيضا الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد .

فهو حديث صحيح لامطعن فى صحته من حيث إسناده ، ومتنه .

وقد نص العلماء والأطباء على أن الكمأة لها أثر بالغ فى شفاء العين ، وقد جرب ذلك بعضهم ، وأيد بتجربته صدق الحديث .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب قوله تعالى : {وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى} (٤) ، ١٤٨/٥ ، وفى تفسير سورة الأعراف (٧) ، باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} (٢) ، ١٩٧/٥ ، وفى كتاب الطب (٧٦) باب المن شفاء للعين (٢٠) ، ١٧/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، من حديث سعيد بن زيد . كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها (٢٨) برقم ٢٠٤٩ .
وأخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة برقم ٢٠٦٨،٢٠٦٦ ، ومن حديث سعيد بن زيد برقم ٢٠٦٧ ، كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الكمأة والعجوة (٢٢) ، ٣٥١-٣٥٠/٤ .
وأخرجه ابن ماجه فى سننه من حديث أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله برقم ٣٤٥٣ ، ونحوه من حديث سعيد بن زيد برقم ٣٤٥٤ ، وأبى هريرة برقم ٣٤٥٥ ، كتاب الطب (٣١) ، باب الكمأة والعجوة (٨) ، ١١٤٣-١١٤٢/٢ .
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث سعيد بن زيد ١٨٨،١٨٧/١ ، وأبى هريرة ٥١١،٤٩٠،٤٨٨،٤٢١،٣٥٧،٣٥٦،٣٢٥،٣٠٥،٣٠١/٢ ، وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى ٤٨/٣ ، ونحوه من حديث بريدة الأسلمى ٣٥١،٣٤٦/٥ .
"والكمأة من المن" : أى هى مما من الله به على عباده .
وقيل شبهها بالمن ، والعسل الحلو ، الذى ينزل من السماء على بنى إسرائيل عفواً بلاعلاج . وكذلك الكمأة ، لامؤنة فيها ببذر ولاسقى .
انظر : الفائق ٣٩٠/٣ ، النهاية ٣٦٦/٤ .

قال النووى رحمه الله :

"وقوله صلى الله عليه وسلم "وماؤها شفاء العين" : قيل هو نفس الماء مجرداً ، وقيل معناه أن يخلط ماؤها بدواء ويعالج به العين ، وقيل إن كان لبرودة مافى العين من حرارة فماؤها مجرداً شفاء وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره . والصحيح بل الصواب أن ماءها مجرداً شفاء للعين مطلقاً فيعصر ماؤها ويجعل فى العين منه . وقد رأيت أناوغيرى فى زمننا من كان عمى وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجرداً فشفى وعاد إليه بصره"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار ، وقد اعترف فضلاء الأطباء بأن ماءها يجلو العين ، وممن ذكره المسيحى ، وصاحب القانون وغيرهما"(٢).

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٤/٤-٥ .

(٢) زاد المعاد ٤/٣٦١ .

والمسيحى : هو عيسى بن يحي المسيحى الجرجانى أبو سهل ، حكيم غلب عليه الطب علماً وعملاً . ولد بجرجان ، ونشأ وتعلم ببغداد ، وسكن خرسان . ومات سنة ٤٠١هـ .

وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب . من آثاره : "إظهار حكمة الله تعالى فى خلق الإنسان" ، "الطب الكلى" ، "كتاب المائة فى الصناعة الطبية" . وغير ذلك .

الأعلام ٥/١١٠ .

وصاحب القانون هو :

الفيلسوف الشهير ، أبو على ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا . البلخي ثم البخارى ، صاحب التصانيف فى الطب والفلسفة والمنطق . كان من أهل دعوة الحاكم العبيدى ، من القرامطة الباطنيين ممن عرفوا بالإلحاد . مات سنة ٤٢٨هـ . من آثاره : "القانون" ، "الشفاء" ، "الإشارات" ، "أسرار الصلاة" . وغيرها الكثير .

قال الذهبى فى الميزان : "ماأعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفى النحلة ضال" .

وفيات الأعيان ٢/١٥٧-١٦٢ ، ميزان الاعتدال ١/٥٣٩ ، سير أعلام النبلاء ١٧/٥٣١-٥٣٦ ، العبر ٢/٢٥٨-٢٥٩ ، الوافى بالوفيات ١٢/٣٩١-٤١٢ ، الأعلام ٢-٢٤١-٢٤٢ .

ونقل عن الغافقى أنه قال :

"مـاءالكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجـن به الإثمد واكتحـل به ، ويقـوى أجفـانها ، ويزيد الـروح الباصرة قوة وحدة ، ويدفـع عنهـا نزول النوازل"(١) .

وقـد اعترف صـاحب ضحى الإسلام بأن أبا هـريرة قـد جرب الكمـأة فوجدها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكـن هل جرب أحمد أمين ذلـك فباءت تجربته بالفشـل؟ إن العلماء جربوا ، والأطبـاء أثبتـوا أن فى الكمـأة شفـاء للعين ، ألايرضـى ذلـك كله أحمد أمين لكى يقتنع بصحة الحديث؟ أم يريد من الخلـق جميعاً أن يجربوا الكمـأة وتنقـل إليه تجاربهـم فإن نجحت جميعاً ، صـح الحديث ، وإلا كـان كذباً؟

إن أحمد أمين يزعم أن التجارب المتتالية أو التحاليل الطبية هى التى تثبت لنا صحة الحديث أو وضعه .

إنها قاعدة جديدة تضاف لعلم مصطلح الحديث لم أقف على من قال بها من العلماء السابقين ، أو أشار إليها .

ولو حكمت أمثال هذه القواعد فى أحاديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم لعمـت الفوضى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولاختـلـط أمر الشرع على العباد ، إذ تصبح الأحاديث حينئذ عرضة لآراء النـاس وتجاربهم ، فكل يقبل ماثبت عنده عن طريق التجربة ويرد مالم يثبت.

ويتهاوى حينئذ ماقعده علماء الحديث من قواعد وأصول لإثبات صحة الحديث وضعفـه ، ويصبح الأطبـاء المسلمون منهم وغير المسلمين هـم الذين

---

(١) زاد المعاد ٣٦٥/٤ . وانظر : فتح البارى ١٦٥/١٠ .
والغافقى هو :
عبـد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمـد بن بقى الغافقى ، شيـخ الفقهاء فى وقته بالأندلس . من المالكية . مات سنة ٦١٧هـ .
مـن آثاره : كتـاب فى التفسير ، جمـع فيـه بين تفسيرى الـزمخشرى وابن عطيـة ، ومختصر فى الحديث جمع فيه بين صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى .
الأنساب ٩/٣ الهامش ، الأعلام ٤٩/٤-٥٠ .

يرجع إليهم فى الحكم على الأحاديث .

وهل ياترى بلغ علم الطب إلى الحد الذى تصبح فيه أحكامه ثابتة لاتتبدل ولاتتغير ، حتى يحكم فى غيره من العلوم ، خاصة فى الشريعة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحى من عند الله؟

إن علم الطب لازال قاصراً فى اكتشاف كثير من الحقائق ، كما أنه لازال عاجزاً عن اكتشاف كثير من الأدوية الناجعة لعلاج كثير من الأمراض والأوبئة .

ومن الذى يدعى أن علم الطب بلغ كماله وغايته؟ لاأظن أن أحداً من الأطباء يدعى ذلك دعك عن غيرهم .

ومن الغريب أن أحمد أمين لم يأت بما يدلل به من تجارب تثبت عدم صحة الحديث ، بل جاء بما يؤيده ، ومع ذلك شكك فى صحة الحديث ، واتهم علماء الحديث بالتقصير فى نقد المتون .

إنها جرأة ، وتعد على حرمة النص دون مستند ولادليل ولاحجة قائمة.

(ب) قلة فقه علماء الحديث بالمرويات :

إن الطعن فى علماء الحديث وأهله بقلة الفقه داء قديم أصيب به أهل الابتداع من قبل . وذلك لما جهلوا السنن وتشبثوا بآراء الرجال وقل علمهم بحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وعجزوا أن يكونوا من حملته ، شنوا على أهل الحديث وعلمائه حرباً لاهوادة فيها ، تارة بالطعن والتسفيه ، وتارة بالتجهيل وعدم الفقه ، وأخرى بقصور منهجهم وقلة فهمهم ... الخ ماذكروا فى ذلك .

إن علماء الحديث عنوا بفقه الأحاديث وفهمها ، عنايتهم بحملها وروايتها ، فلم يكونوا زوامل للأخبار وحملة للأسفار فقط كما يزعمون :

ومن الذى يدعى أن مالكاً والشافعى وأحمد بن حنبل ، بل والزهرى وسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة والأوزاعى وحماد بن زيد

وعبـدالرحمن بن مهدى وعبد الله بن المبارك ويحي بن سعيـد القطان ويحي ابن معين والبخـارى ومسلماً وأبا داود والترمذى والنسـائى وابن ماجه وابن حبان والدارقطنى وأمثالهم ممن حمل علم الحديث ، ليسوا بفقهاء وإنما حملة أسفـار، فـإن لم يكن هؤلاء هـم أئمة الفقه وجهابذته فمـن يكـون غيرهم؟(١)

قال ابن قتيبة :

"فـأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهتـه ، وتتبعوه من مظـانه ، وتقربوا من الله تعـالى ، باتباعهم سنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وطلبهم لآثاره وأخباره ، براً وبحراً ، وشرقاً وغرباً .

يرحل الـواحد منهم راجلاً مقـوياً فى طلب الخبر الـواحد ، أو السنـة الواحدة ، حتى يأخذها من الناقل لهامشافهة .

ثم لم يزالوا فى التنقير عن الأخبار والبحث لها ، حتى فهموا صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها مـن الفقهاء إلى الرأى .

فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ، وبسق بعد أن كان دارسـاً ، واجتمع بعد أن كان متفرقاً ، وانقاد للسنن مـن كان عنها معرضاً ، وتنبـه عليها من كان عنها غـافلاً ، وحكم بقول رسول اللـه صلى الله عليه وسلم بعـد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيـه خلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢).

وفى الحقيقـة لايتوفر الفهـم والذكاء والغوص على المعـانى فى طـائفةمن الطوائف كما يتوفران فى أهل الحديث ، وخير شاهد على ذلك تراجمهم التى دونهـا العلمـاء الثقات ، وآثارهـم التى خلـدوها للأمـة . بل لـو رجعت إلى المتأخرين منهم ممن اهتم بالحديث كابن الصلاح والنـووى وأبى شامة وابن دقيـق العيـد وابن تيميـة وابن القيم وابن كثير وابن رجب والـزركشى والعـراقى وابن حجـر والسيوطى والـدهلوى والشوكانى وابن عبـد الـوهاب

---

(١) انظـر : دفاع عن السنة ص٣٤،٣٥ ، كشـف موقف الغزالى مـن السنة ص٨٠،٨١ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٧٣-٧٤ ،

وغيرهم الكثير لوجدتهم أئمة فى الفقه والأصول واللغة والتفسير وغير ذلك ، فما بالك بالأئمة السابقين الذين هم أكثر اجتهاداً وأبلغ استنباطاً وأحد ذكاء ، وأعمق فقهاً وعلماً ، من هؤلاء(١).

وهل طلب الحديث يبعد الإنسان عن الفقه فى الدين ، ويمنعه من تدبر القرآن الكريم ، ويبلد فهمه ، حتى يوصف من طلبه واشتغل به بقلة الفقه؟

إن علم الحديث لايرغب فيه إلا فحول الرجال ، ونوابغ العلماء وأذكياء الأمة .

قال ابن الصلاح :

"هذا وإن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة ، وأنفع الفنون النافعة . يحبه ذكور الرجال وفحولهم ، ويعنى به محققو العلماء وحملتهم . ولايكرهه من الناس إلا رذالتهم وسفلتهم وهو من أكثر العلوم تولجاً فى فنونها ، لاسيما الفقه الذى هو إنسان عيونها . ولذلك كثر غلط العاطلين منه من مصنفى الفقهاء ، وظهر الخلل فى كلام المخلين به من العلماء"(٢).

والعجيب فى الغزالى يطعن فى علماء الحديث على حساب علماء الفقه ، وهى تفرقة ماأنزل الله بها من سلطان ، ومن فرق لم يقصد بذلك الإساءة إلى من يشتغل بالحديث أو بالفقه كما يفعل الغزالى .

بل علماء الحديث والفقه والتفسير وغيرهم كانوا دوماً موضع احترام الأمة وتقديرها وتبجيلها .

قال الطحاوى رحمه الله :

"وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر - لايذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"(٣).

---

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص٨١ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص٣ .

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص١٩٠ ، وانظر : أعلام الموقعين ١٠٩/١ .

وهل ياترى يصبح الإنسان فقيهاً فى دين الله من غير أن يعتمد على المصدر التشريعى الثانى وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وهل برز من برز فى الفقه من العلماء وخاصة الأئمة الأربعة إلا باتباعهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمامهم بحديثه؟

وهل يمكن أن يكون القرآن وحده ـ كما يدعى هذا الغزالى ـ مصدراً لاستنباط الأحكام دون السنة؟

هذا منهج خاطىء من التزمه ضل عن سواء السبيل ، وتنكب طريق العلماء من محدثين وفقهاء ، وألقى بنفسه بين أحضان أهل الابتداع وزمرة الضلال .

وهل الغزالى الذى يصدر هذه الأحكام فى علماء الحديث ، ويوجه إليهم هذه الاتهامات الباطلة ، يعد من الفقهاء والعلماء الذين يقعدون القواعد ويشققون المسائل؟ ومن سبقه بهذه الاتهامات من العلماء الأجلاء الذين اعترفت الأمة بعلمهم وفقههم .

وما أشبه موقف الغزالى هذا بما حدث لعبد الله بن الحسن الهسنجانى (١) بمصر . كما ذكر ذلك الخطيب البغدادى بسنده إليه أنه قال :

"كنت بمصر ، فرأيت قاضياً لهم فى المسجد الجامع ، وأنا ممراض . فسمعت القاضى يقول : مساكين أصحاب الحديث لايحسنون الفقه . فحبوت إليه ، فقلت : اختلف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى جراحات الرجال والنساء ، فأى شىء قال على بن أبى طالب ، وأى شىء قال زيد بن ثابت ، وأى شىء قال عبد الله بن مسعود؟ فأفحم . قال عبد الله : فقلت له : زعمت أن أصحاب الحديث لايحسنون الفقه ، وأنا من أخس أصحاب الحديث ، سألتك عن هذه فلم تحسنها ، فكيف تنكر على قوم أنهم

---

(١) عبد الله بن الحسن الهسنجانى أبو محمد الرازى . روى عن إسماعيل بن عمر الواسطى ، وحسين الجعفى ، ومحمد بن بشر العبدى ، وغيرهم ، وعنه أبو حاتم وأبو زرعة ، ومحمد بن مسلم . قال أبو حاتم : "رازى صدوق" .
الجرح والتعديل ٥/٣٤ .

لايحسنون شيئاً وأنت لاتحسنه؟"(١)

وهو رد مفحم ومناسب للشيخ الغزالى .

وإذا وجد بعض رواة الحديث ممن كان همهم الجمع والحفظ دون التبصر فى المروى والتفقه فيه - وهم قلة - هل يشغب بهم على جملة أهل الحديث؟

إن المحققين من علماء الحديث نددوا بهؤلاء ، وحذروهم من أخذ الحديث بغير فهم ودراية ، بل وجعلوا الاهتمام بفقه الحديث من آداب طالب الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"ثم لاينبغى لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون معرفته وفهمه ، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل وبغير أن يحصل فى عداد أهل الحديث بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين المتحلين بما هم منه عاطلون"(٢).

ولماذا لايهاجم الغزالى أناساً يدعون الفقه ثم يتهجمون على بعض الأحاديث فيردونها ، إما لقصورهم فى علم الرواية ، أو لتعصبهم لمن يقلدونه، أو لجهلهم؟

وإذا كان الغزالى قد ابتلى ببعض طلبة العلم الذين يحتاجون إلى بعض التوجيه ، أو ينقصهم شىء من الحكمة ، فهل يكال بسببهم كل هذا الطعن وذلك الهجوم على علماء الحديث ومنهجهم؟

ولماذا لايتخذ الغزالى أسلوباً رشيداً لتوجيه هؤلاء الشباب وتصحيح مسارهم ، بدلاً من الطعن والإساءة لأناس أبرياء مما رموا به؟

وأما حديث مايقطع الصلاة :

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص٧٧ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٢٦-١٢٧ ، وانظر : دفاع عن السنة ص٢٨٤ .

فقد رواه مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا قام أحدكم يصلى ، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل . فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود" .

قلت - القائل عبد الله بن الصامت - ياأبا ذر مابال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال : ياابن أخى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : "الكلب الأسود شيطان"(١).

ورواه أيضا أبو داود(٢)، والترمذى (٣)، والنسائى (٤)، وابن ماجه(٥)، والدارمى(٦)،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب قدر مايستر المصلى (٥٠) ، حديث رقم ٥١٠ ، ٣٦٥/١ .
وأخرجه بمعناه من حديث أبى هريرة فى الكتاب والباب السابقين ، برقم ٥١١ ، ٣٦٥/١-٣٦٦ .
وعبد الله بن الصامت هو الغفارى ، البصرى ، ثقة . روى عن عمه أبى ذر ، وعمر . وعنه أبو عمران الجونى ، وحميد بن هلال . مات بعد السبعين .
الجرح والتعديل ٨٤/٥ ، الكاشف ٩٧/٢ ، تقريب التهذيب ٤٢٣/١ .

(٢) سنن أبى داود ، نحوه من حديث أبى ذر برقم ٧٠٢ ، وبمعناه من حديث ابن عباس برقم ٧٠٣،٧٠٤ ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ١٨٧/١ .

(٣) سنن الترمذى ، نحوه من حديث أبى ذر ، أبواب الصلاة ، باب ماجاء أنه لايقطع الصلاة إلا الكلب والحمار والمرأة (٢٥٣) برقم ٣٢٨ .
وقال الترمذى : "وفى الباب عن أبى سعيد ، والحكم بن عمرو الغفارى ، وأبى هريرة وأنس" .
وقال : "حديث أبى ذر حديث حسن صحيح" . ١٦١/٢-١٦٢ .

(٤) سنن النسائى ، نحوه من حديث أبى ذر ، وبمعناه موقوفاً على ابن عباس ، كتاب القبلة ، باب ذكر مايقطع الصلاة ٥٠/٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ، نحوه من حديث أبى ذر برقم ٩٥٢ . وبمعناه من حديث ابن عباس برقم ٩٤٩ ، وأبى هريرة برقم ٩٥٠ ، وعبد الله بن مغفل برقم ٩٥١ ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب مايقطع الصلاة (٣٨) ، ٣٠٥/١-٣٠٦ .

(٦) سنن الدارمى ، نحوه من حديث أبى ذر ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ومالايقطعها ٣٢٩/١ .

والإمام أحمد(١).

وجاء عن جماعة من الصحابة منهم : أبو ذر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأنس ، وعائشة ، والحكم بن عمرو ، وعبد الله بن مغفل .

وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث جماعة من الصحابة والتابعين والأئمة . منهم : أبو هريرة وأنس وابن عباس فى رواية عنه ، والحكم وعائشة ـ ولكنها استثنت المرأة ـ وعطاء والحسن وأحمد والظاهرية واختاره ابن تيمية وابن القيم والشوكانى وغيرهم(٢).

وجمهور العلماء على خلاف ذلك(٣). واستدلوا بحديث "لايقطع الصلاة شىء"(٤).

---

(١) مسند أحمد ، نحوه من حديث أبى ذر ١٦١،١٦٠،١٥٥،١٥١،١٤٩/٥ .
وبمعناه من حديث ابن عباس ، ولم يذكر الحمار ٣٤٧/١ .
وأبى هريرة ٤٢٥،٢٩٩/٢ ، وعبد الله بن مغفل ٨٦/٤ ، ٥٧/٥ ، وعائشة رضى الله عنها ٨٥/٦ .
وأورد نحوه الهيثمى من حديث أنس . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح" . ومن حديث الحكم بن عمرو الغفارى . وقال :"رواه الطبرانى فى الكبير". مجمع الزوائد ٦٣/٢ .

(٢) انظر : حوار هادىء ص١٣٥ ، نيل الأوطار ١٢/٣-١٣ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٧/٤ .

(٤) الحديث : أخرجه أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى ، مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وموقوفاً عليه . كتاب الصلاة ، باب من قال لايقطع الصلاة شىء برقم ٧٢٠،٧١٩ ، ١٩١/١ .
وإسناده : قال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء، ثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن أبى الوداك عن أبى سعيد .
ومجالد : هوابن سعيد بن عمير الهمدانى ليس بالقوى . وقد تغير فى آخر عمره . تقريب التهذيب ٢٢٩/١ .
وأبو الوداك : هو جبر بن نوف الهمدانى البكالى . صدوق يهم . تقريب التهذيب ١٢٥/٢ .
وأخرجه الدارقطنى فى سننه من طريق مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد . كتاب الصلاة ، باب صفة السهو وأحكامه ... وأنه لايقطع الصلاة شىء ٣٦٨/١ . =

وهو حديث ضعيف لاينهض للحجية(١).

وحديث عائشة رضى الله عنها فى اضطجاعها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم جاء فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ متعددة عنها رضى الله عنها(٢).

وقد أجاب عنه العلماء بعدة أجوبة :

أحدها : أن العلة فى قطع الصلاة مايحصل من التشويش وقد جاء فى رواية عنها "والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح"(٣). فانتفى المعلول بانتفاء علته .

ثانيها : المرأة فى حديث أبى ذر مطلقة ، وفى حديث عائشة مقيدة بالزوجة . فيقيد القطع بالأجنبية لخشية الافتتان بها بخلاف الزوجة .

ثالثها : حديث عائشة جاء واقعة حال يتطرق إليها الاحتمال ، بخلاف حديث أبى ذر فإنه مسوق مساق التشريع العام . وقد أشار بعضهم على أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

= وأورده ابن حزم فى المحلى وحكم بضعفه . انظر ١٨/٤ .
كما أخرج الدارقطنى نحوه من حديث أبى أمامة ، وأنس ، وابن عمر فى الكتاب والباب السابقين ٣٦٧/١-٣٦٨ .
قال ابن الجوزى : "ليس فى هذه الأحاديث شيء صحيح" . العلل المتناهية ٤٤٩/١
وأورد الهيثمى نحوه من حديث جابر وقال : "رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه يحي بن ميمون التمار وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان فى الثقات" . كماأورد حديث أبى أمامة وقال رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن" . مجمع الزوائد ٦٥/٢ .
وذهب الشيخ أحمد شاكر إلى تصحيح حديث أبى سعيد ، وزعم أنه ناسخ للأحاديث الأخرى . انظر سنن الترمذى ١٦٣/٢-١٦٦ الهامش .

(١) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٧/٤ ، فتح البارى ٥٨٨/١ ، حوار هادىء ص١٣٥ ، نيل الأوطار ١٣/٣ .

(٢) سبق تخريجه انظر: ٨٢٦

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب الصلاة على الفراش (٢٢) ، ١٠١/١ ، وفى باب التطوع خلف المرأة (١٠٤) ، ١٣٠/١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب الاعتراض بين يدى المصلى (٥١) ، ٣٦٧/١ .

ورجح بعضهم أن المرأة يقطع مرورها دون لبثها ، لأن المرور بين يدى المصلى حرام بخلاف الاستقرار(١).

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى مروره بين يدى الصف على حمار ، فهو مروى فى الصحيحين وغيرهما(٢).

وفيه دلالة على أن سترة الإمام سترة لمن خلفه(٣)، وابن عباس إنما مر بين يدى المأمومين ، ولم يمر بين الإمام وسترته .

ولذا عنون البخارى للحديث بـ: "باب سترة الإمام سترة من خلفه"(٤)، وهذا أمر لاخلاف فيه بين العلماء(٥).

فإذا تبين هذا ، يتضح أن قول الغزالى : "إن القاصرين من أهل الحديث ... الخ".قول لايليق ، ووصف مخل بالأدب مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وعلماء الأمةالأجلاء الذين ذهبوا إلى القول بمقتضى الحديث .

إضافة إلى أن الخلاف لم يكن بين أهل الحديث وبين الفقهاء كما تصوره الغزالى ، وإنما كان خلافاً بين من ذكرنا وبين جمهور العلماء ، فتخصيصه ذلك بأهل الحديث قصور منه وتحامل لاينبغى .

ثم وصف المخالف من العلماء بالقصور لخلافهم فى مسألة علمية ، مناف لما عليه أهل العلم فى الأدب مع المخالف . ثم أين هو الشغب على الدين كله الذى يزعمه الغزالى بوقوعه ممن تمسك بهذا الحديث؟

إنها دعوى مبنية على الظن لاحقيقة لها فى الخارج. وزعمه أن جمهور الفقهاء رفض هذا الحديث ، زعم خاطىء ، فجمهور العلماء لم يرفضوا هذا الحديث أبداً ، وإنما كان الخلاف فى الحكم الذى دل عليه الحديث هل هو

---

(١) انظر : فتح البارى ٥٩٠/١ .
(٢) سبق تخريجه انظر ص: ٨٢٦ .
(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٣/٤ ، نيل الأوطار ١٤/٣ .
(٤) صحيح البخارى ١٢٦/١ .
(٥) فتح البارى ٥٧٢/١ .

باق ، أم منسوخ بغيره ، أم مقيد بسواه . وهذا لايعد رفضاً للحديث كما فهم الغزالى(١).

وخلاف أهل العلم حول حديث ما لايعد رداً للحديث أو طعناً فى صحته ، وإنما ذلك لأسباب سبق ذكرها(٢).

والعلماء إنما عارضوا دلالة هذا الحديث بأحاديث أخرى ، ولم يعارضوه بعقل ورأى كما يفعل الغزالى ومن على نهجه .

فاتكاء الغزالى على الفقهاء هنا حجة غير نافقة ، ودليل لايشفع له .

ثم أين فقه الغزالى الذى يدعيه فى معارضته هذا الحديث بحديث عائشة رضى الله عنها وحديث ابن عباس ، أما علم أن حالة الاضطجاع بخلاف حالة المرور بين يدى المصلى ، وأن المرور بين صفوف المأمومين لايؤثر على صلاة الإمام . إذ سترة الإمام سترة لمن خلفه؟ كيف غاب ذلك عنه ، وهو الذى يتهم المحدثين بقصور فى الفقه؟

وقوله : "والكلاب أبيضها وأسودها سواء" . قول مخالف للثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مناهض له . وقد استشكل ذلك أبو ذر فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم بأن الكلب الأسود شيطان ، فرضى أبو ذر رضى الله عنه بما أجيب به ، ثم أجاب من سأله عن ذلك . ألا يرضى هذا الجواب الغزالى كما أرضى من هو خير منه؟

أم لعله يريد جواباً عقلياً يعلل به ذلك ، فإليه ماذكره ابن قتيبة رحمه الله ، قال :

"لأن الأسود البهيم منها ، أضرها وأعقرها ، والكلب إليه أسرع منه إلى جمعها ، وهو ـ مع هذا ـ أقلها نفعاً وأسوؤها حراسة ، وأبعدها من الصيد ، وأكثرها نعاساً .

---

(١) انظر : أزمة الحوار الدينى ص٤٣ .

(٢) انظر ص ٥٨١ ، ٥٨٢ .

وقال : "هو شيطان" يريد : أنه أخبثها ، كما يقال فلان شيطان ، وماهو إلا شيطان مارد ، وماهو إلا أسد عاد ، وماهو إلا ذئب عاد - يراد : أنه شبيه بذلك .

وإن كانت الكلاب من الجن ، أو كانت ممسوخاً من الجن ، فإنما أراد أن الأسود منها ، شيطانها ، فاقتلوه ، لضره ، والشيطان هو مارد الجن"(١).

(ج) اختلاف المحدثين فى الجرح والتعديل :

لقد سبق الجواب عن شبهة المستشرقين حول اختلاف المحدثين فى الجرح والتعديل ، وفى الحكم على الحديث(٢)، وماقاله هؤلاء المُحْدَثُون هنا ماهو إلا تكرار لشبهة أساتذتهم السابقة ، وماأجيب به هنالك كاف للاجابة ههنا .

ولكن بقيت جزئية استشهد بهاأحمد أمين على اضطراب منهج المحدثين فى التجريح والتعديل ، وهى رواية المبتدع(٣).

ولاشك أنه قد وقع الخلاف بين علماء الحديث فى حكم رواية المبتدع من حيث القبول والرد .

ولكن ماهو الراجح فى ذلك الذى عليه العمل؟

وهل خلافهم فى رواية المبتدع يقدح فى صحة منهجهم؟

لقد لخص لنا الحافظ ابن حجر رحمه الله أقوال العلماء فى حكم رواية المبتدع والراجح منها فقال :

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص١٣٦ . وانظر : القياس فى الشرع الإسلامى لابن القيم ص٩٢-٩٣ .

(٢) انظر : ص : ٦٠٨ فما بعدها.

(٣) البدعة فى اللغة : مااخترع على غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى : {بديع السموات والأرض} أى مخترعهما من غير مثال سابق .
وأما فى الاصطلاح فقد قال الشاطبى : "البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية". الاعتصام ١/٣٦-٣٧ .
وهنالك تعريفات أخرى للبدعة . انظر كتاب "البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها" ص١٩٣-٢٢٠ .

"ثم البـدعة إما بمكفر أو بمفسق ، فالأول : لايقبـل صاحبها الجمهور ، والثـانى يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته فى الأصح ، إلا أن روى مـايقوى بدعته فيرد على المختار"(١).

والخلاف المذكـور فى قبول رواية المبتدع لايؤثر فى منهـج المحدثين فى توثيـق الرواة ونقدهم ، لأن الأقوال فى ذلك نظرية ، والقـاعدة التى ينطلق منها فى إثبات رواية الراوى ونفيها هى صدق الراوى وأمـانته والثقة بدينه وخلقـه ، فمتى ماثبت ذلك فى راو ما قبلت روايته . وقـد تتبع أحوال كثير من أهل البدع فوجدت رواياتهـم مـوضعاً للثقـة والاطمئنـان ، وإن رووا مايوافق رأيهم(٢).

ولـذا قـال الذهبى فى ترجمـة أبان بن تغلب الكـوفى : "شيعـى جلد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه ، وعليه بدعته" . ثم نقل توثيقه عن الإمام أحمد وغيره ثم قال :

"فلقـائل أن يقـول : كيف سـاغ توثيق مبتدع ، وحد الثقـة العـدالة والإتقان ، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

وجوابه : إن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى ، كغلـو التشيع ، أو كالتشيع بلاغلو ولاتحرق ، فهذا كثير فى التابعين وتابعيهـم مع الدين والورع والصـدق ، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة الآثار النبـوية ، وهذه مفسدة بينـة . ثم بدعـة كبرى كالـرفض الكـامل والغلو فيه ، والحط على أبى بكـر وعمـر رضـى اللـه عنهما ، والـدعاء إلى ذلـك ، فهـذا النـوع لايحتـج بهـم ولاكرامة . وأيضاً فما استحضر الآن فى هذا الضرب رجلاً صادقاً ولامأموناً ، بل الكـذب شعارهم ، والتقيـة والنفاق دثارهم ، فكيف يقبـل نقـل من هذا

---

(١) نخبة الفكر مع شرحها ص١٠١-١٠٣ .
وانظـر : مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضـاح ص١٤٨-١٥٠ ، اختصار علـوم الحديث مع شرحه البـاعث الحثيث ص٩٤-٩٥ ، تقـريب النووى مع شرحه التدريب ٣٢٤/١-٣٢٥ ، تيسير مصطلح الحديث ص١٢٣-١٢٤ .

(٢) انظر : الباعث الحثيث ص٩٥ .

حالـه؟ حاشا وكلا . فالشيعى الغالى فى زمان السلف وعـرفهم : هو من تكلم فى عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً رضى الله عنه ، وتعـرض لسبهم . والغالى فى زماننا وعرفنا : هو الذى يكفـر هؤلاء السادة ، ويتبرأ من الشيخين أيضاً ، فهذا ضال مفتر"(١).

وقال الحافظ ابن حجر :

"والتحقيـق أنه لايرد كـل مكفـر بـبـدعته لأن كــل طـائفة تدعـى أن مخالفيهـا مبتـدعة ، وقد تبالـغ فتكفـر مخالفيها ، فلو أخذ ذلـك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف ، فالمعتمد أن الذى ترد روايتـه من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة وكذا من اعتقد عكسه ، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضـم إلى ذلـك ضبطه لما يرويه مـع ورعـه وتقواه فلامانع من قبوله"(٢).

إذن : إن مدار قبول رواية الراوى وردها ينبنى على عدالته وضبطه لما يرويه فمتى كان كذلك قبلت روايته . وهذه قاعدة ثابتة عند المحدثين . وقد سبق بيان ذلك(٣).

ونختم هـذه الجزئـية بكلمـة ضافية للشيخ محمد أبى شهبـة . إذ يقـول : "فـإذا اجتمـع فى الـراوى هـذه الشـروط ـ الإسلام ، التكليـف ، العـدالة ، الضبـط ـ كان أهلاً لقبول روايتـه ، وليس من شك فى أن مـن توفـرت فيه هذه الشروط ترجح ترجحاً قوياً صدقه على جانب كذبه ، بل مـن اطلع على منهـج المحـدثين فى النقـد وطـريقتهم فى التعـديل والتجـريح ومبـالغتهم فى التحـرى عن معرفة حقيقة الراوى وطوية نفسه ، والأخذ بالظنـة والتهمة فى رد مـروياته ، يكـاد يجزم بأن تجويز الكـذب على الـراوى المستجمـع لهـذه الشـروط أمر فرضى واحتمال عقلى ، وهـذه الحقيقة قـد تبـدو لبعض من لم يدرس كتب الرجال

---

(١) ميزان الاعتدال ١/٥-٦ .
(٢) شرح نخبة الفكر ص١٠١ .
(٣) انظر ص : ٦١٠

والنقد عند المحدثين فيها شيء من المغالاة ولكن الحق مـاذكرت ، ومن أبعد النجعة فى كتب القوم عرف ، ومن عرف اعترف"(١).

(١) دفاع عن السنة ص٣٢ .

الخاتمة

ومن خلالِ معالجتى لهذا الموضوعِ خرجتُ بالنتائجِ الآتيةِ :

السنة :

(١) السنةُ بيانٌ للقرآنِ ملازمةٌ له لاينفصلُ أحدُهما عن الآخرِ ، فالآخذُ بما فيها كالآخذِ بما فى القرآنِ .

(٢) إجماعُ هذه الأمةِ على الأخذِ بها وعدمِ التقدمِ بين يديها بعقلٍ أو رأى أو اجتهادٍ .

(٣) اهتمَ الصحابةُ بحفظِ السنةِ فى الصدورِ والكراريسِ ، وأوصلوها إلى مَنْ بعدَهم بيضاءَ نقيةً ، فحملها التابعون عنهم واهتمُوا بها كأسلافِهم حتى دُونتْ فى الصحاحِ والجوامعِ والمسانيدِ وغيرِها .

(٤) تقييضُ اللهِ للسنةِ فى كلِ زمانٍ مِن العلماءِ المُخْلِصين الذين أفنَوا أعمارَهم فى خدمتِها والدفاعِ عنها وذبِ الكذبِ والوضعِ عن جنابِها ودفعِ الشبهِ عن حِياضِها حتى وصلتْ إلينا نقيةً صافيةً .

ولاسعادةَ لأمةِ الإسلامِ إلا بالتمسكِ بها والعضِ عليها بالنواجذِ وعدمِ التقدمِ بين يديها .

العقلُ :

(١) اهتمامُ الإسلامِ بالعقلِ ، فلم يُنْقِصْهُ حقَهُ ، ولم يرفعْهُ فوقَ مقامِه الذى وضعَهُ اللهُ فيه .

(٢) العقلُ السليمُ لايُمكنُه أن يخالفَ نصاً صحيحاً أبداً ، بل متى ماوُجِدتْ مخالفةٌ بينَهما ، فإما أن يكونَ النصُ غيرَ صحيحٍ أو أن يكونَ العقلُ غيرَ صريحٍ .

(٣) السلفُ رِضوانُ اللهِ عليهم لم يُقدموا العقلَ على نصوصِ الوحيِ ، ولم يُلْغُوا عملَهُ ، بل وقفوا به عندَ حدِه الذى حَدَّهُ اللهُ له ، فأعْمَلوه حيثُ جازَ له أن يَعْمَلَ ، ووقفوا به حيثُ حُقَّ له أن يَقِفَ .

(٤) العقلُ ناقصٌ عاجزٌ عن إدراكِ كثيرٍ من حقائقِ الأشياءِ ، فلا يُمكِنُه أن يكونَ حَكَماً على دينِ اللهِ ، إضافةً إلى أن العقولَ مختلفةٌ متباينةٌ ، فلا تُعطى أحكاماً منسجمةً كأحكامِ الوحيِ .

(٥) أن دعوى وجودِ عقلياتٍ مخالفةٍ للشرعِ ، لا حقيقةَ لها عند الاعتبارِ الصحيحِ ، بل هي أوهامٌ وخيالاتٌ وشبهٌ عاريةٌ عن الصوابِ ، إضافةً إلى أنه لا ضابطَ عندَ من يَرُدُّ النصوصَ بالعقلِ يُفَرِّقُ به بينَ ما يُرَدُّ وما لا يُرَدُّ .

(٦) ردُّ النصوصِ عقلاً أوجدَ أثراً بالغاً في زعزعةِ كثيرٍ مِن العقائدِ وعدمِ احترامِ نصوصِ الوحيِ الاحترامِ اللائقِ ، والتهوينِ من شأنِها .

المعتزلة :

(١) تأثرَ المعتزلةُ بالفلسفةِ اليونانيةِ ، وأعطَوها صِبْغَةً إسلاميةً ليستعينوا بها على نظرياتِهم وجدلِهم ، فكان ذلك ذا أثرٍ بالغٍ في ردِ النصوصِ بالعقلِ ، وفتحِ بابِ شرٍ عظيمٍ على أمةِ الإسلامِ دخلَ منه كثيرون من أعداءِ الإسلامِ ، وتأثرَ بذلك جحافلُ من أبناءِ المسلمين .

(٢) مخالفةُ المعتزلةِ منهجَ السلفِ في فهمِ النصوصِ ، وعَجْزُ عقولِهم عن الفهمِ الصحيحِ لها أدى بهم إلى الاضطرابِ وعدمِ الاستقرارِ المنهجيِ .

المستشرقون :

(١) المستشرقون امتدادٌ لليهودِ والنصارى الأُوَلِ الذين بذلوا كلَ ما في وُسْعِهم لطمسِ الإسلامِ في مهدِه .

(٢) شدةُ عداوةِ المستشرقين للإسلام دفعتْهُم إلى تشويهِهِ وإظهارِه بصورةِ الرجعيةِ وعدمِ مواكبةِ الحضارةِ ، وزعزعةِ العقيدةِ في نفوسِ أبنائِه بشتى السبلِ ..

(٣) أن المستشرقين يتدثرون بثوبِ التبشيرِ والاستعمارِ ، وإن لَبِسُوا مُسُوحَ العلماءِ ، ويَستهدفون مِن وراءِ ذلك محوَ الإسلامِ وإذلالَ أهلِه ، والاستيلاءَ على ثَرْواتِ بلادِهم .

(٤) لم يَستطعْ أن يتخلصَ المستشرقون فى دراستِهم للإسلامِ مِن العصبيةِ والعداءِ له مهما حاولوا الانقيادَ إلى المنهجيةِ العلميةِ التى يزعمُونها ، مِما أدى إلى عدمِ النزاهةِ والتجردِ والدقةِ فى بحوثِهم ، وكثْرةِ الأخطاءِ وضحالةِ المعلوماتِ .

(٥) تأثرُهم بالتيارِ المادى الذى يَسُودُ الحضارةَ الغربيةَ وبُعْدُهم عن الجانبِ الروحى كان له أثرٌ فى إقحامِ عقولِهم فى الأمورِ الغيبيةِ التى تَخرجُ عن نطاقِ العقلِ .

(٦) عدمُ تصديقِهم بنبوةِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم كان من أكبرِ الدوافعِ لهم فى بثِ شكوكِهم ومطاعِنهم فى بقيةِ جوانبِ الإسلامِ .

(٧) كانتِ الحروبُ الصليبيةُ مُنْطَلَقَ عداءٍ جديدٍ للعالمِ الإسلامِى ، حيثُ جعلتِ الغربَ المسيحىَ يَبذلُ قُصَارَى جُهْدِه فى حربِ الإسلامِ فى كلِ الميادينِ وبشتى السبلِ .

(٨) عَرَفَ المستشرقون أهميةَ السنةِ فركزوا طعونَهم عليها ليتسنى لهمُ الطعنُ فى القرآنِ ، ووجدوا فى منهجِ المعتزلةِ مايَخدِمُ أغراضَهم فدافعوا عنه وتَبَنَّوه وساروا على مِنوالِه فى محاربةِ السنةِ ، مما يُمكنُ أن يقالَ : إن المستشرقين امتدادٌ للمدرسةِ الاعتزاليةِ فى التعاملِ مع الأحاديثِ مع تباينِ هدفِ الرفضِ .

(٩) نجاحُ الاستشراقِ فى استقطابِ كثيرٍ مِن أبناءِ الإسلامِ الذين انخدعوا بأفكارِه وآرائِه وتأثروا بثقافاتِه ومناهِجه ، وكثيرٌ منهم يُمثلون رموزاً بارزةً فى بِلْدَانِهم ، فكان لذلك أثرٌ بالغٌ فى نشرِ تلك الأفكارِ بينَ المسلمين وانخداعِ السُّذَجِ منهم بها وتَفَلُّتِ كثيرٍ منهم بسببِها من التمسكِ بالشرعِ .

(١٠) ضَعْفُ الأمةِ الإسلاميةِ وبُعْدُها عن دينها أدى إلى تشبثِها بالغربِ وتَبَعِيَتِها لأفكارِه واستجدائِها وتسولِها على موائِده .

المدرسةُ العقليةُ الحديثةُ :

(١) تأثرُ رواد المدرسة العقلية الحديثة بمنهج المعتزلة فى التعامل مع نصوص الوحي وردها بالعقل ، وسيرُهم على منوالهم حذوَ القذة بالقذة ، مع كثرة جهلهم وقلة بضاعتهم .

(٢) تتلمذُ أبناء المسلمين على المستشرقين جعلَ كثيراً منهم يحذُو حذوَهم . فكان خطرُهم أعظمَ وإفسادُهم أكبرَ ، لأنهم يهدمون حصونَ السنة من داخلها .

(٣) جهلُهم بالسنة النبوية جعلَهم يتلقفون شبهات المستشرقين وينخدعون بأقوالهم وآرائهم ، بل قلدُوهم فى كل شيء حتى فى معرفة دين الإسلام .

(٤) ضعفُ الوازع الدينى عندَ المسلم يجعلُهُ مستجيباً للضغوط المعاصرة ولو على حساب دينه .

خلاصةٌ :

(١) وجودُ صلةٍ قويةٍ تربطُ المعتزلةَ والمستشرقين والمدرسةَ العقليةَ الحديثةَ وهى اعتمادُ كلِ مدرسةٍ على منهج سابقتها فى ردِّ نصوص السنة بالعقل.

(٢) وجودُ قاسم مُشترَكٍ بينَ المدارس الثلاث ، وهو الجهلُ بالسنة وعدمُ إدراك معانيها - إذا استُبعِدَ سوءُ القصد الذى وقعَ فيه كثيرٌ من المستشرقين .

(٣) أعطتْ هذه المدارسُ العقلَ أكثرَ مما أعطاهُ اللهُ من المكانة وسمتْ به فوقَ منزلة الوحي وقدمتْهُ عليه ، مما أدى إلى تهوين أمر السنة وتهميشها .

الفهارس

* فهرس الآيات القرآنية

* فهرس الأحاديث والآثـــار

* فهرس الأعلام المترجم لهم

* فهرس المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ـ لعبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي . تحقيق رضا بن نعسان معطي ، مطبعة دار الراية . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ، الرياض .

٣ ـ الإبانة في أصول الديانة : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . إدارة الطباعة المنيرية ، الأزهر ، القاهرة .

٤ ـ الأبطال ـ تأليف توماس كارليل ، عربه محمد السباعي ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر . المطبعة المصرية بالأزهر . الطبعة الثالث ، ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م .

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م . لبنان .

٦ ـ إثار الحق على الخلق ـ أبو عبدالله محمد بن المرتضى اليماني ، مطبعة الآداب المؤيد ، مصر .

٧ ـ الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة لأبي الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي ، تعليق عبدالفتاح أبو غدة . الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م . حلب .

٨ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان . للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي . تحقيق شعيب الارنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٩ ـ الإحكام في أصول الأحكام ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تقديم : الأستاذ الدكتور إحسان عباس . الناشر : منشورات دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ بيروت .

١٠ ـ أخبار عمرو بن عبيد ، لعلي بن عمر أبي الحسن الدارقطني ، تحقيق : الدكتور يوسف فان إس . المطبعة الكاثوليكية . ١٩٦٧م ـ بيروت .

١١ ـ آداب الشافعي ومناقبه . لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق عبدالغني عبدالخالق . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ..

١٢ ـ أدب الحديث النبوي . بكر شيخ أمين ، مطبعة دار الشروق .

١٣ ـ الأدب المفرد ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، نشره قصي محب الدين الخطيب . الطبعة الثانية . ١٩٧٩ م القاهرة .

١٤ ـ الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها ، هدى عبدالكريم ، رسالة دكتوراه ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٩ م ، جامعة أم القرى .

١٥ ـ الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد لسليم الهلالي . المطبعة : شركة المطابع النموذجية المساهمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٦ ـ أديان الهند الكبرى الهندوسية ـ الجينية ـ البوذية ، الدكتور أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٨٤ م .

١٧ ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، الدكتور عمر بن إبراهيم رضوان . اشراف الدكتور مصطفى مسلم ، الناشر : دار طيبه للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م .

١٨ ـ الأربعين في أصول الدين ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

١٩ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . محمد بن علي الشوكاني . المطبعة : مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

٢٠ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني . اشراف محمد زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢١ ـ أزمة الحوار الديني ، لجمال سلطان ، الناشر : دار الوطن للنشر ، الرياض .

٢٢ ـ أساس التقديس في علم الكلام . لفخر الدين أبي عبدالله محمد بن عمر الحسين الرازي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، ١٤٥٤ هـ مصر .

٢٣ ـ الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . الدكتور مصطفى السباعي . مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر . عدنان محمد وزان . منوعات رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق ، العدد ٢٤ السنة الثالثة .

٢٥ ـ الاستقامة ، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود ، الطبعة الأولى .

٢٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري ، مطبعة النهضة ، مصر ، القاهرة .

٢٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين أبي الحسن ابن الأثير الجزري ، مطبعة الشعب ، القصر العيني ١٩٧٠م . القاهرة .

٢٨ ـ الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة . لنور الدين علي بن محمد بن سلطان . الملا علي القاري . تحقيق محمد الصباغ ، الناشر دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، طبعة مطابع دار القلم ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١ م بيروت ـ لبنان .

٢٩ ـ الإسلام على مفترق الطرق . محمد أسد ليبولد فايس ، تحقيق : عمر فروخ . مطبعة دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣٠ ـ الإسلام والمستشرقون . نخبة من العلماء المسلمين ، مطبعة عالم المعرفة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م . جدة .

٣١ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . للشيخ محمد عبده . الطبع والنشر مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٩٥٤ م ـ ١٣٧٣هـ .

٣٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة . لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

٣٣ ـ أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف . الرياض . الطبعة الثانية . ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م .

٣٤ ـ أصول الحديث . الدكتور محمد عجاج الخطيب ، الناشر المكتبة الفيصلية ، مطبعة دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ، بيروت لبنان .

٣٥ ـ أصول السرخسي لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل السرخسي . تحقيق أبي الوفاء الأفغاني ، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر أباد الدكن بالهند ، مطابع دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م . مصر .

٣٦ ـ أصول الفقه لبدران أبو العينين
الناشر: مؤسسة شباب الجامعة. ١٩٨٤م

٣٧ ـ أصول الفقه لمحمد أبي زهرة طبع ونشر دار الفكر العربي .

٣٨ ـ أصول الفقه وابن تيمية . صالح عبدالعزيز المنصور ، مطبعة دار النصر للطباعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ مصر .

٣٩ ـ أضواء على السنة المحمدية ، تأليف محمود أبو ريه . الناشر مطبعة التأليف بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .

٤٠ ـ إظهار الحق ، رحمة الله خليل الرحمن العثماني ، مطبعة : إدارة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٨٣ م . الدوحة ـ قطر .

٤١ ـ الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تعريف محمد رشيد رضا ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية .

٤٢ ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى .

٤٣ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، مايو ١٩٨٦ م ـ بيروت ـ لبنان .

٤٤ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين : لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالرحمن الوكيل . الناشر : دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م . القاهرة .

٤٥ ـ أعلام النبوة . لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ، الناشر دار الباز للنشر والتوزيع . المطبعة : دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ، بيروت ، لبنان .

٤٦ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق أحمد باشا تيمور القدسي ، دمشق .

٤٧ ـ إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : ناصر عبدالكريم العقل . مطبعة شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ـ الرياض .

٤٨ ـ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع . لعياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ـ القاهرة ـ المكتبة العتيقية تونس ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م .

٤٩ ـ الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، إشراف وتصحيح محمد زهري النجار . دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م بيروت .

٥٠ ـ الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، تصحيح وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م ـ حيدر أباد .

٥١ ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة . لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٨هـ القاهرة .

٥٢ ـ إيثار الحق على الخلق : لأبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني ، مطبعة الآداب المؤيد بمصر .

٥٣ ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة . تحقيق وهبي سليمان ـ غاوجي الألباني ، مطبعة دار السلام . الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م ـ القاهرة .

٥٤ ـ إيقاظ همم أولى الأبصار لصالح بن محمد بن نوح الفلاني ، تحقيق وتصحيح محمد منير الدمشقي . إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥٤هـ مصر .

٥٥ ـ باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، لأحمد بن يحى ابن المرتضى ، مطبعة دار المعارف النظامية ، ١٣١٦ هـ حيدر أباد الدكن .

٥٦ ـ الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف أحمد محمد شاكر ، واختصار علوم الحديث لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ، مطبعة دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م .

٥٧ ـ بحوث في أصول التفسير ، الدكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م ، بيروت .

٥٨ ـ البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة المثنى ـ بغداد .

٥٩ ـ بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبعة دار الفكر .

٦٠ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد . لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، صححها نخبة من العلماء الأجلاء ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .

٦١ ـ البداية والنهاية ، لأبي الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير ، تحقيق هيئة بإشراف الناشر ، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م بيروت .

٦٢ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . لمحمد بن علي الشوكاني . الناشر مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

٦٣ ـ البدعة ، تحديدها وموقف الإسلام منها للدكتور عزت علي عيد عطية رسالة دكتوراه ، الناشر : دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني ١٩٧٣ م القاهرة .

٦٤ ـ البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٦٥ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم . مطبعة الحكومة الطبعة الأولى ، ١٣٩١هـ مكة المكرمة .

٦٦ ـ تاريخ الأدب العربي . لكارل بروكلمان ، ترجمة : عبدالحليم النجار . مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة . مصر .

٦٧ ـ تاريخ بغداد . لأحمد بن علي الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٦٨ ـ تاريخ الثقات ، لأحمد بن عبدالله بن صالح العجلي ، توثيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م بيروت .

٦٩ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط .

٧٠ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، لكارل بروكلمان ، مطبعة : دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة السادسة .

٧١ ـ التاريخ الصغير لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، الناشر مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دار الوعي ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م حلب .

٧٢ ـ تاريخ الطبري . محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

٧٣ ـ تاريخ العرب ، دكتور فيليب حتى ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٩٦١ م .

٧٤ ـ تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين لعلي مصطفى الغرابي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٧٥ ـ التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري ، الناشر والمطبعة والطبعة بدون .

٧٦ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي .

٧٧ ـ تاريخ اليعقوبي . لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، الناشر دار صادر ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠ م بيروت .

٧٨ ـ تأويل مختلف الحديث ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تصحيح : محمد زهري النجار ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ ميدان الأزهر .

٧٩ ـ التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية ، تصحيح طه يوسف شاهين ، الناشر مكتبة القاهرة .

٨٠ ـ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م ، بيروت .

٨١ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي ، تصحيح عبدالصمد شرف الدين ، الناشر الدار القيمة ، الهند ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

٨٢ ـ تدريب الراوي في شرح تغريب النواوي ، لجلال الدين السيوطي . تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ، المكتبة العلمية . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢ م المدينة المنورة .

٨٣ ـ تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة السابعة .

٨٤ ـ تذكرة الموضوعات ، لمحمد طاهر بن علي الهندي ، الناشر : أمين دمج بيروت ، الشيخ عبدالوكيل ـ دمشق .

٨٥ ـ تراث الإسلام . لجوزيف شاخت ، ترجمة دكتور حسين مؤنس ، مطبعة إحسان صدقي الصمد ، القسم الثاني .

٨٦ ـ تراث الإسلام ، لشاخت وبوزورث ، تحقيق : شاكر مصطفى ، القسم الأول ، مطبعة عالم المعرفة .

٨٧ ـ التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨ م ـ القاهرة .

٨٨ ـ تفسير أبي السعود ، لأبي السعود محمد بن محمد العماري . الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

٨٩ ـ تفسير جزء عم ، لمحمد عبده ، الناشر : الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة . المطبعة الأميرية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ .

٩٠ ـ تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مطبعة دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م ـ بيروت لبنان .

٩١ ـ التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، الناشر دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .

٩٢ ـ تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا ، دار المنار ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ، مصر .

٩٣ ـ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ، عبدالرحمن بن أبي حاتم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن الهند .

٩٤ ـ تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، المطبعة دار المعرفة ـ بيروت .

٩٥ ـ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لعبدالرحمن بن الحسين العراقي . تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨١ م.

٩٦ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : دكتور شعبان محمد إسماعيل ، الناشر مكتبة ابن تيمية .

٩٧ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري ، حققه وعلق على حواشيه جماعة من العلماء ، طبعة وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ م المملكة المغربية .

٩٨ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ـ عبدالله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م ـ ١٣٩٩هـ بيروت لبنان .

٩٩ ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، دار صادر ، ١٩٦٨ م ، بيروت .

١٠٠ ـ تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار القومية للطباعة ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م القاهرة .

١٠١ ـ توثيق السنة في القرن الثاني الهجري لرفعت عبدالمطلب ، الناشر مكتبة الخانجي عيد .

١٠٢ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ ـ بيروت ـ دمشق .

١٠٣ ـ تيسير مصطلح الحديث ، للدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م الرياض .

١٠٤ ـ جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، مطبعة العاصمة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م ـ القاهرة .

١٠٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ـ مصر .

١٠٦ ـ جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم . مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩ م ـ القاهرة المجموعة الأولى .

١٠٧ ـ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني ، الطبعة الثانية .

١٠٨ ـ الجرح والتعديل ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد .

١٠٩ ـ جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي لخالد العلي ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٥ م بغداد .

١١٠ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح . لابن قيم الجوزية ، مطبعة المدني ، القاهرة .

١١١ ـ حجة الله البالغة لولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي ، تحقيق السيد سابق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ومكتبة المثني ـ بغداد .

١١٢ ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠ م ـ الرياض .

١١٣ ـ الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام لمحمد ناصر الدين الألباني ، مطبعة الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

١١٤ ـ الحديث والمحدثون ، لمحمد محمد أبي زهو ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .

١١٥ ـ حضارة العرب ـ لجوستاف لبون ، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر ، الطبع والنشر : دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥ م .

١١٦ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لابي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني ، الناشر : المكتبة السلفية ، مطبعة دار الفكر .

١١٧ ـ حوار هادىء مع محمد الغزالي ، لسلمان بن فهد العودة ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، ذو القعدة ١٤٠٩هـ .

١١٨ ـ حياة الرسول المصطفى ، لعبد الرزاق محمد أسود ، مطبعة الدار العربية للموسوعات ، بيروت .

١١٩ ـ حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة عشر ، مصر .

١٢٠ ـ خلق أفعال العباد ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، تقديم وتخريج : بدر البدر ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ الكويت .

١٢١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء .

١٢٢ ـ درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق رشاد سالم ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٢٣ ـ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه لمحمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .

١٢٤ ـ دراسات في حضارة الإسلام ، لهاملتون جب ، دار العلم للملايين ـ بيروت .

١٢٥ ـ دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العلي العزي ، مكتبة النهضة ببغداد ، دار الشروق بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م .

١٢٦ ـ دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور رمحمد محمد أبي شهبة ، دار اللواء للنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ الرياض.

١٢٧ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م بيروت لبنان.

١٢٨ ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور ، لأحمد عبدالغفور عطار ، مطبعة : مكة المكرمة .

١٢٩ ـ ديوان حسان بن ثابت ، دار بيروت للطباعة والنشر .

١٣٠ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٣١ ـ ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣ م ـ بيروت

١٣٢ ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ، للإمام الذهبي ، ضمن أربع رسائل بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، توزيع مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م . القاهرة .

١٣٣ ـ ذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب عبدالرحمن بن أحمد البغدادي ، دار المعرفة بيروت .

١٣٤ ـ رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ ، مصر .

١٣٥ ـ رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد لعبدالعزيز بن راشد ، مطبعة المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م بيروت .

١٣٦ ـ الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ عبدالملك بن إبراهيم والشيخ محمد حسين نصيف ، المطبعة السلفية .

١٣٧ ـ رسائل الجاحظ من كتاب خلق القرآن ـ لعمرو بن بحر الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م مصر .

١٣٨ ـ رسائل العدل والتوحيد ليحى بن الحسين ، مؤسسة دار الهلال ، ١٩٧١ م .

١٣٩ ـ الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ١٣٠٩هـ .

١٤٠ ـ الرسالة (مجلة) ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣ م ، السنة الحادية عشرة .

١٤١ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للسيد محمد بن جعفر الكتاني ، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .

١٤٢ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

١٤٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبعة السنة المحمدية .

١٤٤ ـ الروح : لابن قيم الجوزية ، مطبعة دار الكتب العلمية .

١٤٥ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٤٦ ـ الروض الأنف لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، طبع مطبعة الجمالية ، ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م . مصر .

١٤٧ ـ رؤية الله تعالى ، للدكتور أحمد بن ناصر بن محمد آل أحمد ، جامعة أم القرى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

١٤٨ ـ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م ـ الرياض .

١٤٩ ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لمحمد حبيب الله بن عبدالله الجكني الشنقيطي ، الناشر محمد بن محمد الشرنوبي ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٩٥٤ م القاهرة .

١٥٠ ـ زاد المسير في علم التفسير ، لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق وتخريج محمد بن عبدالرحمن عبدالله ، أبي هاجر السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م ، بيروت لبنان .

١٥١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزيه ، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت الطبعة السادسة عشرة ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

١٥٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م ـ دمشق ـ بيروت .

١٥٣ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ بيروت .

١٥٤ ـ السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام للدكتور محمد لقمان السلفي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م ، بيروت .

١٥٥ ـ السنة قبل التدوين ، للدكتور محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، لبنان بيروت .

١٥٦ ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث لمحمد الغزالي ، طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١٥٧ ـ السنة والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل ، مطبعة الشعب ، القاهرة .

١٥٨ ـ السنة ومكانتها في الإسلام . للدكتور محمد محمد أبي زهو ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ، بيروت .

١٥٩ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، للدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م ، دمشق ، بيروت .

١٦٠ ـ سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا .

١٦١ ـ سنن أبي داود ، للامام أبي داود سليمان بن الأشعث تعليق ومراجعة محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر .

١٦٢ ـ سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

١٦٣ ـ سنن الدارقطني ، لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، دار المحاسن للطباعة ، القاهرة .

١٦٤ ـ سنن الدارمي . لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، الناشر دار إحياء السنة النبوية ، طبعة محمد أحمد دهمان ، الطبعة والتاريخ بدون .

١٦٥ ـ السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ حيدر أباد الدكن .

١٦٦ ـ سنن النسائي ، للحافظ عبدالرحمن بن شعيب النسائي ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤ م مصر .

١٦٧ ـ سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي تحقيق شعيب الأرنؤوط وحقق الجزء الأول حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م . بيروت .

١٦٨ ـ السيرة النبوية ، لأبي الحسن على الحسني الندوي مراجعة وطبع عبدالله بن إبرهيم الأنصاري ، منشورات المكتبة المصرية دار عمر بن الخطاب ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، صيدا بيروت .

١٦٩ ـ السيرة النبوية . لمحمد عبدالملك بن هشام المعافري تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي للطباعة والنشر .

١٧٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي ابن العماد الحنبلي ، تحقيق وطبع ادفست كونر وعراقير ، بيروت .

١٧١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأبي القاسم بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، المطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع .

١٧٢ ـ شرح الأصول الخمسة . للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني ، الناشر مكتبة وهبة ، المطبعة : الاستقلال الكبرى ١٨٣٤ هـ ـ ١٩٦٥ م القاهرة مصر .

١٧٣ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، للإمام ابي العباس أحمد بن يحى بن زيد الشيباني ثعلب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤ م .

١٧٤ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠ م .

١٧٥ ـ شرح ديوان لبيد ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، ١٩٦٢ م الكويت.

١٧٦ ـ شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، شعيب الأرنؤوط ، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١ م

١٧٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية . لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي . تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م ـ بيروت.

١٧٨ ـ شرح علل الترمذي : لابن رجب الحنبلي ، تحقيق ودراسة الدكتور همام عبدالرحيم سعد ، مكتب المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م ـ الأردن ، الزرقاء .

١٧٩ ـ شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين للقاضي جعفر بن احمد البهلولي اليماني المعتزلي ، الناشر ، المكتبة الأهلية ، مطبعة المعارف ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ـ بغداد .

١٨٠ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للدكتور محمد بن عبدالله الغنيمات ، مكتبة لينة للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨ م .

١٨١ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، اللمعة : لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي والشارح الشيخ محمد صالح العثيمين ، الناشر : مكتبة الرشد ـ الرياض ، مطبعة : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م ـ بيروت .

١٨٢ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني ، راجعه وقدم له الشيخ محمد بن عوض ـ محمد غياث الصباغ ، مكتبة الغزالي .

١٨٣ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ، للإمام محي الدين يحى بن شرف النووي المطبعة المصرية ومكتبتها .

١٨٤ ـ شرف أصحاب الحديث ، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي ـ دار إحياء السنة النبوية .

١٨٥ ـ الشريعة لابي بكر محمد بن الحسيني الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

١٨٦ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم ، مطبعة دار التراث القاهرة .

١٨٧ ـ الشفاعة ، لمقبل بن هادي الوادعي ، الناشر مكتبة دار الأرقم ، مطبعة المدني ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م ـ مصر .

١٨٨ ـ الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م ، بيروت .

١٨٩ ـ صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري موافق لطبعة العامرة استانبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٣١٥هـ ، استانبول .

١٩٠ ـ صحيح الجامع الصغير ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، بيروت ، دمشق .

١٩١ ـ صحيح سنن ابن ماجه ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، إشراف المكتب الإلسامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦ م بيروت .

١٩٢ ـ صحيح سنن أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، تعليق زهير الشاويش ، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض . توزيع المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م ، الرياض .

١٩٣ ـ صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١ م القاهرة .

١٩٤ ـ صراع بين الحق والباطل ، لسعد صادق محمد ، دار السنة المحمدية ، الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م القاهرة .

١٩٥ ـ الصفات الإلهية ، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي طبعة المجلس العلمي لاحياء التراث الإسلامي بالمدينة المنورة .

١٩٦ ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين ، الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٦١ م القاهرة .

١٩٧ ـ الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي ، تحقيق وتوثيق عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م بيروت لبنان .

١٩٨ ـ الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

١٩٩ ـ طبقات الشافعية ، لأبي نصر عبدالوهاب السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي ، الطبعة الأولى .

٢٠٠ ـ الطبقات الكبرى ، لأبي عبدالله محمد بن سعد ، مطبعة دار صادر ، بيروت .

٢٠١ ـ الطريق من هنا لمحمد الغزالي

٢٠٢ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م بيروت .

٢٠٣ ـ ظهر الإسلام ، لأحمد أمين ، الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م ، القاهرة .

٢٠٤ ـ العبر في خبر من غبر ، للإمام الذهبي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٥ ـ عقائد السلف لجماعة من الأئمة ، تحقيق علي سامي النشار ، عمار جمعي الطالبي ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، جلال مربي وشركاه ، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٠ م الاسكندرية .

٢٠٦ ـ عقيدة التثليث والصلب وموقف الإسلام منها ، رسالة ماجستير إعداد الطالب يونس توري ، جامعة أم القرى .

٢٠٧ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ، مطبعة المعارف ، الطائف ، الرسالة الثالثة من الرسائل الكمالية في التوحيد .

٢٠٨ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام ، إجناس جولد زيهر ، الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٦ م والطبعة الثانية .

٢٠٩ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، الناشر : إدارة ترجمان السنة ، شادمان ـ لاهور . المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة .

٢١٠ ـ علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ، الناشر : دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية عشرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢١١ ـ العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م .

٢١٢ ـ علم الكلام ومدارسه لفيصل بدير عون ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٧ م .

٢١٣ ـ غريب الحديث لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق عبدالكريم إبراهيم الغرباوي ، دار الفكر ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م دمشق .

٢١٤ ـ غريب الحديث ، لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
مطبعة العاني بغداد . الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

٢١٥ ـ الفائق في غريب الحديث ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثانية .

٢١٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، إشراف عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، تصحيح محب الدين الخطيب ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢١٧ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧ م ـ القاهرة .

٢١٨ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للعراقي ، الشارح الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م ، بيروت ، لبنان .

٢١٩ ـ فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥ م بيروت لبنان .

٢٢٠ ـ الفرق بين الفرق لابي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، الناشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، مطبعة المدني القاهرة .

٢٢١ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، مطبعة دار الفكر .

٢٢٢ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبدالجبار . الدار التونسية للنشر .

٢٢٣ ـ فقه السيرة ، لمحمد الغزالي ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ م .

٢٢٤ ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، للدكتور محمد البهي ، الناشر مكتبة وهبة ، مطبعة دار غريب للطباعة ، الطبعة العاشرة .

٢٢٥ ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة . لعبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، الكويت .

٢٢٦ ـ فهارس سنن الدارقطني . للدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ هـ بيروت .

٢٢٧ ـ فهارس كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الناشر عباس أحمد الباز ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م بيروت .

٢٢٨ ـ فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م بيروت .

٢٢٩ ـ فهرس أحاديث وآثار المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م بيروت .

٢٣٠ ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، لمحمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٧٣ م بيروت .

٢٣١ ـ الفوائد لابن القيم ، تحقيق بشير محمد عيون ، الناشر : مكتبة المؤيد ، الطائف ، مكتبة البيان دمشق .

٢٣٢ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢ م بيروت ، لبنان .

٢٣٣ ـ في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد الدكتور محمود أحمد خفاجي مطبعة الأمانة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م القاهرة .

٢٣٤ ـ القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م بيروت .

٢٣٥ ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الشيخ خليل محي الدين عيسى ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م .

٢٣٦ ـ قواعد التحديث . لجمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٣٧ ـ القياس في الشرع الإسلامي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، الناشر قصي محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٥هـ القاهرة .

٢٣٨ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي . تحقيق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشى ، دار النصر للطباعة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٢٣٩ ـ الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري ، دار صادر للطباعة والانشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م .

٢٤٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبدالله بن عدي الجرجاني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م ١٤٠٩هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٤١ ـ كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي ، لأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٧ م ، بيروت .

٢٤٢ ـ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لمحمد بن إسحق بن خزيمة ، مراجعة وتعليق محمد خليل هراس ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨ م .

٢٤٣ ـ كتاب الثقات ، للإمام محمد بن حبان البستي ، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ، حيدر آباد الدكن ـ الهند .

٢٤٤ ـ كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ـ الكويت .

٢٤٥ ـ كتاب الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، تقديم محمد الحافظ التيجاني ، مراجعة عبدالحليم محمد عبدالحليم وعبدالرحمن حسن محمود ، الناشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المثني ـ بغداد ، مطبعة دار التراث ، الطبعة الثانية .

٢٤٦ ـ كتاب الكني والأسماء ، لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، دار الكتب العلمية . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣ م ، بيروت .

٢٤٧ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، لمحمد بن حبان ، تحقيق محمد إبراهيم زايد ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

٢٤٨ ـ كتاب المصنف في الأحاديث والآثار . لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق الأستاذ عامر العمري الأعظمي ، مطبعة الدار السلفية ، الهند .

٢٤٩ ـ كتاب النبوات ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ م ـ ١٤٠٢هـ ، بيروت ، لبنان .

٢٥٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الاولى ١٣٥٤هـ ـ مصر .

٢٥١ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ بيروت .

٢٥٢ ـ كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه ، للدكتور ربيع بن هادي المدخلي ، مكتبة ابن القيم ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩ م ـ المدينة المنورة .

٢٥٣ ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز محمد السلمان ، شركة الراجحي للصرافة والتجارة ، الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م .

٢٥٤ ـ اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٥٥ ـ لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ، بيروت .

٢٥٦ ـ لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ١٩٧١م ـ ١٣٩٠هـ .

٢٥٧ ـ لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، للدكتور محمد أمين المصري ، دار الفكر .

٢٥٨ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية ، لمحمد أحمد السفاريني ، الناشر مكتبة أسامه ، الرياض ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٢٥٩ ـ مباحث في علوم القرآن ، منّاع القطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م ، بيروت .

٢٦٠ ـ متشابه القرآن ، القاضي عبدالجبار ، دار التراث .

٢٦١ ـ متن العقيدة الطحاوية ، للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، مطبعة هجر ، الجيزة .

٢٦٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحرير ـ العراقي وابن حجر ـ مكتبة المعارف ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م ـ بيروت ، لبنان .

٢٦٣ ـ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين ١٤٠٤ هـ .

٢٦٤ ـ محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧ م .

٢٦٥ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، تحقيق محمد عجاج الخطيب ، مطبعة دار الفكر ، بيروت .

٢٦٦ ـ المحلي ، لأبي محمد بن حزم ، تحقيق أحمد شاكر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٦٧ ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحمد رضا ، مطبعة دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، بيروت .

٢٦٨ ـ محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ، مكتبة الوعي العربي ، الفجالة .

٢٦٩ ـ مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

٢٧٠ ـ مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ، اختصار الشيخ محمد بن موسى الموصلي ، دار الندوة الجديدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م بيروت .

٢٧١ ـ مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

٢٧٢ ـ المدخل إلى علوم الحديث ، نور الدين العتر ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٨٩ ، ص ١٣ .

٢٧٣ ـ مذكرة أصول الفقه ، لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، مطابع التوحيد .

٢٧٤ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤ م بيروت .

٢٧٥ ـ مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث ، الناشر محمد أمين دمج ، الطبعة الثانية ، بيروت .

٢٧٦ ـ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، وبذيله تلخيص الذهبي ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب .

٢٧٧ ـ المستشرقون ، نجيب العقيقي ، دار المعرفة بمصر ، الطبعة الثالثة .

٢٧٨ ـ المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، جمع صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، بيروت ، لبنان .

٢٧٩ ـ المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، دراسة وتطبيقاً ، للدكتور عابد محمد السفياني ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م .

٢٨٠ ـ المسلمون (جريدة) ، السنة السادسة العدد ٢٧٦ ، ٢٣ ـ ٢٩ شوال ١٤١٠هـ . ١٨ ـ ٢٤ مايو ١٩٩٠ م .

٢٨١ ـ المسند للإمام أحمد بن محمد الشيباني ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٨٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .

٢٨٣ ـ مسند الحميدي ، لأبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي ، تحقيق وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٢٨٤ ـ المسودة في أصول الفقه ، لآل تيمية ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .

٢٨٥ ـ مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، تحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ـ بيروت .

٢٨٦ ـ مشكلات الأحاديث ، لجماعة من نوابغ العلماء ، تصحيح زكريا علي يوسف ، توزيع مكتبة المتنبي ، مطبعة الإمام ، القاهرة .

٢٨٧ ـ مشكل الآثار ، لأبي جعفر الطحاوي ، الناشر دار صادر ، بيروت ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ ـ حيدر أباد الدكن ـ الهند .

٢٨٨ ـ المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٨٩ ـ المصنف ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، بيروت .

٢٩٠ ـ معالم السنة النبوية . للدكتور عبدالرحمن عتر ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م ، الأردن ، الزرقاء .

٢٩١ ـ معالم على طريق السنة . للدكتور أحمد عمر هاشم ، كتب إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، بإشراف محمد توفيق عويضة . العدد ١٨٦ السنة السادسة عشرة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ م .

٢٩٢ ـ المعتزلة ، زهدي حسن جار الله . مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧ م .

٢٩٣ ـ المعتمد في أصول الفقه ، لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

٢٩٤ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م .

٢٩٥ ـ معجم البلدان ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٩٦ ـ المعجم الفلسفي ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، ١٩٨٢ م بيروت .

٢٩٧ ـ معجم قبائل الحجاز ، تأليف المقدم عاتق بن غيث البلادي ، الناشر دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢٩٨ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥ م ، القاهرة .

٢٩٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أبي . ونسنك . دار الدعوة ، وفقاً للطبعة الأصلية ١٩٣٦ م ، ١٩٨٦ م استانبول .

٣٠٠ ـ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ودار إحياء التراث العربي بيروت .

٣٠١ ـ المعجم الوسيط ، تأليف مجمع اللغة العربية ، مطبعة إحياء التراث الإسلامي ، قطر .

٣٠٢ ـ المعرفة ، تأليف اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مطبعة دار داغر ، ١٩٧٩ م ، لبنان .

٣٠٣ ـ معرفة علوم الحديث ، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق الدكتور السيد معظم حسين ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

٣٠٤ ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل ، لأبي الحسن عبدالجبار الأسد آبادي ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المطبعة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

٣٠٥ ـ مفاتيح العلوم لمحمد بن يوسف الخوارزمي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ، بيروت .

٣٠٦ ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، السيوطي ، إدارة الطباعة المنيرية .

٣٠٧ ـ مفتاح دار السعادة ومنشر ولاية الله العلم والإرادة ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٠٨ ـ المفردات في غريب القرآن ، للقاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سعيد كيلاني ، بيروت دار المعرفة .

٣٠٩ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

٣١٠ ـ مقاييس نقد متون السنة ، للدكتور مسفر عزم الله الدميني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م .

٣١١ ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، لعثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري ، المعروف بابن الصلاح ، دار الحكمة ، دمشق .

٣١٢ ـ مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، لمحمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مراجعة وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٣١٣ ـ الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق محمد سعيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ بيروت .

٣١٤ ـ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، دوزي مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣ م ـ مصر .

٣١٥ ـ المنار (مجلة) ، أنشأها محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر .

٣١٦ ـ المنار المنيف ، تأليف ابن قيم الجوزية . حققه وخرج نصوصه وعلق عليه عبدالفتاح أبو غدة ، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، مطابع دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ م .

٣١٧ ـ مناقب الشافعي لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١ م ، القاهرة .

٣١٨ ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، تقديم وتحقيق محمود قاسم ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م ـ القاهرة .

٣١٩ ـ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، جماعة من العلماء ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م ـ الرياض .

٣٢٠ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي ، الطبعة الثالثة .

٣٢١ ـ المنتقى ، لأبي محمد عبدالله بن علي بن الجارود النيسابوري ، الناشر المكتبة الأثرية ، جامع مسجد املحديث باغواي ، المطبعة العربية .

٣٢٢ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال ، لابن تيمية والذهبي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الإفتاء ، ١٤٠٩هـ .

٣٢٣ ـ منتهى السول في علم الأصول ، لسيف الدين أبي الحسن الآمدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر .

٣٢٤ ـ منهج النقد عند المحدثين ، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، مكتبة الكوثر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٣٢٥ ـ منهج النقد في علوم الحديث ، لنور الدين العتر ، دار الفكر .

٣٢٦ ـ الموافقات في أصول الأحكام لإبراهيم بن موسى اللخمي المشهور بالشاطبي ، تعليق : محمد الخضر حسين ، دار الفكر .

٣٢٧ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول . تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٣٢٨ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، المؤلف الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

٣٢٩ ـ الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٣٣٠ ـ موقف الأمة من اختلاف الأئمة ، للشيخ عطيه محمد سالم ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩ م ، المدينة المنورة .

٣٣١ ـ موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي ، لمحمد إسماعيل السلفي ، تقديم وتعليق صلاح الدين مقبول أحمد ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦ م ، الكويت .

٣٣٢ ـ موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها لأبي لبابة حسين ، دار اللواء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م ـ الرياض .

٣٣٣ ـ ميزان الاعتدال ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣ م .

٣٣٤ ـ نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ، لحسن ضياء الدين العتر ، مطبعة دار نصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م ـ حلب ـ سوريا .

٣٣٥ ـ النبي محمد إنسان الإنسانية ، ونبي الأنبياء ، تأليف عبدالكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، بيروت ، لبنان .

٣٣٦ ـ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الدقيقة والحياة اللغوية المتجددة ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

٣٣٧ ـ نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف ، لمحمد رشيد رضا ، مطبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ .

٣٣٨ ـ نزهة النظر ، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لابن حجر العسقلاني ، الناشر المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، مطبعة دار مصر للطباعة .

٣٣٩ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ، الطبعة السابعة .

٣٤٠ ـ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، الناشر المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

٣٤١ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ، تأليف علي حسن عبدالقادر ، الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥ م .

٣٤٢ ـ النكت على كتاب ابن الصلاح ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق دكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي ، المجلس العلمي ـ إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة .

٣٤٣ ـ نهاية الإقدام في علم الكلام ، لعبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني ، حرره وصححه الفرد جيوم .

٣٤٤ ـ النهاية في غريب الحديث ، لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ١٨٨٣هـ ـ ١٩٦٣ م .

٣٤٥ ـ نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي الشوكاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي بمصر ، الطبعة الأخيرة .

٣٤٦ ـ وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ، لجمال بن أحمد بن بشير بن بادي ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ الرياض .

٣٤٧ ـ الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي .

٣٤٨ ـ وفيات الأعيان أنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، الطبعة بدون ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م ـ بيروت .

* فهرس الموضـــــوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة
أ ـ وجهة النقد عند المحدثين	٦٠٣
ب ـ التباين في التوثيق والتضعيف	٦٠٨
جـ ـ وجود الأسانيد اعتباطي ولم تجد اعتناء من المحدثين	٦١٣
د ـ نقد المحدثين لا يتعدى إسناد الحديث	٦٢٠
الباب الثالث	
موقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة النبوية	
وفيه فصلان :	
الفصل الأول	
تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة	
وأثر ذلك في رد الأحاديث النبوية	٦٢٨
أمثلة لأحاديث ردت بالعقل :	
١ ـ حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان	٦٤٤
٢ ـ أحاديث الدجال والجساسة	٦٤٥
٣ ـ حديث موسى عليه السلام وملك الموت	٦٤٨
٤ ـ حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام	٦٤٩
٥ ـ حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم	٦٥٠
٦ ـ حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه	٦٥٢
٧ ـ حديث إسلام شيطان النبي ﷺ	٦٥٣
٨ ـ حديث المعراج	٦٥٤
٩ ـ حديث وقوع الذباب في الإناء	٦٥٥
١٠ ـ حديث « إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة »	٦٥٦
١١ ـ حديث « تحاجت الجنة والنار »	٦٥٧
دراسة لبعض الأحاديث التي ردت بالعقل :	
الحديث الأول : حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان	٦٥٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الخاتمـة :	
وتشتمل على أهم النتـائج	٨٤٦
الفهـارس :	
١ ـ فهرس الآيات القرآنية	٨٥٠
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار	٨٧٦
٣ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم	٨٨٩
٤ ـ فهرس المراجع	٨٩٨
٥ ـ فهرس الموضوعات	٩٣٠